المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب والتربية للبنات بأ ا
قسم التاريخ والحضارة



حصار المدينة المنورة وانعكاساته الداخلية وموقف الحامية العثمانية

١٣٣٤ – ١٣٣٧هـ / ١٩١٦ – ١٩١٩م

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في التاريخ تخصص تاريخ حديث ومعاصر

إعداد / منى بنت قائد آل ثابتة

إشراف
الأستاذة الدكتورة / دلال بنت مخلد الحربي

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك خالد
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب والتربية للبنات بأ ا
قسم التاريخ والحضارة



حصار المدينة المنورة وانعكاساته الداخلية وموقف الحامية العثمانية

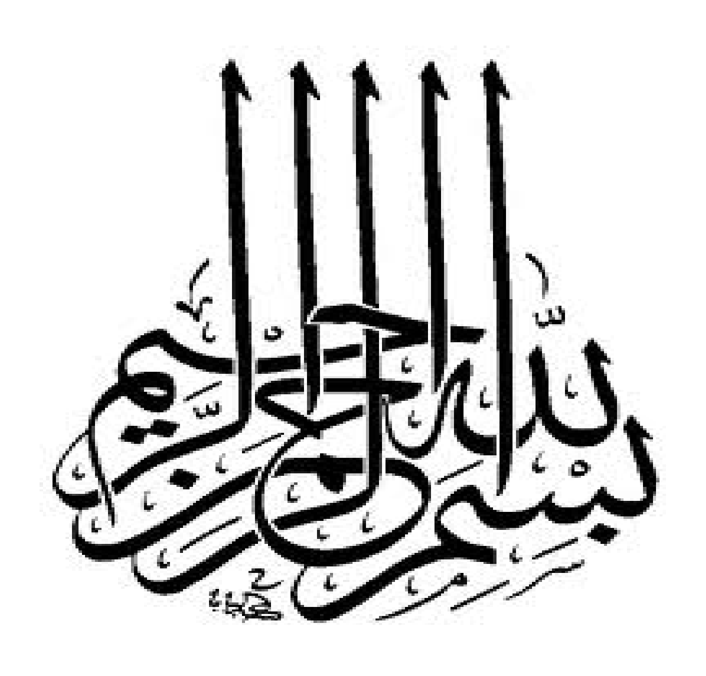
١٣٣٤ – ١٣٣٧هـ / ١٩١٦ – ١٩١٩م

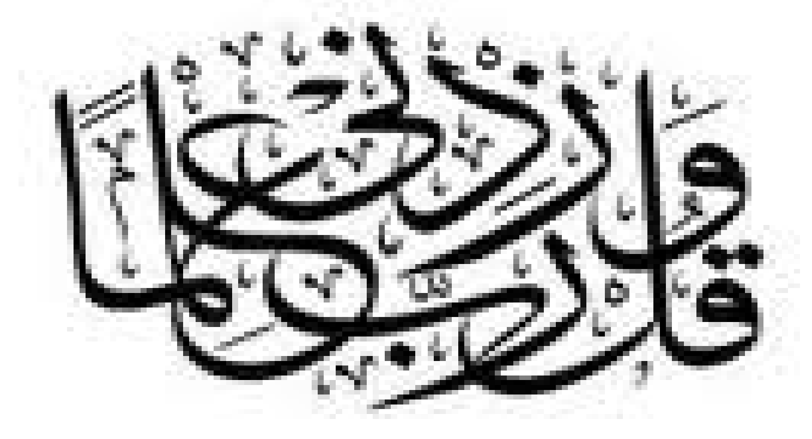
اسم الطالبة / منى بنت قائد آل ثابتة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ / / ١٤٣٤هـ وكان الحكم بـ:

أعضاء لجنة المناقشة والحكم:

الاسم	صفة المشاركة	التوقيع
الأستاذة الدكتورة/ دلال بنت مخلد الحربي	مشرف ومقرر	
الأستاذ الدكتور/ إسماعيل البشري	مناقش خارجي	
الدكتور/ سهيل صابان	مناقش خارجي	


بسم الله الرحمن الرحيم


وقل رب زدني علما

شكر وتقدير

الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على إتمام هذا البحث
ثم للمشرفة على الرسالة الأستاذة الدكتورة دلال بنت مخلد الحربي على جهودها الصادقة معي، ولولا سعة أفقها، ورحابة صدرها، وثاقب فكرها، وغزارة علمها، لما وصل هذا البحث إلى هذه الصورة. فالله أسأل لها عمراً مديداً، وعيشاً سعيداً، وعطاء منه غير مجذوذ، على ما قدمته لي من عون وجهد وتوجيه.
كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الكريمين اللذين قبلا مناقشة هذه الرسالة معالي الأستاذ الدكتور إسماعيل البشري مدير جامعة الجوف والدكتور سهيل صابان الأستاذ المشارك بجامعة الملك سعود
كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لجامعة الملك خالد بأ ا – كلية الآداب والتربية للبنات.

ملخص الرسالة

الجامعة: جامعة الملك خالد
الكلية المانحة: كلية الآداب والتربية للبنات بأ ا
القسم العلمي: التاريخ والحضارة
التخصص: تاريخ حديث ومعاصر
الدرجة العلمية: محاضرة
عنوان الرسالة: حصار المدينة المنورة وانعكاساته الداخلية وموقف الحامية العثمانية(١٣٣٤ – ١٣٣٧هـ / ١٩١٦ – ١٩١٩م)
اسم الطالبة: منى **بنت فائد آل** ثابتة
الرقم الجامعي: ٣٤٥٠
اسم المشرفة: أ . د / دلال بنت مخلد الحربي
تاريخ المناقشة: / / ١٤٣٤هـ
الملخص:

الملخص:

تتناول هذه الدراسة حصار المدينة، وانعكاساته الداخلية، وموقف الحامية العثمانيـة، وذلـك في الفتـرة مـن ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م إلى ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، وهو تاريخ خروج العثمانيين من المدينة ودخول الأشراف.

وقد أقدمت الباحثة على دراسة هذه الفترة من تاريخ المدينة؛ لتأثيرها الكبير في الوجود العثمـاني في المدينـة؛ إذ مثّلت بداية النهاية لاستقرار الأوضاع الداخلية في ظل القيادة العثمانية.

وقد قسمت الدراسة تمهيداً وأربعة فصول.

فاختص التمهيد بتسليط الضوء على الأوضاع العامة في المدينة قبل الحصار.

أما الفصل الأول، فناقش حصار المدينة، وإجراءات حكومة الحسين من أجل إحكام ذلك.

وناقش الفصل الثاني التجهيزات العسكرية في المدينة، وذلك بتحصينها، و يئة القوات العسكرية، ومحاولة استمالة القبائل.

أما الفصل الثالث فاختص بانعكاسات الحصار الداخلية، ومواجهة الآثار والمشكلات المختلفة الخاصة بذلك.

وخصص الفصل الرابع لاستسلام الحامية العثمانية، وخروج العثمانيين في ٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٠ ينـاير ١٩١٩م؛ إذ دخلتها حكومة الحسين، وعاد بعض الأهالي الذين هاجروا سابقاً.

ثم جاءت خاتمة الدراسة، ومن أهم نتائجها:

١- أوضحت الدراسة أن أوضاع الحجاز العامة أثرت في إعادة تشكيل القيادة العسكرية في المدينة، وتم تعيين فخري باشا قائداً لقوة حملة الحجاز في المدينة.

٢- أوضحت الدراسة أن فخري باشا اتخذ بمجرد أن وصل إلى المدينة عدداً من التدابير التي كان لها أبلغ الأثر في إفساد حركة التمرد والعصيان التي قامت ا حكومة الحسين في البداية، ومع ذلك استطاع الحسين بن علي بفضل المساعدات التي تلقاها من بريطانيا أن يسيطر على كل من مكة وجدة والطائف، وأن يشدد الحصار على المدينة، واستطاع توسيع دائرة التمرد والعصيان بشكل أكبر فيما بعد؛ بسبب ضعف الاستخبارات العثمانية، والتباطؤ في اتخاذ التدابير اللازمة.

٣- كشفت الدراسة إجراءات حكومة الحسين العسكرية التي مكنتها من تشديد الحصار على المدينة من خلال العمليات العسكرية التي قام ا كل من أبناء الحسين، والتي أدت في النهاية إلى تشديد الحصار وإحكامه على المدينة من خلال قطع صلات المدينة بالجنوب والشمال والشرق.

٤- أثبتت الدراسة أن فخري باشا تمكن من الحفاظ على المدينة أطول فترة ممكنة على الرغم من حصارها، وقد ساعده على ذلك وجود خط السكة الحديدية، إلا أنه فشل في إ اء الحصار؛ بسبب عجز قواته عن المحافظة على السكة الحديدية، وإفشال مخططات البريطانيين في تدميرها؛ مما كان له آثار عكسية في القوات في المدينة.

٥- أوضحت الدراسة أعمال فخري باشا من أجل الدفاع عن المدينة والمتمثلة في تحصين المدينة، و يئة القوات العسكرية، وتوفير احتياجات قوة الحملة، كما عمل على محاولة استمالة القبائل، ومصادرة المواد الغذائية، وإقامة مستودعات للذخائر.

٦- أثبتت الدراسة أن القوة العسكرية التي هيأها فخري باشا لأجل الدفاع عن المدينة أسهمت في حمايتها فترة زمنية، لكن لم يلبث الأمر في النهاية مع اشتداد ضغط الحصار وانسحاب القوات أن تلاشى دور تلك القوة العسكرية مما أدى إلى ا يار الوضع في المدينة في النهاية.

٧- أثبتت الدراسة تأرجح القبائل في ولائها للطرفين، لكن أغلبية القبائل كانت مع الحسين؛ بسبب الإغراءات المالية والهدايا السخية من السلاح وغيره التي بذلها الحسين ومن خلفه بريطانيا لشيوخ القبائل وأعيا ا. أما الدعاية التي بثها علي حيدر للعثمانيين من أجل استمالة القبائل فقد انتهت بلا جدوى؛ فلم يؤيد فخري باشا من القبائل إلا عدد قليل ممن كانوا معادين للحسين.

٨- كشفت الدراسة الآثار المترتبة على حصار المدينة والمتمثلة في النقص الحاد في الطعام، وما عاناه الجنود والضباط من هزالة الجسد، وتأثر الحيوانات من نفاد الغذاء والمؤن.

٩- أوضحت الدراسة دور فخري باشا في وضع خطط توزيع الطعام لضمان تمتين الجبهة الداخلية، كما بحث عن حلول أخرى للتخفيف من شدة الحصار، إلا أن كمية الغذاء بقيت محدودة في ظل تدني دخول المؤن إلى المدينة، وتدمير قوات الحسين للمنافذ التي يمكن إدخال الغذاء منها.

١٠- أثبتت الدراسة أن فخري باشا نظر إلى الزراعة على أ ا حل من الحلول التي تستطيع قهر الحصار، لكن ذلك لم يكن مجدياً في حالة حصار المدينة؛ لأن الزراعة كانت تحتاج إلى استصلاح للأراضي في البداية، وهو ما لم يتمكن من القيام به المحاصرون؛ مما أدى إلى صغر مساحة الأرض المخصصة للزراعة، إضافة إلى ذلك كان شح المياه وارتفاع درجة الحرارة من أسباب انخفاض معدل إنتاج محصول كافٍ يشبع أفواه المحاصرين.

١١- أوضحت الدراسة أن المستقصي للشؤون الصحية في المدينة يلاحظ أن نقص الماء ساهم في تدني مـستوى النظافة الشخصية، ومن ثم انتشار أمراض مختلفة، كما أن انعدام أنواع من الأدوية زاد من إمكانية تفـشي الأمـراض وارتفاع درجة تأثيرها في الحماة، خصوصاً أولئك الذين أ كت أجسادهم بفعل نقص الغذاء.

كما أن شدة الحصار ساعدت على تردي الخدمات الصحية في مستشفاها الذي لم يعد يقدم خـدمات صـحية ملائمة للأفراد الذين كانوا يعانون أمراضاً متنوعة وهزالاً في الأجسام؛ مما عرضهم لموت محتم، وهذا ما حدث بالفعل مع الحماة من ضباط وجنود.

١٢- أثبتت الدراسة أنه على الرغم من سوء الأوضاع المادية وترديها إلا أن ثبات المحاصرين جعل تأثيرها محدوداً، ومن هنا فقد كانت الحرب النفسية هي السلاح الأقوى لدى حكومة الحسين متمثلاً في إضعاف نفوس جنود الحامية؛ ممـا دفع ببعضهم من ضعاف النفس إلى الفرار، متحججين بالرغبة في العودة إلى أوطا م، أو سد حاجا م مـن الطعـام والشراب، أو الاستشفاء من أمراض أصابتهم.

١٣- أثبتت الدراسة أنه بعد استسلام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وتوقيعها معاهدة موندروس الـتي أ ت حالة الحرب بقي فخري باشا في دفاعه المستميت، واتخذ الإجراءات التي تعمل على استمرار المقاومة على الرغم مما لاقاه من صعوبات، ورفض الاستسلام لقوات الحسين، وبقي بعدها يماطل مدة ثلاثة أشهر.

١٤- كشفت الدراسة أن العلاقة بين فخري باشا وبعض جنوده كانت في اية المطاف تشهد خلافاً كبيراً، وقد اتضح ذلك من خلال سوء العلاقة بين فخري باشا وأمين بك رئيس الأركان الذي أقصي عن منصبه، وبنـاءً عليـه انتهج أمين بك أسلوباً وسلوكاً مضادين لفخري باشا، ووزع على الجنود منشورات وبيانات توضح الوضع برمته.

١٥- أوضحت الدراسة أن الوضع الداخلي في المدينة ا ار في النهاية؛ إذ انتهت مقاومة فخري باشا بقيام معارضة داخلية ضده أدت إلى استسلامه هو ورجال حاميته؛ إذ نقلوا كأسرى إلى مصر، ودخلت حكومة الحسين، وتم إخلاء المدينة، وعاد بعض الأهالي الذين هاجروا سابقاً.

١٦- أوضحت الدراسة أن فخري باشا احتل مكانة مهمة جداً في تلك الفترة من الناحية الدينية، ولـيس مـن الناحية العسكرية، وذلك لما أبداه في ذلك الدفاع من حرص وثبات شديدين دف الحفاظ علـى أراضـي الدولـة العثمانية، فكان يرى أن بقاءه صامداً في المدينة على الرغم من كل الظروف يحفظ هيبة دولته ومكانتها.

١٧- كشفت الدراسة حقيقة فخري باشا؛ إذ أوضحت أنه عارض كل عروض إخلاء المدينة، واستمر حتى اية الحرب فيها.

Thesis abstract

University: King Khalid university
College: The College of Arts and Education at Abha.
Department : History and Civilization
Specialization : Modern History
Scientific Degree : Lecturer
Thesis Address : The Siege of Al-Madina El-Monamorah, it's Internal Reflections and The Situation of Ottoman Protector (1334-1337 H/ 1916-1919 A.D)
Student name : Mona Qaid al Thabtah
University Number : 3450
Supervisor name : Prof.Dalal Makled al Harbi
Discussion date : / / 1434 H

Abstract

This study dealed with Al-Madina siege, it's internal implications and the situation of Ottoman protector, within the period from 1334H/1916M to 1337H/1919M which is the date of Ottomans exit from Al-Madina and the Sharifs entrance.

The researcher studied that period as it has a significant effect on the Ottoman existence in Al-Madina. It presented the beginning of the end of the internal situations stability under the Ottoman leadership.

The study divided into introduction and four chapters. The introduction focused on the general situations in Al-Madina before siege. The first chapter discussed Al-Madina siege and Al-Hussein government procedures to tighten the siege.

The second chapter discussed the military preparations in Al-Madina which presented on Al-Madina immunization, creation of military forces and the trial of lobbying tribes.

The third chapter specialized in the internal implications of the siege. The fourth chapter concentrated in the surrender of Ottoman protector and the exit of Ottomans on 7th of Second Rabea'a 1337 H / 10th of January 1919 as Al-Hussein government came on and the return of some lately immigrated residents.

The study ended with a conclusion which contained the results and here are the most important results :

1- The study clarified El-Hijaz general situations effected on reforming the military leadership in Al-Madina and the appointment of Fakhri Basha as a leader of El-Hijaz force in Al-Madina.

2- The study clarified that Fakhri Basha decided as he reached Al-Madina, some arrangements which maximize the effect in revocation the rebellion movement done by Al-Hussein government over Al-Madina. Despite of this Al-Hussein controlled Mecca, Jeddah and Al-Ta'ef with some help from Britain as he tighten the siege over Al-Madina. The rebellion disseminate more and more as a result of the weakness of Ottoman intelligence and the slowness of conducting necessary arrangements.

3- The study discovered Al-Hussein government military procedures which enabled them to tighten the siege over Al-Madina through the military operations done by Al-Hussein sons. These procedures implied to strengthen the siege around Al-Madina as cutting Al-Madina connections from South, North and East.

4- The study approved that Fakhri Basha saved Al-Madina as long as he can, despite it's siege. The train line help Fakhri Basha to achieve his goals. Although he failed in ending the siege because the inability of his forces in keeping the train lines and could not success in failure of the British plans in destroying the train lines. This reflected badly on Al-Madina forces.

5- The study clarified the procedures of Fakhri Basha in Al-Madina defending which were presented in immunization of Al-Madina, preparing the military forces, providing the needs of protector force. He also tried to lobby tribes, confiscation of food materials and establishing of ammunitions warehouses.

6- The study proved that the military force prepared by Fakhri Basha to defend Al-Madina, contributed in keeping Al-Madina safe for a while but this could not be longer as the pressure of siege and the withdrawal of forces. Finally this implies to a breakdown on Al-Madina.

7- The study proved the teeter of tribes loyalty to both sides but the majority of tribes were with Al-Hussein as a cause of financial temptation, honorable weapon gifts and others introduced by Al-Hussein and Britain to tribes shakhes and leaders. The propaganda broadcasted by Sharif Ali Haider in favor of Ottomans to lobby the tribes didn't make any impact as just few tribes were against Al-Hussein.

8- The study covered the effect on Al-Madina siege as hard lack in food and the officers and soldiers suffering from body weakness. Animals also suffered from the vanish of food and supply.

9- The study clarified Fakhri Basha role in sitting plans to distribute foods to strength the internal front and he sought for other solutions to mitigate the siege hardness but the food amount still limited upon the lack of food supply in Al-Madina and Al-Hussein forces destroying to every possible entrances of food supply.

10- The study proved that Fakhri Basha considered agriculture as a solution to face siege but this was not applicable in Al-Madina case. Agriculture begins with land reforming and this was not notable by the protectors. As result of this the area of agriculture was minimized. In addition the lack of water and the increased temperature contributed in the decreased rate of enough crop production for all siege people.

11- The study clarified that inquiring health issues implies lack of water which caused a decreased level of personal cleanliness. Also spread of different diseases, absence of several kinds of medicine caused a high possibility of worse levels of diseases and high effects over protectors specially those who had a weak body as result of lack of food. Also the hardness of siege contributed in the deterioration of health services in Al-Madina hospital which could not introduced suitable healthy services to a multi-disease persons whom are very closed to death and that happened with the protectors, officers and soldiers.

١٢- The study proved that despite the badness of financial issues, the trapped consistency limited their effects . therefore the psychological war was the strongest weapon among Al-Hussein government as weakness of protector soldiers morale. This caused in self weakness people to escape malingered that they want to go back home or seeking for water, food or cure from diseases.

13- The study proved that after the surrender of Ottoman state in the World First War and it's signature on Mondros agreement which ended the war, Fakhri Basha stayed on his strong defending and he consider the procedures that works on the continuity of resistance despite what he faced difficulties and refusing the surrender to Al-Hussein forces, procrastinating them for three months.

14- The study showed that the relation between Fakhri Basha and some of his soldiers was in a huge conflict. This was clear in the bad relation

between Fakhri Basha and Ameen Bick the commander of staff even Fakri Basha fired Ameen Bick. As a result of this, Ameen Bick consider an opposite behavior and methodology against Fakhri Basha and he distributed leaflets and data to clarify the situation.

15- The study showed that the internal situation in Al-Madina broke down at the end. The resistance of Fakri Basha ended by forming internal opposition against him and the surrender of him and his protectors as they were transferred to Egypt as prisoners. Al-Hussein government entered Al-Madina and many lately immigrant people returned back.

16- The study showed that Fakhri Basha had a very important status in that period from a religious domain and not from a military domain. This comes as he showed a high consistency in defending over Ottoman state lands as he was thinking that his existence in Al-Madina over all conditions should keep the status of the state.

17- The study showed the fact of Fakhri Basha as he refused all the proposals to withdraw from Al-Madina and continued in war until it's end.

قائمة المحتويات

فهرس الخرائط

المقدمة

موضوع الدراسة:

جذبت أحداث ثورة الحسين بن علي (١٣٢٦- ١٣٤٣هـ/ ١٩٠٨- ١٩٢٤م) اهتمام كثير من الباحثين، وكتبت دراسات كثيرة حولها، وفي المقابل يلاحظ أن الأوضاع الداخلية في المدينة التي نتجت من الحصار في أثناء الحرب العالمية الأولى في فترة تولي فخري باشا القيادة العسكرية لقوة حملة الحجاز التي دامت ثلاث سنوات (١٣٣٤- ١٣٣٧هـ/ ١٩١٦- ١٩١٩م)، ومساعيه للسيطرة على تلك الأوضاع، لم تحظ باهتمامهم على الرغم من تأثيرها الكبير في الوجود العثماني في المدينة؛ إذ مثلت بداية النهاية لاستقرار الأوضاع الداخلية في ظل القيادة العثمانية.

وفي ضوء ما تقدم، فإن الطالبة رأت أن تجعل آثار حصار المدينة، وانعكاسا ا على أهالي المدينة وعلى الحامية العثمانية، ودور فخري باشا في الدفاع عنها، مجالاً لدراستها التي سوف تتركز في تعرف الوضع الداخلي للمدينة في تلك الفترة بشكل أفضل.

وسوف تكون محاور الدراسة مركزة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما تأثير أحداث الحجاز في إعادة تشكيل رئاسة القيادة العسكرية في المدينة؟ وما الظروف والأسباب التي أدت إلى تعيين فخري باشا قائداً لقوة حملة الحجاز في المدينة؟.
- ما موقف فخري باشا من الوضع في المدينة بعد دخوله مباشرة؟.
- ما إجراءات حكومة الحسين من أجل تشديد الحصار على المدينة؟.
- هل كان للسكة الحديدية دور في الاحتفاظ بالمدينة ومقاومة الحصار فترة أطول؟.
- ما الأعمال التي قام ا فخري باشا، سواء أكانت تنظيمية أم عسكرية؟.
- هل أسهمت القوة العسكرية في تكوين جهاز أمني قوي أسهم في حفظ كيان المدينة من التفكك الداخلي ومن التهديد الخارجي؟.
- ما موقف القبائل من حصار المدينة؟ وهل كان للدعاية التي بثّها علي حيدر للعثمانيين بين القبائل

دور في كسب فخري باشا ود القبائل، أو أن تلك الدعاية انتهت بلا جدوى؟.

- ما الآثار التي وضحت على المدينة جراء استمرار الحصار عليها من قبل حكومة الحسين؟
- هل كانت المؤن تصل إلى المدينة في أثناء الحصار؟ وكيف كان وضع التجارة في تلك الفترة؟
- إلى أي مدى استطاعت قوة الحملة أن تدبر احتياجا ا من المؤن؟ وهل كان مقدار المؤن الموجودة في مستودعات المخزن كافية لهم؟ وهل توجد إحصائية لذلك؟
- ما موقف فخري باشا من نفاذ المؤن في المدينة؟ وهل تمكن من مواجهة ذلك؟
- هل كان للزراعة دور في التقليل من وطأة الحصار؟
- كيف كان الوضع الصحي في المدينة؟
- هل اتبعت حكومة الحسين حصاراً نفسياً إلى جانب الحصار المادي على حماة المدينة؟
- هل استمرت مقاومة فخري باشا بعد هدنة موندروس في ٢٤ المحرم ١٣٣٧هـ ـ/ ٣٠ أكتـوبر ١٩١٨م، التي نصت في إحدى موادها على ضرورة تسليم المدينة؟
- كيف كانت علاقة فخري باشا بجنوده في الأيام الأخيرة من وجوده في المدينة قبل استسلامه؟
- كيف ا ار الوضع الداخلي في النهاية؟ وكيف دخلت الحكومة الجديدة؟ وما أثر ذلك في ا تمع؟ وهل عاد الأهالي الذين هجروا سابقاً أو لا؟
- هل احتل فخري باشا مكانة مهمة لدى الدولة العثمانية نتيجة ذلك الدفاع؟
- كيف استقبل علي بن الحسين فخري باشا بعد خروجه من المدينة؟ وكيف كانت نظرة خـصوم فخري باشا له؟

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة تمثل محور الدراسة، ومن خلالها عملت الطالبة على تقديم صورة متكاملة عن تلك الفترة، وما تم فيها من تدابير، ومدى تأثيرها في أهالي المدينة.

أهمية الدراسة:

تعود أهمية هذه الدراسة إلى كو ا عملت على ما يأتي:

(١) تعرف الظروف والأسباب التي أدت إلى تعيين فخري باشا قائداً لحملة الحجاز.
(٢) الكشف عن الأوضاع الداخلية في المدينة التي نجمت عن الحصار.
(٣) استجلاء مدى تأثير أهالي المدينة وتأثرهم بتلك الأوضاع الداخلية.
(٤) الكشف عن الإجراءات التي اتخذها فخري باشا من أجل الدفاع عن المدينة.
(٥) إظهار ما اتخذته القيادة العثمانية في سبيل الدفاع عن وجهة نظرها، والرد على ما كان يوجه إليها من دعايات من قبل حكومة الحسين.
(٦) الوقوف على الوضع النفسي تمع المدينة، والثقة التي كان يشعر ا فخري باشا فيما يخص القدرة على الانتصار ومواجهة الموقف.

أهداف الدراسة :

هناك مجموعة من الأهداف التي سعت هذه الدراسة إلى تحقيقها تتمثل فيما يأتي:

(١) تتبع مراحل الحصار وموقف القيادة العثمانية منه.
(٢) دور فخري باشا كقائد عسكري ثم كمحافظ في ترتيب الأوضاع الداخلية في المدينة.
(٣) مدى انعكاس الأوضاع الداخلية على أهالي المدينة.
(٤) تتبع التدابير التي لجأ إليها فخري باشا لمواجهة الأوضاع الداخلية في المدينة.
(٥) توضيح دور الإعلام في تلك الفترة، وموقف فخري باشا من الدعايات التي كانت تروجها حكومة الملك الحسين.
(٦) تتبع مراحل الدفاع عن المدينة حتى تسليمها، وتداعيات ذلك على سكا ا والقيادة العثمانية والجنود.

حدود الدراسة الزمنية والمكانية :

تقتصر الدراسة في حدودها الزمنية على الفترة الممتدة من (٣٠ رجب ١٣٣٤هـ/ ١ يونيو ١٩١٦م)، وهي فترة خروج الحسين على العثمانيين، وبدء حصار المدينة في أثناء الحرب العالمية الأولى، إلى (٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٠ يناير ١٩١٩م)، وهو تاريخ انتهاء الوجود العثماني في المدينة ودخول حكومة الحسين.

وتعد تلك الفترة مرحلة حرجة في تاريخ الدولة العثمانية؛ إذ أدت شدة الحصار إلى استسلام الحامية التي كانت ترابط فيها، وخروجها من المدينة، منهية بذلك وجود العثمانيين في الحجاز الذي بدأ منذ عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

وقد تبين للطالبة أن الأوضاع الداخلية في المدينة في تلك الفترة لم تدرس دراسة مستقلة، كما تبين أن تلك الفترة ثرية بالأحداث الكبيرة، وأن المادة العلمية المتوافرة عنها غزيرة أيضاً، تتناثر في ثنايا المصادر المتنوعة.

أما الحدود المكانية فتقتصر على المدينة المنورة(١) بمفهومها الجغرافي.

الدراسات السابقة :

---

(١) المدينة المنورة: تقع في الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال من مكة المكرمة، وهي محاطة من الغـرب بجبل الحجاج ومن الشمال الغربي جبل سلع ومن الجنوب جبل عير ومن الشمال جبل أحد. وتقوم المدينة على هضبة جبلية مسطحة عند تقاطع ثلاثة أودية هي وادي العقول و العقيق و الحمض مما نجم عنه وجـود مـساحات كـبيرة خضراء وسط منطقة جبلية جافة. راجع: البلادي، عاتق بن غيث. **معجم معالم الحجاز**. مكة: دار مكة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج٨، ص ص ٧٠ ـ ٧٤.

قامت الطالبة بإجراء مسح للدراسات السابقة في هذا الموضوع، فلم تقف على دراسة تناولت العناصر التي ترغب في التعرض لها، إلا أ ا وقفت على دراسة تطرقت إلى بعض جوانب هذا الموضوع، وهي:

- دراسة مريم فريح المهوس(١)، واحتوت على معلومات عن السلطة العثمانية في الحجاز، وثورة الحسين وموقف زعماء جزيرة العرب منها، وكذلك موقف الحامية العثمانية في المدينة منذ قيام الثورة والوقائع المختلفة التي حدثت بين الطرفين، والعقبات والصعوبات التي واجهت قوات الحسين، مع الإشارة إلى دور بريطانيا وفرنسا في مسيرة الأحداث.

وأمكن الاستفادة من هذه الدراسة في معرفة الأحداث التي أدت إلى حصار المدينة.

مصادر الدراسة:

اعتمدت الطالبة على مجموعة من المصادر الأولية التي تضمنت معلومات عن أحداث تلك الفترة؛ مثل:

١ - الوثائق العربية والأجنبية.

٢ - الروايات الشفهية.

٣ - الكتب العربية والأجنبية.

٤ – الدوريات العربية والأجنبية .

وقد احتوت المصادر في مجملها على معلومات ثرية، استفادت منها الطالبة بالاعتماد على المنهج التحليلي القائم على النقد والتمحيص والتحليل للمراجع والمصادر الأصلية، واستبعاد ما لا يثبت صحته منها. كما أ ا ركزت في البحث عن الوثائق الخاصة بالفترة المحددة للدراسة، واستخلاص ما فيها من معلومات تتعلق بالموضوع، وشملت الوثائق العربية والأجنبية. وقد اعتمدت الطالبة في الوثائق العربية على مجموعة كبيرة منها غير منشورة تتمثل في الوثائق المحفوظة في دارة الملك عبد العزيز، ومعهد الإدارة العامة، ومكتبة الملك فهد الوطنية، زودت البحث بمادة علمية غزيرة؛ إذ اهتمت في مجملها بحصار المدينة، وآثار ذلك الحصار، ودور الحامية العثمانية في الدفاع عن المدينة ومواجهة ذلك الحصار، والأحداث التي أدت إلى استسلام الحامية العثمانية.

هذا ما يتعلق بالوثائق الأرشيفية، أما الوثائق غير الأرشيفية فقد استنارت الطالبة بوثائق تيسر لها الحصول عليها من قبل بعض الأشخاص الذين شارك آباؤهم أو أقارب لهم في أحداث تلك الفترة، كما تمكنت من الحصول عليها من مكتبات لبعض الأفراد.

---

(١) **موقف الحامية العثمانية** في **المدينة المنورة من ثـورة الـشريف حـسين (١٣٣٤-١٣٣٧هـ ـ/١٩١٦-١٩١٩م).** رسالة ماجستير. الرياض: جامعة الملك سعود ، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٢٢هـ.

أما الوثائق الأجنبية، فقد اعتمدت الطالبة بصورة أساسية على الوثائق البريطانية غير المنشورة؛ إذ حصلت عليها من The National Archives، والوثائق العثمانية غير المنشورة المحفوظة في الأرشيف العثماني وأرشيف التاريخ العسكري والإستراتيجي ومركز الفرقان بإستانبول، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ووثائق حصلت عليها من الأفراد، ومنهم فايز بن موسى الحربي. أما المنشورة، فقد اعتمدت على الوثائق البريطانية التي نشرت في كتاب "الملك عبد العزيز آل سعود: سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية". وهذه الوثائق تتضمن بعض المعلومات عن تطورات الأحداث في المدينة، خصوصاً ما يتعلق منها بالحصار وآثاره، ودور فخري باشا في الدفاع عن المدينة.

أما الروايات الشفهية، فقد اعتمدت الطالبة على الاستماع المباشر إلى أحاديث أشخاص شارك آباؤهم وأجدادهم وأقارب لهم في صنع أحداث تلك الفترة؛ إذ شغلوا مناصب مهمة في تلك الفترة وأثّروافي الأوضاع فيها، مثل: أقارب حسين بن مبيريك أمير رابغ، وأبناء عزيز ضياء، وقد كانت لرواية هؤلاء أهمية كبيرة في سد كثير من الثغور وتوضيح الصورة، واعتمدت عليها الطالبة بعد تمحيصها، والتأكد من حقيقة ما جاء فيها. وتم إلى جانب ذلك الاعتماد على الروايات الشفهية التي دونت في بعض الكتب، مثل كتاب "أمين مرشد طيبة وذكريات الأحبة".

أما ما يتعلق بالكتب بشقيها العربي والأجنبي، فقد اعتمدت الطالبة على مجموعة من الكتب العربية، أهمها ما كان معاصراً لفترة الدراسة، ويأتي في مقدمتها كتاب حياتي مع الجوع والحب والحرب لعزيز ضياء وذكريات العهود الثلاثة لمحمد حسين زيدان وغيرهما، إضافة إلى الكتب الأجنبية المعربة، مثل: مذكرات أحمد جمال باشا(١)، وكتاب الثورة العربية لتوماس إدوارد لورنس Edward Thomas Lawrence(٢)، وكتاب لورنس العرب السيرة الذاتية لجيرمي ولسون Jeremy Wilson. أما الكتب الأجنبية، فقد كان من أهمها كتب باللغة التركية لمن عاصر تلك الفترة وتأثر ا، ومن أبرزها كتاب Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil لناجي كاشف قيجيمان Naci Kasif Kiciman الذي كان يعمل ضابط مخابرات لقوة حملة الحجاز، و Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi) لفريدون قاندمير Ferudon Kandmir الذي كان يعمل في هيئة الهلال الأحمر.

أما بالنسبة إلى الدوريات، فقد اعتمدت الطالبة على مجموعة من الدوريات العربية، من أهمها: القبلة، والمنهل، إضافة إلى الدوريات التركية من جرائد ومجلات، مثل: ا موعة العسكرية Askeri Mecmua، وبلتن Belleten، ومجموعة حياة التاريخية Hayat tarihi Mecmuasi التي غطت

(١) توجد ترجمة له ص١٧.

(٢) توجد ترجمة له ص٤٦.

كثيراً من الأوضاع التي لم تغطها الوثائق أو المراجع؛ لاهتمامها بتتبع بعض الأحداث الخاصة بالمدينة في تلك الفترة.

مسار الدراسة:

قسمت الدراسة إلى تمهيد، وخمسة فصول، إضافة إلى الخاتمة والنتائج. فالفصل التمهيدي تناول بالتحليل الأوضاع العامة في المدينة قبل الحصار .

أما الفصل الأول فخصص لحصار المدينة، فتم الحديث عن الأوضاع العامة وأثرها في تطور الأحداث داخل المدينة، والتدابير التي اتخذت لمواجهة تلك الأوضاع، وإجراءات حكومة الحسين لحصار المدينة، والمعارك الأولى حول المدينة وآثارها، ومن ثم إحكام حصار المدينة، وقطع صلا ا بالشمال والجنوب والشرق.

أما الفصل الثاني فقد أفرد لمناقشة التجهيزات العسكرية في المدينة التي تمثلت في تحصينها، و يئة القوات العسكرية بطلب الإمدادات، وتعزيز الجيش عدداً وعتاداً، وتوفير احتياجات قوة الحملة، ومحاولة استمالة القبائل، كما تمثلت في مصادرة المواد الغذائية، وإقامة مستودعات للذخائر.

أما الفصل الثالث تم فيه تحليل الانعكاسات التي نتجت عن الحصار، المتمثلة في نفـاد التمـوين والإعاشة، وتوقف النشاط التجاري، وارتفاع الأسعار، وانخفاض قيمة العملة التجارية، وإهمال الزراعة، وانتشار الأمراض، وفرار الجنود، إضافة إلى تتبع تدابير فخري باشا لمواجهة الحصار التي شملت طلـب المؤن من شيوخ القبائل، وشراء المواد الغذائية من القبائل القاطنة حول المدينة، ومحاولة توفير الـذهب، وطلب قرض داخلي، والسعي إلى إعادة تحقيق الارتباط مع الخارج، وتحقيق انضباط الجنود داخل المدينة بإلغاء تصاريح الغياب، وفتح سجل أحباء الحجاز، والتشجيع على الزراعة وأكل الجـراد والتـهجير، ووضع تدابير وقائية للمرضى.

وفي الفصل الرابع قامت الطالبة بتتبع كيفية استسلام الحامية العثمانية بقيادة فخري باشا في المدينة، ابتداء من رفضه ما نصت عليه هدنة موندروس Mondres التي قضت إحدى موادها بضرورة تسليم المدينة، وموقف بريطانيا من رفض فخري باشا الاستسلام، وإعطائه مهلة لتسليم المدينة، وإرسال السفراء إليه، ثم الحديث عن ظهور معارضة داخلية ضده، ومن ثم استسلامه.

وفي الخاتمة والنتائج توصلت الطالبة إلى عدد من النتائج المهمة لموضوع الدراسة.

كما زودت الدراسة بعدد من الخرائط التوضيحية.

التمهيد

الأوضاع العامة في المدينة المنورة قبل الحصار

عين الحسين بن علي أميراً على الحجاز في سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م من قبل الدولة العثمانية(١)، وفي الفترة الأولى عقب تسلمه الإمارة أظهر تأييداً كاملاً لسياسة الاتحاديين(٢)، وقدم خدمات للدولة في تلك الأثناء، فقضى على الفتن والثورات(٣) المناوئة للحكم العثماني(٤).

ونجح الحسين في تكوين علاقات جيدة مع أهالي الحجاز؛ مما أكسبه شعبية كبيرة مكّنته من تقوية نفوذه على نحو أدى إلى خلافه الدائم مع الولاة العثمانيين الستة(٥) الذين تعاقبوا على الحجاز في فترته، وقد بلغ من قوة الحسين ونفوذه أن سلب أولئك الولاة سلطا م، وبذلك اقتصرت مهمة الوالي على

---

(١) ليف، كوتلوف. **الحركة العربية في المشرق ١٩٠٨- ١٩١٤م**. ترجمة: زياد الملا. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠١م، ص٣٦. الحميد، ص٢٠٣. وهيم، طالب محمد. **مملكة الحجاز (١٩١٦- ١٩٢٥م) دراسة في الأوضاع السياسية**. البصرة: مركز دراسات الخليج، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ص٣٥- ٣٦.

(٢) وصل الاتحاديون إلى السلطة في إستانبول عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م واستمروا إلى عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م. المهوس، مريم فريح. **موقف الحامية العثمانية في المدينة المنورة من ثورة الشريف حسين (١٣٣٤- ١٣٣٧هـ/ ١٩١٦- ١٩١٩م)**. رسالة ماجستير غير منشورة. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٢٢-١٤٢٣هـ، ص٢٣.

(٣) من مثل، الحملة التي قادها الحسين في عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م على نجد. وفي ربيع الآخر ١٣٢٩هـ/ ٢١يوليو (تموز) ١٩١١م تولى قيادة الحملة التأديبية التي وجهت إلى امة عسير ضد الإدريسي. راجع: ليف، ص٥٠. حمـزة، فؤاد. **قلب جزيرة العرب**. ط٢. الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ص٣٢٧- ٣٢٨.

(٤) حراز، رجب. **الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٤٠_ ١٩٠٩م**. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م، ص١٢٥.

(٥) تعاقب على الولاية في مكة أثناء السنوات السبع الأولى من حكم الحسين ستة ولاة هم: كاظم باشا، حازم باشا، فؤاد باشا، أحمد راتب باشا، نديم باشا، وهيب باشا، غالب باشا الذي أعلنت ثورة الحسين في مطلع ولايته. راجع: السباعي،أحمد. **تاريخ مكة**. ط٨. مكة: نـادي مكـة الثقـافي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص٥ Bayur,Y. Hikmet..**Türk İnkılabı Tarihi.** II/3,T.T.K.Yay. Ankara, 1991, ss 193-196.

مراقبة الحسين، وكتابة التقارير عن أعماله ورفعها إلى الحكومة المركزية[١].

وفي سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م أصدر الاتحاديون قراراً ينص على فصل متصرفية المدينة إدارياً عن ولاية الحجاز، وربطها مباشرة بإستانبول تحت اسم: المتصرفيات غير الملحقة أو المتصرفيات الممتازة[٢]. وتجنباً لإثارة الحسين، فقد حاول الاتحاديون تصوير ذلك القرار بأنه جاء استجابة لرغبة أهالي المدينة؛ لذلك صدرت الأوامر إلى محافظ المدينة بأن يحث الأهالي على كتابة المعاريض المطالبة بفصل المدينة عن ولاية الحجاز، وربطها بالعاصمة مباشرة[٣]، وإضافة إلى ذلك فقد سارع الاتحاديون إلى طمأنة الحسين بأن مسؤوليات الإمارة باقية كما هي من مكة إلى مدائن صالح[٤].

وقد اتجه الاتحاديون نحو اتباع سياسة مركزية تجاه جميع الولايات العربية، وهو ما دفعهم إلى إصدار قانون الولايات الجديد سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م؛ أي: قبيل الحرب العالمية الأولى، وهو تأكيد لتلك السياسة المركزية[٥]، التي حاول الاتحاديون من خلالها تشديد قبضتهم على الحجاز، والسعي إلى إيصال خط سكة حديد الحجاز[٦] من المدينة إلى مكة وجدة[٧].

وقد قسمت ولاية الحجاز بموجب قانون الولايات إلى عدد من المتصرفيات، التي قسمت تلك المتصرفيات بدورها إلى ألوية، وقسمت الألوية إلى أقضية، وقسمت الأقضية إلى نواحٍ. وطبقاً لذلك التقسيم أصبحت الحجاز تضم متصرفيتين، هما: متصرفية جدة، ومتصرفية المدينة[٨]. ويتبع متصرفية المدينة أربع أقضية، هي: ينبع البحر، والوجه[٩]، ورابغ، والعقبة[١٠].

وكانت الأوضاع الداخلية في المدينة في تلك الفترة من الناحية الإدارية والعسكرية والاقتصادية

---

(١) برو، توفيق علي. **القضية العربية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م**. دمشق: دار طلاس، ١٩٨٩م، ص٢١١.

(٢) بدر، عبدالباسط. **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**. المدينة المنورة: المؤلف، ١٩٩٤م، ج٣، ص ص٣٦- ٣٧.

(٣) السابق.

(٤) ابن الحسين، عبدالله. **مذكرات الملك عبدالله**. د.م، د. ن، د.ت، ص٥٣.

(٥) طلاس، مصطفى. **الثورة العربية الكبرى**. دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧م، ص٩٨.

(٦) انظر الخريطة رقم (١).

(٧) وهيم، ص٤٢.

(٨) البركاتي، شرف بن عبد المحسن. **الرحلة اليمانية**. دمشق: د. ن، د.ت، ص١٤٦.

(٩) الوجه: تقع على ساحل البحر الأحمر شمالاً،ويتبعها قبائل بلي. راجع: حمزة، ص٨٠.

(١٠) الحصري، ساطع. **البلاد العربية والدولة العثمانية**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥م، ص٢٤١.

والصحية على النحو الآتي:

فيما يتعلق بالأوضاع الإدارية، كان المحافظ يأتي على قمة الجهاز الإداري، وهو من ذوي الرتب العسكرية العالية، يجمع في يديه السلطتين المدنية والعسكرية، وكان آخر من تولى محافظة المدينة قبيل ثورة الحسين حسن بصري باشا(١)، يساعده على إدارة شؤون المحافظة مجموعة من الموظفين، يشكلون في مجموعهم ما يسمى "هيئة أركان اللواء"(٢)، وكانت تلك الهيئة تمثل السلطة العليا في المحافظة، وإضافة إلى ذلك كان هناك مجلس إدارة يختص بمناقشة المشكلات التي تعترض الشؤون الإدارية، وإيجاد الحلول المناسبة لها(٣).

ومن أهم الهيئات الإدارية التي كانت في المدينة في تلك الفترة مديرية الحرم النبوي، ومهمتها العناية بشؤون الحرم، والإشراف على خدمته في النواحي المختلفة(٤).

وفي أواخر العهد العثماني تم استحداث البلديات(٥) التي كان لها رئيس من الأهالي، والتي كان من مهامها معاقبة المخالفين للنظام، ومراقبة الأسواق، وغير ذلك.

أما ما يتعلق بالأوضاع العسكرية، فقد حرصت الدولة العثمانية على إنشاء بعض الحاميات العسكرية في المدينة؛ ـدف حماية الحجاج، وتأمين طرق الحج، والمساندة في القضاء على الثورات. وعلى الرغم من ذلك فإن جنود الحاميات العثمانية في المدينة لم يكونوا سوى بقايا القوات العثمانية في سورية أو ضمن من أخذ من السجون(٦)، وهذا يعني أن القوات العثمانية في المدينة كانت قوات غير منظمة، وجنودها غير أكفياء لأداء مهام عسكرية، إلا أنه عند قيام الحرب العالمية الأولى زاد اهتمام

---

(١) **حسن بصري باشا:** عين محافظاً للمدينة في ١٤ صفر ١٣٢٩هـ/ ١٤ فبراير ١٩١١م بعد أن عمل فيها فتـرة نائباً للمحافظ. راجع: صابان، سهيل. **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية** في **الأرشيف العثماني**. الرياض: مكتبـة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٣٦. بدر، ص٤٤.

(٢) **سلنامة ولاية الحجاز** للسنوات (١٣٠١- ١٣٠٥- ١٣٠٦- ١٣٩٠م) مطبعة الحجاز. حافظ، علي. **فـصول من تاريخ المدينة المنورة**. ط٢. جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص٤٠.

(٣) حافظ، ص٣٠

(٤) **سلنامة ولاية الحجاز** للسنوات (١٣٠١- ١٣٠٥- ١٣٠٦- ١٣٩٠م) مطبعة الحجاز.

(٥) انظر مكتب البلدية في المدينة خريطة رقم (٢).

(٦) Al Amr, Saleh Mohammed. **The Hijaz Under The Ottoman Rule 1869- 1914**. Riyadh,University,1974,p90.

الدولة بتلك القوات، فزيدت أعدادها وتم إمدادها بالعتاد بشكل أكبر قبيل ثورة الحسين. وكان لإنشاء خط السكة الحديدية، وثورة إمام اليمن يحيى بن حميد الدين (١٣٢٢- ١٣٦٧هـ/ ١٩٠٤-١٩٤٨م)، دور فعال في تدعيم الوجود العسكري العثماني في المدينة[1]؛ فبعد وصول السكة الحديدية إلى المدينة حرصت الدولة العثمانية على زيادة قوا ا في الحجاز عامة، والمدينة خاصة، لحماية السكة الحديدية من هجوم القبائل واعتداءا م؛ لذلك فقد تركزت معظم القوات العثمانية في الحجاز في المدينة وما حولها؛ إذ قدرت أعداد القوات العثمانية في الحجاز في تلك الفترة بنحو ستة آلاف جندي، منهم ثلاثة آلاف جندي ينتشرون في المدينة وما حولها، والبقية موزعون على مدن الحجاز الأخرى.

وبعد قيام حكومة الاتحاديين زادت الدولة العثمانية أعداد قوا ا في المدينة؛ إذ ارتفع عددها إلى عشرة آلاف جندي، ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى أخذت القوات العثمانية بالتزايد، فبلغت أعدادها نحو خمسة عشر ألف جندي، يتمركز معظمهم في المدينة وحول السكة الحديدية[2].

أما بالنسبة إلى ما يتعلق بعتاد تلك القوات وتجهيزا ا، فكانت مجهزة بمدافع ميدان، وبطاريتين تحتويان على اثني عشر مدفعاً جبلياً، وخمسين بغلاً[3].

ومن ثَم فقد جعلت الدولة العثمانية من المدينة قاعدة عسكرية، خصوصاً مع اقتراب الحرب العالمية الأولى؛ بسبب أهمية المدينة كمركز لنهاية خط السكة الحديدية، إضافة إلى انتشار القبائل حولها. كما كان لقيام ثورة عارمة في اليمن دور في تركيز القوات العثمانية في المدينة؛ إذ أصبحت مركزاً لتجمع قوة عسكرية كبيرة تمهيداً لنقلها إلى اليمن لقمع الثورة.

أما ما يتعلق بالتجارة والوضع الاقتصادي، فقد كانت المدينة تتميز بمركزيتها التجارية، وتعـاظم التجارة والازدهار الاقتصادي، وتزايد القوافل يوماً بعد يوم وهي تحمل البضائع التجاريـة، وتفوقـت المدينة عمن قورن ا؛ فقد كان كل شيء فيها أرخص من بلاد الشام[4].

وكان في المدينة تآلف بين سكا ا من الحضر والقبائل؛ فما من حضري له نخيل خارج المدينة إلا

---

(١) الدقن، السيد محمد. **سكة حديد الحجاز الحميدية**. د.م، د.ن، ١٩٨٥م، ص٢٩٠.

(٢) Al Amr ، p93.

(٣) Loc. Cit.

(٤) Kandmir, Ferudon. **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**. Istanbul ,1994,s37.

وله حليف من القبيلة ذات الشأن في ذلك الموقع(١)، فبدأ كثيرون من الحاضرة يعنون بنخيلهم بالتوسع في زراعته، وكذلك في زراعة الحنطة بأنواعها الثلاثة(٢)، حتى الشعير، بل أكثر من ذلك جمع النوى ليعطى علفاً للحيوانات؛ إذ كان يمثل تجارة رائجة، وكذلك استخدام الجريد للأسقف والجذوع، وكذلك جمع السعف لصنع الخصف والأسرة والمكاتل(٣)، وهذا يعني أن المدينة كانت تتمتع باكتفاء ذاتي من الأسرة، والمكاتل، وعلف الحيوانات(٤)، والجبن، والسمن، والأقط (المضير)، واللحم، واللبن، والحنطة، والتمر، والبيض(٥).

أما ما يتعلق بالأوضاع الصحية، فقد تمتعت المدينة بمستوى لائق من العناية والاهتمام الصحي؛ إذ وجد مستشفى الجرحى، وكانت بناءً منتظماً لا بأس به يتكون من جدران من الحجر السميك، وذلك من أجل حماية المرضى من الحر الخانق في تلك الجهات، وكان تتوسطها حديقة لاسـتراحة المرضـى وتجولهم، وكانت مزدانة بالنخيل والأزهار وأشجار العنبر العالية التي ترتفع بقدر طابقين من المستشفى، وكانت أشجار العنبر هذه تسعد المرضى برائحتها الزكية في فصل الربيع، وكانت بؤبؤ عين المستشفى. وكان بداخل المستشفى غرفة عمليات يمكن القول: إ ا منتظمة مقارنة بما في المدينة، إضـافة إلى مئـة غرفة ذات أسرة للمرضى. وقد تولى رئاسة الأطباء فيها في أزمنة مختلفة الجراح راسخ بك من صـفوة أطباء وزارة الحربية، وأمير اللواء (الميرالاى) فؤاد بك، وأسديا خدمات عظيمة ـا، إضـافة إلى دار النقاهة، ومستشفى الهلال الأحمر، الذي أقيم في أول الأمر كـ ل للحجاج والزوار. وكان علـى رأس

---

(١) كثرة زراعة النخيل من مثل ذياب ناصر في العقيلية وسعود دشيشة في الدوار، الخواجة في الغرس، شـحات في سواله، ناصر في البدرية، صالح القاضي في الحسنية، عبدالله بن مسلم في بستانه جانب من مسجد قباء، الخاشقجي في الربعي، والجذع للرفاعي، والعباسية للعباسيين، والشريف عون في قباء ثم بالشراء أصبح ملكاً للسيد طه محمد حسين عثمان، وهناك بساتين في أبيار علي وفي الجرف يملكها السراني سواء أهل أبيار علي أو أهل الجرف والأنـصاري في الناعمة، وزين العابدين مدني في المصرع شمال المدينة، ويوسف خشيرم في الخشيرمية جانب المصرع، وابن جوعـان وعبد الله بن دخيل وأخوه محماس في الجوعانية، والمفتي الداغستاني في المفتية، والوسـيدي في أم البـيض، ومعتـوق خاشقجي جد اء الدين في الشنيبلية. راجع: زيدان، محمد حسين. **ذكريات العهود الثلاثـة**. الريـاض: مطـابع الفرزدق، ١٩٨٨م، ص ص٨٩- ٩٠.

(٢) أنواع الحنطة: اللقيمي- الحنطة- المعبة. راجع: زيدان، ص٨٨.

(٣) المكاتل: الزنابيل والزنبيل كلمة طارئة وكان أهل المدينة القدامى من النخليين والبادية والحاضرة خارج الـسور يقولون المكتل بدل الزنبيل أو بدل القفة. راجع: زيدان، ص٨٨.

(٤) زيدان، ص٨٨.

(٥) السابق، ص٨٩.

تلك التشكيلات الدكتور غالب بك. وتم فرش المستشفى بالأسرة المصنوعة من جريد النخيل وكـثير من وسائل الهلال الأحمر، وكان المرضى في هذا المستشفى يظنون أنفسهم في كنف عائلا م[١].

أما ما يتعلق بالأوضاع السياسية، فقد كانت المدينة مستقرة سياسياً في ظل تلك السياسة، لكـن بعد أن أصبح الحسين على قدر من النفوذ والقوة بدأ في إظهار معارضة شديدة لتلك السياسة المركزية، معلناً تمسكه بما منح للحجاز من امتيازات في الفترات السابقة من الحكم العثماني[٢]. كما حفز أهـالي الحجاز على الثورة ضد وهيب باشا[٣] الوالي العثماني آنذاك[٤]، فاضطرب الأمن، وتجمهـر الأهـالي معلنين احتجاجهم، مطالبين بعدم سحب الامتيازات التي يتمتع ا الحجاز منذ فترة طويلة، إضـافة إلى معارضتهم مد خط السكة الحديدية إلى مكة وجدة[٥]؛ لما له من قضاء على كثير من المنافع والمـصادر لمعيشة القبائل القاطنة في الحجاز التي كانت تحصل على أموال مقابل حمايتها قوافل الحجـاج وعـدم التعرض لها، إضافة إلى استفادة بعض أهالي الحجاز من الحج بتأدية بعض الخدمات للحجاج كالعمـل أدلاء لهم[٦].

وكان الباب العالي يوصى وهيب باشا بصفة مستمرة بإقامة علاقات جيدة مع الحسين، ولكن الوقت الذي كان يسعى فيه وهيب باشا إلى إصلاح علاقته مع الحسين كان الأخير مستمراً في مواقفه

---

(١) Kiciman, ss171- 172.

(٢) Al Amr, p86.

(٣) وهيب باشا(١٢٩٥ـ ١٣٦٠هـ/١٨٧٧ ـ ١٩٤٠م): أحد أشهر القادة العسكريين العثمـانيين في الحـرب العالمية الأولى.عين قائداً على الحملة الموجهة لمحاربة الإمام يحيى في اليمن، ثم عين والياً على الحجاز عام١٣٣٢هـ ـ/ ١٩١٤م، إلا أنه لم يستمر طويلاً؛ إذ نقل إلى جبهة البسفور. راجـع: موسـى، ص٢٤ Ihsan Ilgar: **Dunya Savasi,nin Unlu Komutanlarindan: Vehib Pasa, Hayat Tarih,.** Yil: 8, Cilt: 1, 1 Subat 1972, ss13-21.

(٤) وحتى تقلل الحكومة من نفوذ الحسين وفرت لوهيب باشا الفرقة العسكرية رقم اثنان وعشرون وأمـر م بـألا يطيعوا أمر أحد من رجال الدولة إلا القائد وهيب باشا، ونجح في القضاء على ثورة بسيطة قامت ضـده. راجـع: Arar,İsmail "Macera Dolu Bir Hayat: Vehib Paşa" **Tarih ve Toplum,** nr48, ss361- 368.

(٥) كانت الدولة العثمانية ترغب في مد خط السكة الحديدية إلى مكة؛ لأن ذلك سينقل سيطر ا إلى تلك المدينة، وقد خاف الحسين من ضياع سلطانه؛ لذا حرض القبائل القاطنة بين مكة والمدينة على الثورة. راجع: Gülsoy,Ufuk. **Hicaz Demiryolu.** Eren yay. İstanbul,1994, ss 212-223.

(٦) المهوس، ص ص٣٤- ٣٥. Gülsoy, ss 212-223.

السلبية ضد وهيب باشا.(١)

أرادت بريطانيا استغلال توتر العلاقة بين العثمانيين والأشراف، فبدأت تحاول استمالة الحسين إلى جانبها، ملوحة له بدعم استقلاله إذا رغب في ذلك، وفي الوقت نفسه تعاملت معه بحذر رغبة في الحفاظ على مصالحها مع الدولة العثمانية في تلك الفترة(٢).

وبعد إعلان قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م ظلت الدولة العثمانية على الحياد، وحتى تتمكن من حماية نفسها أعلنت حالة الاستعداد للحرب بصفة عامة في الجيش العثماني في ١٠ رمضان ١٣٣٢هـ/ ٢ أغسطس (آب) ١٩١٤م، وتم استثناء الفرقة الثانية والعشرين في الحجاز والفرقة الحادية والعشرين في عسير من ذلك الأمر، كما أُرسل إعلان الاستعداد للحرب إلى الحسين.

وعقب اندلاع الحرب حدث لقاء بين عبدالله بن الحسين ورونالد ستورس Ronald Storres(٣) في القاهرة في رمضان ١٣٣٢هـ/ أغسطس (آب) ١٩١٤م، سلم عبدالله خطاب شكر من السلطات البريطانية؛ بسبب ما قدمه من خدمات للحجاج(٤).

وفي مطلع سنة ١٣٣٣هـ/ نوفمبر ١٩١٤م أعلنت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، وأظهر الحسين معارضته لموقف الدولة العثمانية(٥)؛ إذ أرسل برقية إلى السلطان محمد رشاد (١٣٢٧-

---

(1) **Birinci Cihan Harbinde Türk Harbi IV, Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı**. A.T.A.S.E. yay. Ankara 1978,ss75-79.

(٢) ابن الحسين، ص ص٧٤- ٧٥.

(٣) رونالد هنري ستورس أمهرست (١٢٩٨- ١٣٧٤هـ/ ١٨٨١- ١٩٥٥م): تخرج في جامعة كمبردج عام١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م ثم دخل الخدمة المدنية البريطانية في مصر وقضى في وظائفها خمس سنوات درس خلالها اللغة العربية. وفي عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٩م عين سكرتيراً شرقياً للوكالة البريطانية في القاهرة ثم عين عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م حاكماً عسكرياً للقدس، ثم حاكماً مدنياً لها عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ثم عين حاكماً لقبرص، ثم حاكماً لشمال روديسيا وعلى أثر انتهاء خدمته عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م تقاعد عن العمل لسوء صحته وعاد إلى بريطانيا. راجع: صفوة، نجدت فتحي. **الجزيرة العربية** في **الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ١٩١٦م**. بيروت: دار الساقي،١٩٩٦م، مج٢، ص ص٧٦- ٧٧.

(٤) موسى، سليمان. **المراسلات التاريخية**. عمان: المؤلف، ١٩٧٣م، ج١، ص٢٢.

(٥) شبيكة، مكي. **العرب والسياسة البريطانية** في **الحرب العالمية الأولى**. لبنان: بيروت:دار الثقافة، د.ت، ج٢، ص٩٠. موسى،سليمان.**الثورة العربية الكبرى.الحرب** في **الحجاز١٩١٦-١٩١٨م**.الأردن:عمان: المؤلف، ١٩٨٩م، ص٢٤. ولمزيد من المعلومات راجع:

Aybars,Ergiin.**Türkiye Cumhuriyeti Tarihi.** E.Ü.E.F. yay., İzmir 1984,

=

١٣٣٧هـ/ ١٩٠٩- ١٩١٨) يحذره فيها من عواقب دخول الدولة العثمانية في الحرب لعدم جاهزية قوا ا لذلك، وأوضح رأيه ذلك لوهيب باشا عندما سأله عن رأيه في دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، فكانت إجابة الحسين: "إن هذه الحرب لا ناقة للدولة فيها ولا جمـل؛ فالدولـة محاطـة بأعدائها في حين أ ا غير متصلة بحليفتها ألمانيا بصورة مباشرة"(١).

وبعد مضي الشهر الأول من دخول الدولة العثمانية الحرب أعلنت السلطات العثمانية الدعوة إلى الجهاد بمساندة ألمانيا وتشجيعها(٢)، فأصدر شيخ الإسلام في إستانبول فتوى تنص على أن الجهاد ضد بريطانيا وروسيا وفرنسا فرض عين على جميع رعايا الدولة العثمانية بمختلف أجناسهم(٣). وبعد صدور تلك الفتوى أخذت السلطات العثمانية تمارس ضغوطاً شديدة على الحسين بغية الحصول على تأييـده للجهاد، فألحت عليه لإعلان الجهاد في الحجاز، وإرسال ا اهدين من الحجاز للاشتراك في الحرب(٤).

وكان هدف الدولة العثمانية في تلك الأثناء الهجوم على قناة السويس لمساندة ألمانيا، وتوجيه ضربة قوية لبريطانيا؛ مما يؤدي إلى استعادة السيطرة على مصر مرة أخرى، ولتنفيذ تلك الخطة عين جمال باشا(٥) في ٣٠ المحرم ١٣٣٣هـ/ ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٤م في قيادة الجيش الرابع في سورية، وأخبرت فرقة الحجاز والحسين بذلك الأمر، وسعى جمال باشا إلى جمع القوة التي تمكنه من

=
s62. Sander,Oral. **Anka'nın Yükselişi ve Düşüşü Osmanlı Diplomasi Tarihi Üzerine Bir Deneme.** A.Ü.S.B.F. yay. Ankara 1987, ss 183-186. Göyünç,Nejat. **Atatürk ve Millî Mücadele**. Turhan Kitabevi İstanbul,1984, s21.

(١) ابن الحسين، ص٩٩. وراجع: **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 164, Dosya 144/719,28 Teşrin-i sâni 1330 tarihli şifre.**

(٢) Mckale, Donald. "Germany And The Arab Question In The First World War" **Middle Eastern Studies**, Vol29, April1993, p263.

(٣) طـلاس، ص١٠٨. Fahir Armaoğlu,. **Yüzyıl Siyasi Tarihi 1914-1980.** Türkiye İş Bankası Kültür yay, Ankara 1992, s111.

(٤) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E.), Klasör nr 164, Dosya nr 144/719 الرسالة المشفرة المرسلة من القيادة العامة إلى قيادة فرقة الحجاز** في **٣٠ نوفمبر ١٩١٤م.**

(٥) أحمد جمال باشا (١٢٨٩- ١٣٤١هـ/ ١٨٧٣- ١٩٢٢م): كان يعمل وزيراً للبحرية. وعضواً من أعـضاء (تركيا الفتاة) الذين كانوا يمثلون جمعية الاتحاد والترقي. غادر الآستانة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م قاصـداً دمـشق؛ للعمل على كسب العرب لموالاة الدولة العثمانية والمشاركة في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا. عين حاكمـاً على سوريا وبلاد الشام عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م راجع: **مذكرات جمال باشا السفاح**. تعريب: علي أحمد سليمان شكري. تحقيق: عبد ا يد محمود خالد. لبنان: بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ص ٨- ٩. راجع: صفوة، مج٢، ص ٧٢.

القيام بحملة على قناة السويس، ولتحقيق ذلك طلب من الفرقة الموجودة في الحجاز الانضمام إلى حرب القناة تحت قيادة وهيب باشا، وكان جمال باشا يرى أن القوات الموجودة في الحجاز ليس لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى المنطقة(١).

وبناءً عليه أخبر جمال باشا الحسين أن انضمامه إلى الحرب له أهمية معنوية كبيرة، كما أنه واجب سياسي. وأمام ذلك الوضع بقي أمام الحسين طريقان: الأول تلبية دعوة الجهاد والوقوف في صف الدولة العثمانية، والآخر دخول الحرب في صف الحلفاء ثم انتظار مساعدتهم له في حرب الاستقلال، وكان الاختيار الأخير أصعب جداً؛ لأن نتائجه مرتبطة بعناصر كثيرة غير معروفة، خصوصاً أن الحسين قد اتخذ قرار الثورة منذ زمن بعيد، وعلى الرغم من ذلك كان على درجة كبيرة من الحذر(٢)، وفى الوقت نفسه لم يقف موقفاً سلبياً، بل أرسل رجاله إلى سورية والعراق والأماكن المختلفة في الجزيرة العربية ليعرف ردود فعل الأهالي(٣).

ويستنتج من إجابات الحسين وردوده أنه يؤيد الجهاد من دون إعلان ذلك؛ خشية من أن يقوم الأسطول البريطاني المرابط في البحر الأحمر بضرب الموانئ الحجازية، وهو الأمر الذي سيؤدي إلى ثورة واضطراب في الحجاز(٤).

ونتيجة لما كان يمارس من ضغط على الحسين من قبل السلطات العثمانية فقد قال الحسين لوهيب باشا: إن سعود بن عبدالعزيز بن رشيد (١٣٢٦- ١٣٣٨هـ/ ١٩٠٨- ١٩٢٠) حاكم حائل قد تعدى على قبائل الحجاز، وإن ذلك الأمر يعد تعدياً على حقوق إمارته، وإنه لن يظل صامتاً على ذلك الأمر، وعلى الرغم من ذلك أوضح أنه يمكنه أن يشارك في الحرب بفرقة من الفرسان الهجانة تبلغ ألفاً وخمسمئة فارس تحت قيادة ابنه علي، وكان الحسين بسلوكه ذلك يسعى إلى إظهار تبعيته للدولة العثمانية من جانب، ويستمر في أفعاله الضارة من جانب آخر(٥)، ولذلك السبب قام بتحريض الإمام

---

(١) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Dosya nr. 52/2085, Vehib Kasör Bey'den Başkumandalık'a 9 Eylül1914tarihli şifre nr533.**

(٢) Arar,İsmail "Macera Dolu Bir Hayat: Vehib Paşa" **Tarih ve Toplum,** nr48, s361.

(٣) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Dosya nr. 52/2085, Vehib Kasör Bey'den Başkumandalık'a 9 Eylül1914tarihli şifre nr533,**

(٤) موريس، جيمس. **الملوك الهاشميون**. بيروت: المكتب العالمي، د.ت، ص٣٨. أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب**. ترجمة: إحسان عباس، ناصر الدين الأسد. بيروت: دار العلم للملايين، د.ت، ص ص٢٢٤- ٢٢٥.

(٥) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E.), Klasör nr 164, Dosya nr 144/719 الرسالة المشفرة المرسلة من القيادة العامة إلى قيادة فرقة الحجاز** في **٣٠ نوفمبر ١٩١٤م.**

عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود (١٣١٩- ١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢- ١٩٥٣م) على ابن رشيد المؤيد للدولة العثمانية، وأدرك وهيب باشا الموقف المتناقض للحسين؛ لذا أوصى جمال باشا بعدم تصديق كلام الحسين، وقطع الأمل في مشاركة الهجانة البالغ عددهم ألفاً وخمسمئة جندي من قبل الحسين، إلا أن جمال باشا أصر على انضمام الحسين إلى الحرب، وأمر جمال باشا وهيب باشا بإصرار شديد بأن يدبر ذلك مع الحسين، وإن اقتضى الأمر خروجه مع الحسين للانضمام إلى حملة القناة(١).

في تلك الأثناء وجدت بريطانيا –بعد تعاظم النفوذ البريطاني في إستانبول، وتزايد يقينهم بانزلاقها في الحرب إلى جانب ألمانيا- ضرورة فتح باب المفاوضات مع الأشراف، واستغلال التوتر القائم بينهم وبين العثمانيين(٢). ولما كانت السلطات البريطانية تعلم أن الحسين كان متطلعاً إلى إقامة كيان عربي مستقل عن الدولة العثمانية تحت سلطته المباشرة(٣) أرسلت إلى ستورس ليقوم بإرسال مندوب موثوق به لإيصال رسالة من هوراشيو هربرت كيتشنر Horatio Herber Kitchener(٤) إلى عبدالله، يبدو من مضمو ا أن كيتشنر قد أبدى استعداد السلطات البريطانية للتعاون مع الحسين في سبيل تحقيق استقلاله عن الدولة العثمانية، وإمداده بكل ما يحتاج إليه لتحقيق ذلك الهدف(٥)، ووعدت بمساعدته وتحقيق استقلاله مقابل أن يعلن الحرب على الدولة العثمانية(٦)، ويحرك قواته والقبائل التي تدين له بالولاء لقتال

---

(١) a. g. e.

(٢) وهيم، ص٤٨.

(٣) I.H. Danişmend, **İzahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi**. IV, Turkiye yay,Istanbul, 1955, ss332- 334.

(٤) هوراشيو هربرت كيتشنر (١٢٦٦- ١٣٣٤هـ/ ١٨٥٠- ١٩١٦م): ولد في إيرلندة، وتخرج في الكلية العسكرية في دوليتش، والتحق بسلاح الهندسة عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م وعمل في فلسطين وقبرص، ثم ألحق بالجيش المصري في عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م وتدرج في الرتب العسكرية إلى أن عين قائداً عاماً للجيش المصري. قاد حملة إعادة فتح السودان ثم قاد الحملة البريطانية في حرب البوير في جنوب أفريقيا، ثم عين قائداً للقوات البريطانية في الهند. عين معتمداً وقنصلاً عاماً لبريطانيا في مصر عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م، ثم عين وزيراً للحربية في وزارة آسكويث. أوفد إلى روسيا في مهمة حربية، واصطدمت الطرادة التي كانت تنقله بأحد الألغام في بحر الشمال، ومات غريقاً. راجع:صفوة، ص٨٧.

(٥) ابن الحسين، ص١٠١. **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي** (A.T.A.S.E) **Klasör nr 164 Arşivi, Dosya nr 144/179, VIII.** **الرسالة المشفرة المرسلة من قيادة الفيلق إلى وكالة القيادة العامة** في **٥ نوفمبر ١٣٣٠**.

(٦) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي** (A.T.A.S.E) **Arşivi, Klasör nr 164 Dosya nr 144/179, VIII.** **الرسالة المشفرة المرسلة من قيادة الفيلق إلى وكالة القيادة العامة** في **٥ نوفمبر ١٣٣٠**.

العثمانيين وإخراج قواتهم من البلاد العربية(١). وقد رد عبدالله على رسالة كيتشنر بما يؤكد أن الحسين لا يستطيع القيام بأي التزامات تتعارض مع مصالح الدولة والخلافة إذا امتنعت السلطات العثمانية عن التدخل في مصالح الحجاز وامتيازاته، وهذا الأمر يتوقف على السلطات العثمانية، وأعرب عبدالله عن رغبته في التقارب مع السلطات البريطانية في حالة وقوع أي صدام مع الدولة العثمانية، بشرط أن تضمن بريطانيا عدم التدخل في شؤون الحجاز الداخلية(٢). وقد رد ستورس على رسالة عبدالله السابقة برسالة أخرى في ١٢ ذي الحجة ١٣٣٢هـ/ ١ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٤م أكد فيها أن أهداف العرب وبريطانيا أصبحت واحدة، كما تعهد ستورس بعدم تدخل بريطانيا في الشؤون الدينية للمسلمين، وأعطى وعوداً بضمان استقلال الحجاز، والدفاع عنه ضد أي اعتداء خارجي(٣).

ومن خلال تلك المراسلات التي تمت بين عبدالله وستورس أظهرت السلطات البريطانية توجهاً أكبر للاستفادة من رغبة الحسين في الاستقلال عن الدولة العثمانية بعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا. وبعد تأكيد ستورس في رسالته السابقة أن بريطانيا سوف تقف إلى جانب الأشراف لتحقيق استقلالهم نشطت بريطانيا في بث الدعايات حول أنها لن تقوم بأي هجوم على مكة والمدينة وجدة، وأنها ستوفر للعرب المؤن، وحرضت العرب ضد الدولة العثمانية، كما كثفت جهودها في بث تلك الدعايات في بداية سنة ١٣٣٣هـ/ أواخر ١٩١٥م، وذكرت في البيان الذي ألقته بالطائرة فوق الجزيرة العربية في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ/ ٦ مايو (أيار) ١٩١٥م أن: "سبب دخولنا هذه الحرب المهولة ضد ألمانيا مرجعه هجومها بغتة على حكومة صغيرة وبريئة صديقة لنا، لاسيما أن ألمانيا قد تعهدت بحماية استقلال تلك الحكومة المذكورة بصورة دائمة"(٤).

وأوضحت أن سبب دخول العثمانيين الحرب إلى جانب ألمانيا هو خداع الألمان لهم، كما نشروا بعض الأخبار الكاذبة لإثارة العرب ضد العثمانيين، وأشاعوا أن المؤن التي أرسلوها إلى الحجاز وما حولها في ٢٤ شوال ١٣٣٣هـ/ ٤ سبتمبر (أيلول) ١٩١٥م قد صادرها الموظفون العثمانيون، وأنهم سوف يرسلون مؤناً أخرى لهم(٥).

---

(١) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز**، ص ص ٢٤- ٢٥.

(٢) موسى، **المراسلات التاريخية**، ص٢٦.

(٣) السابق، ص ص٢٧- ٢٨.

(٤)**أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي, (A.T.A.S.E) Klasör nr 533 Dosya nr 52/2085 البيان المرسل من وكيل قائد الحجاز إلى القيادة العامة في ٢٤ مارس ١٣٣١.**

(٥)**أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 533, Dosya nr 52/2085 ,**

=

على إثر ذلك بادر الحسين بإرسال رسائل سرية إلى بريطانيا بدأت في ٢ رمضان ١٣٣٣هـ ـ/ ١٤ يوليو (تموز) ١٩١٥م، وانتهت في ٦ جماد ى الأولى ١٣٣٤هـ ـ/ ١٠ مـ ـارس (آذار) ١٩١٦م، بالاتفاق معها على إعلان الثورة في الحجاز[١].

=

الرسالة المشفرة من الجيش الرابع إلى القيادة العامة في ٢١ يونيو ١٣٣١.

(١) سعيد، أمين. **الثورة العربية الكبرى.** القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت، مج١، ص ص ١٣١- ١٤٤.

Troeller, Gary**. The Birth of Saudi Arabia.** London: Frank cass,1976, p77.

الفصل الأول

حصار المدينة المنورة

أولاً: مراقبة الدولة العثمانية الأوضاع العامة وأثرها في تطور الأحداث داخل المدينة

ثانياً: تعيين عمر فخر الدين باشا قائداً عسكرياً ومهامه

ثالثاً: الخطط الإستراتيجية العثمانية في المدينة

رابعاً: مراحل حصار المدينة

١- المعارك الأولى حول المدينة وآثارها:

أ- الجفر والدرسية والعلاوة

ب- قبا وقُربان والعوالي

ج- آبار علي

د- بئر الماشي

٢- انسحاب قوات الحسين بن علي:

أ- انسحاب جيش علي

ب- انسحاب جيش فيصل

٣- إحكام حصار المدينة (وطأة الحصار):

أ- تحرك قوات عبدالله (الجيش الشرقي) من مكة إلى وادي العيص

ب- التراجع العثماني وتغير الوضع العثماني العسكري في المدينة

ج- تنسيق خطط قوات الحسين لإحكام حصار المدينة

د- قطع صلات المدينة بالجنوب- عمليات جيش علي الجنوبي

هـ- قطع صلات المدينة بالشمال والشرق- عمليات جيشي فيصل وعبدالله الشمالي والشرقي

أولاً: مراقبة الدولة العثمانية الأوضاع العامة وأثرها في تطور الأحداث داخل المدينة

ما كاد الحسين ينتهي من مراسلاته مع بريطانيا في جمادى الأولى ١٣٣٤هـ / مارس (آذار) ١٩١٦م حتى شرع اعتماداً على وعود بريطانيا وتعهدها بمساندته في البحث عن فرصة مناسبة للإعلان عن مآربه في إثارة الخلاف مع الدولة العثمانية بهدف مواجهتها، فاستغل دعوة وزير الحربية أنور باشا(١) له بإعلان الجهاد لطرح مطالبه كشرط لتأييد تلك الدعوة. ومع أنه كان يهدف تحقيق مطالبه بالدرجة الأولى إلا أنه وضع في مقدمتها العفو عن المتهمين السياسيين من الزعماء العرب، ومن ثم إقامة نظام لامركزي في سورية والعراق، عرج بعدها إلى هدفه الشخصي في جعل الإمارة وراثية في عائلته بكل الحقوق والامتيازات القديمة، واعداً -إذا أجيب طلبه- بإرسال ابنه فيصل للإسهام في جبهات العراق وفلسطين، وإلا فلا مجال له سوى الدعاء للدولة بالتوفيق والنصر(٢). ثم نشط هو وأبناؤه الثلاثة: عبدالله، وفيصل، وعلي، في الإعداد للمعركة الفاصلة، ووزعوا المهمات بينهم،كما تضاعف نشاط الحسين في مكة، فكانت اجتماعاته تغص بكبار الأهالي وأعيانهم وشيوخ الحارات والبارزين من رجال القبائل؛ لتحريضهم على الدولة العثمانية(٣). وقد لاحظ وهيب باشا كثرة اجتماع الحسين مع رؤساء القبائل، وتحركات ابنه عبدالله وارتاب فيها، وأبلغ كبار المسؤولين في إستانبول بشكوكه، لكنه لم

(١) **أنور باشا:** من رجال حزب الاتحاد والترقي، تخرج في المدرسة الحربية وخاض غمار السياسة في مرحلة مبكرة من عمره. أعلن العصيان على استبداد عبدالحميد، وأرغمه على إعلان الدستور. عاد إلى استانبول وأصبح وزيراً للحربية في عام ١٣٣١هـ / ١٩١٣م، كان له دور في إقناع الدولة العثمانية بالدخول في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا، وبعد انتهاء الحرب غادر تركيا في عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م. وفي عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م انضم إلى حرب عصاة ضد البلاشفة. وقتل في بخارى في الثانية والأربعين من عمره. راجع : صفوة ، مج٢، ص ص ٦٩-٧٠.

(٢) الحميد ، عبد اللطيف بن محمد . **البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى.** الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص٢٤٢. وهيم، ص٥٧. بدر، ص٤٣.

(٣) بدر، ص ص ٤٢- ٤٣. الحميد، ص ٢٠٣.

يتوصل إلى معرفة خطة الحسين الحقيقية(١).

وفي إستانبول بدأ كبار المسؤولين العثمانيين يرتابون في تصرفات الحسين، وينظرون إلى طلباته المتكررة بشك كبير، ورأوا أن الركون إليه هو أمر غير مقبول سياسياً(٢)، وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

إن الحسين كان يعلم حق العلم أن المطالب التي طلبها من تركيا لا يمكن لأي دولة ذات سيادة تلبيتها إلا بالطرق الدستورية، وهذه في زمن الحرب؛ فإصراره عليها ليس إلا تعنتاً مقصوداً، بل مؤامرة قديمة يدل عليها اعترافه بنفسه في جريدة القبلة في الخطاب الذي أرسله إلى أحد الزعماء العرب؛ حيث اعترف بأن رغبته منذ تبوئه عرش الإمارة هي تحرير العرب من الحكم التركي(٣).

وبناءً عليه، عهد كبار المسؤولين إلى جمال باشا بمتابعة تصرفات ابنه فيصل، ومراقبة تحركاته، وكان فيصل قد وصل سورية في صفر ١٣٣٣هـ/ مارس (آذار) ١٩١٥م، ثم سافر إلى القدس والتقى بجمال باشا، وأكد أن والده يعمل على مساعدة الدولة العثمانية في الحرب ضد الحلفاء، ووعده بتجهيز ألف وخمسمئة من المتطوعين من أهل الحجاز، وقيادتهم بنفسه إلى جبهة القتال في قناة السويس(٤)، ثم عاد إلى الحجاز(٥).

كما كان تحت تصرف الحسين في مكة ما ينيف على خمسين أو ستين ألف جنيه ذهباً لتجهيز فرقة المتطوعين البالغة ألفاً وخمسمئة شخص لحملة القناة. وقد أرسل جمال باشا البنادق اللازمة إلى المدينة في أواسط جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ/ أواخر إبريل (نيسان) ١٩١٥م؛ إذ كان من المقرر أن ترسل منها إلى مكة، لكن تصرفات الحسين جعلت الحذر مطلباً أساسياً؛ لذا اعتذر جمال باشا بصعوبة النقل، وكتب إلى الحسين يخبره أنه رأى من الصواب أن يرسل المتطوعين لديه إلى المدينة سيراً على الأقدام ومن دون سلاح، وهناك تصرف إليهم البنادق(٦).

اجتمع الحسين بأبنائه في الطائف بعيداً عن مراقبة الوالي العثماني بمكة، وتدارس معهم ما تم إنجازه، وقرروا إتمام الاستعدادات بأقصى سرعة. وعاد فيصل إلى سورية في ربيع الأول ١٣٣٤هـ/

---

(١) بدر، ص ٤٣.

(٢) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ١٢.

(٣) السابق، ص ١٤.

(٤) لمزيد من المعلومات عن حملة قناة السويس، راجع: **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ص ١٧٩-١٩٤.

(٥) بدر، ص٤٣.

(٦) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٠.

يناير (كانون الآخر) ١٩١٦م، واصطحب معه قوة من المتطوعين تبلغ خمسين رجلاً للتمويه على الدولة العثمانية، وأخذ يكمل خطة الثورة على الدولة العثمانية. بينما سافر علي إلى المدينة في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ/ ٢٤ إبريل (نيسان) ١٩١٦م ليقود المتطوعين، وليعمل على الاتصال بأهلها وبالقبائل المقيمة حولها وإعدادهم للثورة في الوقت الذي يحدده والده(١). وقد نزل بمنزل سليم مصطفى الذي كان يقع خارج السور من الجهة الشمالية على درب التجار بجوار سقيفة بني ساعدة(٢)؛ ليسهل عليه التحرك، وليكون بعيداً من رجال بصري باشا(٣).

وبدأ علي -بتوجيهات من والده- يتدخل في بعض الشؤون الإدارية للمدينة، ويعطل بعض أوامر بصري باشا(٤). كما أنه خلال إقامته بها شرع في الاتصال بالأشراف وأهل العوالي(٥) وآبار علي(٦) وقباء(٧) ورؤوس عدد من عائلات المدينة وشيوخ القبائل المحيطة بالمدينة، فأنشأ صلات وثيقة مع شيوخ قبيلة حرب، ومنهم مسروح(٨)، وقبيلة جهينة وبلي(٩)، وأخذ عليهم العهود سراً بأن ينضموا إلى الثورة ويقاتلوا في صفوفها. وكان أول من استجاب له الأشراف، وفي مقدمتهم شحات بن علي – وكيل الحسين في المدينة- وأخوه ناصر، وبعض بني عمرو(١٠)،وأهل وادي

(١) الغصين، فايز. **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**. دمشق: المؤلف، ١٩٣٩م، ص٢٧. بدر، ص٤٣.

(٢) سقيفة بني ساعدة: في المدينة، وهي ظُلة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبو بكر الصديق. راجع: البلادي، ج٤، ص٢١١.

(٣) بدر، ص٤٤.

(٤) السابق.

(٥) العوالي: أعلى المدينة. وهي أرض زراعية عامرة بالبساتين. سكانها خليط من حرب والنخاولة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٦ ، ص ص١٨٥- ١٨٦. انظر خريطة رقم (٣).

(٦) آبار علي: يقع ضمن امتداد وادي العقيق، وهو ميقات أهل المدينة. انظر خريطة رقم (٣).

(٧) قُباء: حي يقع جنوب المسجد النبوي، يتصل شرقاً بقُربان. سكانه جلهم من قبيلة حرب. راجع: البلادي، ج٧، ص٨٣. انظر خريطة رقم (٣)

(٨) مسروح: بطن من حرب، وينقسم إلى بني بني عمرو، وزبيد، وبني عوف، وبني السفر، وبني علي. وبلادهم متفرقة في الحجاز وفي نجد. راجع: الجاسر،حمد. **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**. الرياض: دار اليمامة. ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م،ج٢، ص٦٧٢.

(٩) بلي:تنتشر مساكنها في شمال الحجاز حول الوجه، ممتدة شرقاً إلى العلا ونواحيها. ولها جذمان كبيران هما مخلد وخزام. راجع: الجاسر، ج١، ص٤٣.

(١٠) بني عمرو: بطن من حرب، يقيم بعضهم في نجد وبعضهم في الحجاز. راجع: كحالة، عمر رضا. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط٦. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م،ج٢،ص٨٢٨.

الـريان(١)، وأهل قريـة الفُرع(٢)، وعلى رأسهم أحمد بن جميعان وأخوه ناصر؛ لذلك تضايق بصري باشا وأرسل برقيات إلى جمال باشا يشكو من تصرفات علي، فتلقى فيصل تنبيه جمال باشا واستنكاره؛ إذ قال:

بعد عودتي من المدينة في معية أنور باشا قام أخوك علي بك الذي ذهب إلى المدينة بالتدخل في شؤو ا، ولمـا رفض القيام ببعض الأوامر التي أعطيت له باسم شؤون الإمارة في المدينة حملت هذا الأمر على صغر سن علي وعدم تقديره للأمور، وحذرته بواسطة محافظ المدينة بأن عليه الابتعاد عن القيام بمثل هذه الأفعال، كما أنـني أرسلت طلبا لأبيكم بخصوص هذا الأمر(٣).

كما أبرق أنور باشا إلى الحسين في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ/ ٢٩ إبريل (نيسان) ١٩١٦م يحذره من عاقبة تصرفات ابنه، ويطلب منه أن يعجل بتجهيز المتطوعين من الحجاز، وإرسالهم للاشتراك في حملة القناة؛ إذ قال: "يجب على كل مواطن أن يلزم حدود وظيفته فلا يتجاوزهـا، ولا يتـدخل في شؤون الدولة، وإلا اضطررت لاتخاذ الإجراءات المقتضية في مثل هذه الأحوال، وإنـه يجـب إرسـال المتطوعين بلا تردد، واستدعاء علي من المدينة"(٤). وأرسل برقية أخرى إلى جمال باشا لتشديد المراقبـة على فيصل، ومنعه من مغادرة سورية، ومراقبة تحركاته، فاستطاع الحسين أن يستفيد من البرقية الأولى في تخليص ابنه فيصل الذي استبقاه جمال باشا في سورية(٥)؛ إذ أرسل الحسين إلى أنور باشا رسالة يخبره فيها بأن ا اهدين "أصروا على عدم السفر إلا إذا حضر فيصل ليأخذهم، فإذا كانت الرغبـة حقيقيـة فابعثوا به ليستصحبهم"(٦).

وقد أدت مطالبة الحسين بذهاب ابنه فيصل من سورية إلى المدينة بطريقة مفاجئة إلى أن جمال باشا بدأ يشك فى نواياه وأفعاله(٧).

---

(١) وادي الريان: صدر وادي الفُرع، جنوب المدينة. سكانه بنو عمرو من حرب. راجع: البلادي، ج٤، ص١١٢. انظر خريطة رقم (٤).

(٢) الفُرع: قرية في رأس وادي العِيص، ويطل عليها جبل يسمى الخوجة. سكا ا العنينات من جهينة. البلادي، ج٧، ص٤٦.

(3) Erden,Ali Fuat "Çölde Son Türk Destanları" **Dünya**, nr1298 (7 Ekim 1955)

(٤) سعيد، ص١٢٠.

(٥) بدر، ص ص٤٤- ٤٥.

(٦) ابن الحسين، عبدالله. **الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين**. ط٢. بيروت: الدار المتحدة للنـشر، ١٩٧٩م، ص ص١١٤- ١١٥.

(٧) Altuğ,Yılmaz "Arap Ülkelerinin Osmanlı İmparatorluğundan Ayrılışı" **Belgelerle Türk Tarihi Dergisi (**Ekim 1969) nr25, ss 25-26.

وعند النظر إلى الوضع بصورة عامة سنجد أن جمال باشا كان محقاً في شكوكه؛ لأنه كان بالمدينة نحو خمسمئة متطوع من القبائل، قدموا من مكة للاشتراك في حملة القناة ظاهراً، بينما كانوا يرمون إلى الاستيلاء على المدينة، فأقاموا لهم معسكراً بجوار مسجد سيدي حمزة(١)، وكان علي على رأس تلك القوة(٢) التي ظلت في المدينة شهرين ولم تخرج؛ مما يضيف الشكوك(٣)، وفي ذلك يقول فريدون قاندمير: "كان مع علي قوة تتألف من خمسمئة أو ستمئة جندي، وهذه القوة بخلاف قوة ا اهدين الذين سيشتركون في حملة مصر، وهي تابعة لعلي فقط"(٤).

ومن ناحية ثانية، كان جمال باشا يعلم أن حكومة الحسين غير صادقة في وعودها، خصوصاً بعد وصول تقارير بصري باشا التي تحذر من خطر حكومة الحسين، وتنصح بالقبض عليها قبل أن يستفحل أمرها(٥)، إضافة إلى ما كانت تشيعه صحيفة الطان التركية عن الحسين وتواطئه مع بريطانيا واتصالاته م(٦).

وفي الفترة نفسها قدم فيصل من سورية إلى المدينة متظاهراً برغبته لقاء أولئك ا اهدين، إضافة إلى جلب القوة المكونة من ألف وخمسمئة هجان التي سيرسلها الحسين إلى مقر الجيش الرابع عند جمال باشا(٧).

ومن ثم افق العثمانيون على طلب الحسين على الرغم من ارتيا م المتزايد فيه واشترطوا أن يغادر علي المدينة لعدم انسجامه مع بصري باشا، فأجاب الحسين بأنه عند وصول فيـصل سـيترك علـي المدينة(٨).

ويتبين لنا مما سبق أنه على الرغم من أن الحسين كان يسعى لإخفاء نيته إلا أن جمال باشا كـان يشك في أمره؛ فقد فهم أن ذلك الأمر حجة ليخلص الحسين ابنه من يديه، لكن جمال باشا آثر التريث

---

(١) سيدي حمزة : مشهد سيدي حمزة بن عبدالمطلب يقع في سفح جبل أحد من الجنوب مما يلي وادي قناة، يقابل جبل الرماة من الشمال الغربي. راجع: البلادي، ج٣، ص٦٢. انظر خريطة رقم (٢) و (٣).

(٢) Kiciman, Naci Kasif. **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, Istanbul,1971, s39.

(٣) a.g.e.

(4) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s38.

(٥) بدر، ص٤٥.

(٦) وهيم، ص٥٩.

(٧) **مذكرات** جمال **باشا السفاح**، ص ٢٦١.

(٨) ابن الحسين، **الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين**، ص ص١١٤- ١١٥.

وتنفيذ أوامر العاصمة والإذن لفيصل بالسفر إلى المدينة، وأوضح في مذكراته سبب إعطائه الإذن على الرغم من شكه فيه؛ إذ قال: "على الرغم من أنني شعرت على الفور أن الهدف من حركة فيصل بتلك هذه هي الفرار من يدي فإنني تظاهرت بأنني قد خدعت من الشريف حسين وأولاده؛ فقد فضلت الاستمرار في هذا الأمر حتى النهاية"(١).

واستمر جمال باشا في اتباع سياسة غض الطرف عما يفعله الحسين وأبناؤه منذ بدء الحرب؛ لأن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت لا تريد الانشغال بأكثر من مشكلة(٢)؛ فقد كان جمال باشا يعلم بحساسية الموقف، واعتقد أن الإمساك بفيصل في سورية، وعدم إرساله إلى المدينة، سيجعله الحسين سبباً لثورته؛ لذلك لم يعطه تلك الفرصة(٣)، فالتقى بفيصل وأبلغه موافقته على سفره إلى المدينة لقيادة المتطوعين(٤).

وأوضح جمال باشا سبب سماحه لفيصل بالذهاب إلى المدينة بقوله: "حسناً، لقد صرحت لك. فاغد إلى المتطوعين في المدينة، واستقبلهم باسمي، واستقبلهم هنا. وسآمر مصلحة السكة الحديدية بنقل الجنود، وأرسل معك بعض العلماء في دمشق ليكونوا في ركابك، وبذلك تستطيع أن تؤلف وفداً خاصاً لاستقبال المجاهدين"(٥). وقد تأكدت ريبة جمال باشا عندما لاحظ سرور فيصل بذلك القرار، فهو يقول في هذا الصدد: "وما كدت أفرغ من هذه الكلمات حتى برقت أسارير وجهه، وكاد فؤاده يطير فرحاً، فتجلت لي الحقيقة وتكشفت"(٦). وبين جمال باشا لعلي فؤاد بك(٧): أنه موقن بأن الثورة سيشب ضرامها في الحجاز في القريب العاجل؛ لأنه رأى فيصلاً قد فرح أشد الفرح لاعتقاده بأنه خدعه حتى إنه لم يستطع إخفاء شعوره(٨).

وحال وصول فيصل إلى المدينة في ١٣ رجب ١٣٣٤هـ/١٦ مايو (أيار) ١٩١٦م اجتمع بأخيه

---

(١) **مذكرات** جمال **باشا السفاح**، ص٢٦١.

(2) Erden, " Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1301-1302.(10-11 Ekim) 1955.

(٣) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 3221, Dosya nr H. 33. f. nr 1-2**

(٤) بدر، ص٤٥.

(٥) **مذكرات** جمال **باشا السفاح**، ص ٢٦١.

(٦) السابق.

(٧) علي فؤاد بك: رئيس أركان حرب جمال باشا. راجع: **مذكرات** جمال **باشا السفاح**، ص ٢٦١.

(٨) **مذكرات** جمال **باشا السفاح**، ص ٢٦١.

علي فيها[١]، ونزل معه في م ل مصطفى سليم، وواصل الشقيقان التظاهر بجمع المتطوعين، وإقناع رؤساء القبائل والبيوت الكبيرة في المدينة بإرسال أبنائهم معهما إلى السويس، بينما كانا يجتهدان في إقناع من يلتقيان ما بالثورة على الدولة العثمانية[٢].

وعقب وصول فيصل إلى المدينة طلب الحسين من جمال باشا قدراً من المال؛ لتغطية نفقات ا اهدين، فكلف جمال باشا بصري باشا أن يسلم إلى علي المبلغ المطلوب[٣]، ومنح أولئك المتطوعين خمسمئة بندقية من طراز موزر السريع الطلقات[٤].

ولما كان بصري باشا يعلم نوايا حكومة الحسين تأخر في تنفيذ أمر جمال باشا، فشكا فيصل وعلي بصري باشا إلى جمال باشا، وطلبا منه أن يؤكد عليه منح المتطوعين من أبناء القبائل السلاح الذي أمر به، ونجحا في حمل جمال باشا على أن يعطيهم نصف عدد ما أعدوه من الجمال لذلك الهدف، مع ثلاثة آلاف وخمسمئة قطعة ذهبية بدلاً من النصف الآخر[٥].

ثانياً: تعيين عمر فخر الدين باشا[٦] قائداً عسكرياً ومهامه:

لما كان فيصل سيذهب إلى المدينة ليلتقي بأخيه علي الذي كان ينتظره هناك مع ا اهدين الذين معه[٧]، وبناءً على تحذيرات بصري باشا، اتخذ جمال باشا عدة تدابير ا ة المشقات والغوائل، فقرر

(١) الحميد، ص٢٠٣.

(٢) بدر، ص ص٤٥- ٤٦.

(٣) **مذكرات جمال باشا**، ص ص ٢٦٢- ٢٦٣.

(٤) Kıcıman, s39.

(٥) **مذكرات جمال باشا**، ص٢٦٣.

(٦) **عمر فخر الدين بن محمد ناهد بن عمر (١٢٨٤ ــ ١٣٦٧هـ/ ١٨٦٨ ــ ١٩٤٨م)**: ولد في مدينة روسجوق في شمال تركيا، وتلقى تعليمه فيها. التحق بالمدرسة الحربية في إستانبول وتخرج فيها عـام ١٣٠٥هـ ـ/ ١٨٨٨م. عمل في الجيش الرابع في أرزنجان، وفي عام ١٣٢هـ/ ١٩٠٣م كان عضواً في لجنة تحديد الحدود العثمانية الروسية، وفي عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م اضطلع بمهام منصبه كقائمقام ورئيس، رقي عام ١٣٢٦هـ ـ/ ١٩٠٨م إلى رتبة وكيل رئيس أركان الجيش الرابع ، وشارك في حرب البلقان ، وفي مطلع الحرب العالمية الأولى عين وكيلاً لقائد الجيش الرابع المرابط في سوريا، ثم كلف بالسفر إلى المدينة للوقوف على أحوالها، فوصلها والملك الحسين يعد لثورتـه على العثمانيين، ثم تولى عدة مناصب سياسية وإدارية. توفي ودفن بناء علـى طلبـه في قلعـة (روملـي حـصار) الشهيرة.راجع: Kiciman, ss23-31.

(7) Kandemir, s38.

إرسال الفيلق السابع الموجود في معيته برئاسة فخري باشا إلى المدينة(١)؛ ليرتب مع بصري باشا وسائل الدفاع عن المدينة في حالة شعورهما بأي حركة من جانب الحسين وأبنائه(٢). وقد أخذ فخري باشا أمر الذهاب إلى المدينة بقرار سرى ببلاغ مؤقت في ٧ رجب ١٣٣٤هـ/ ١٠ مايو (أيار) ١٩١٦م بناءً على رغبة جمال باشا(٣).

ومع أن فخري باشا أخذ أمر الذهاب إلى المدينة بقرار سري إلا أنه تم إخباره بمسؤولياته، وما عليه القيام به إذا واجه أي أمر سلبي(٤)؛ ففي ٢٠ رجب ١٣٣٤هـ/ ٢٣ مايو (أيار) ١٩١٦م تلقى فخري باشا برقية من جمال باشا أوضح له فيها حقيقة الوضع، وشكوكه حول علي وفيصل، وأمره بالتوجه نحو المدينة لزيار ا، ومراقبة الأوضاع فيها، وكان من المقرر أن يعهد إليه بالقيادة والصلاحية إذا دعا الأمر، لكن من دون التدخل في الشؤون السياسية(٥)؛ إذ قال له: "اذهب إلى المدينة ومعك القدر اللازم من الرجال في معسكرك وكأنك تريد أن تفتش على من في العقبة والخطوط الحديدية التي في منطقتك، وكأنك مررت بالمدينة المنورة صدفة، وخذ معك شفرة قيادة الفيلق، وكن في المدينة كأنك زائر فيها، ولا تتدخل في أي أمر من الأمور، ودبر أمور فيلقك من المدينة"(٦).

كان الهدف الأساسي من قيام جمال باشا بتلك الأعمال في سرية تامة هو عدم إعطاء الفرصة للحسين بأن تكون تلك الأعمال سبباً للقيام بالثورة عند بحثه عن حجة لها؛ فقد كان الحسين يشك في كل شيء؛ لأنه كان يتبع سياسة ذات وجهين، خصوصاً أنه شك حتى في الكتيبة التي جاءت إلى المدينة لإرسالها إلى اليمن(٧). وحتى لا يعطي جمال باشا مجالاً لتلك الشكوك قال في خطابه الذي خطّه بلطف بالغ إلى فيصل في ٢٣ رجب ١٣٣٤هـ/ ٢٦ مايو (أيار) ١٩١٦م: "لقد سمحت لفخر الدين باشا قائد

---

(١) Kandemir, ss 36-37. **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٢.

(٢) زيدان، ص٩٤. الحميد، ص٢٤٦. **مذكرات جمال باشا**، ص١١.

(3) Orbay,Rauf "Çöl Kaplanı Fahreddin Paşa'nm Medine Müdafaası" **Yakın Tarhimiz,** I, ss152-153.

(٤) على الرغم من حسن نوايا لحكومة العثمانية تجاه الحسين منذ بداية الحرب العالمية الأولى، فإن سـلوك الحـسين تجاهها ظل غير واضح بسبب عدم إعلان نواياه الحقيقية في القيام بأي تحرك مضاد لها، ووضع العثمانيون في حسا م مواجهة أي أمر سلبي أو عصيان ضد الدولة العثمانية أو إذا حدث هجوم على قوات الدولة كان سـيتم مواجهتـه بأسلوب جاد.

(5) Kıcıman, s26.

(6) Kandemir, ss37- 38.

(٧) سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

الفيلق السابع الذي يقوم بالتفتيش في جنوب سورية بزيارة المدينة المنورة، وهو كما نعرفه متدين للغاية طاهر القلب من الأشخاص الذي أثق فيهم بشدة، ولهذا أرجو معاملته بكل أوجه الكرم والمودة اللازمة له باسمي في المدينة المنورة"(١).

ووصل فخري باشا بالقطار إلى المدينة(٢) في ٢٦ رجب ١٣٣٤هـ / ٢٩ مايو (أيار) ١٩١٦م(٣) ليشرع في تنفيذ المهام التي أسندت إليه(٤).

وما لبث أنور باشا أن وصل بالقطار إلى المدينة أيضاً لتفقد الأحوال فيها. وبوصول فخري باشا إلى المدينة تم تقسيم الوظائف والمهام(٥)، وأخبر جمال باشا محافظ المدينة بصري باشا بمهمة فخري باشا ووظيفته؛ حتى لا يحدث أي خلاف بينهما(٦)، وأعطى جمال باشا كلا من بصري باشا وفخري باشا تعليمات سرية تقضي بأن يتسلم فخري باشا عند أول إنذار بقيام الثورة قيادة القوات ضد أبناء الحسين، وأن يقوم بصري باشا بأعباء الإدارة الملكية(٧)، وأعطى جمال باشا فخري باشا صلاحية استخدام النقود التي يريدها عند اللزوم في أثناء تلك المهمة، كما سمح له بإعطاء النقود والمنح إلى شيوخ القبائل تمشياً مع سياسة الدولة العثمانية لكسب ودهم(٨).

وعقب وصول فخري باشا إلى المدينة سارع فيصل وعلي إلى لقائه والترحيب به، وأظهرا له كل مودة(٩)، وتبودلت الدعوات والولائم؛ إذ دعياه إلى مأدبة طعام(١٠)، هو وبصري باشا، في محاولة

---

(1) Kandemir, s38.

(٢) وصلت معه أول مركبة تدخل المدينة ، وهي مركبته التي ينتقل ا وقد شحنها معه، وهي المركبة الوحيدة في المدينة سنوات عدة. راجع: بدر، ص٤٦.

(٣) Kıcıman, s26.

(4) Kandemir, s38.

(5) **Birinci Cihan Harbinde Türk Harbi IV, Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı.**,ss835-837. Kandemir, SS36-38. **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٢.

(٦) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٢.

7) Kandemir, ss36-38. **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٢.

(8) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr3221, Dosya nr H. 33, f. nr 3-5.**

(٩) بدر، ص٤٦.

(١٠) Kandemir, ss36-38.

منهما للقبض عليهما[١]، لكن فخري باشا فضل الذهاب أولاً إلى زيارة الروضة المطهرة، وبعدما زارها اصطحب معه مجموعة من الضباط والخيالة وذهب إلى المأدبة[٢] التي أعدها فيصل وعلي من أجله في المعسكر الموجود في منطقة مسجد حمزة[٣]، وقال فخري باشا: "من يوم وصولي إلى هنا ما زالت علاقاتي حسنة مع كل من الشريف علي وفيصل بك، وقد دعواني منذ يومين لزيارة مقام سيدي حمزة حيث هناك معسكر ا اهدين، فتغدينا معاً، وجعل المتطوعون يلعبون ألعاب سكان البوادي، وأخذوا يترنمون بالأغاني الحماسية والضربات القاصمة التي سي لو ا بالإنجليز"[٤].

ومع أن بصري باشا -محافظ المدينة- قد دعي إلى تلك المأدبة إلا أنه تحجج بمرضه ولم يذهب إليها؛ حتى لا يشعر أبناء الحسين الذين حاربوه منذ قدومه بنيته الحقيقية[٥]، وبناءً عليه لم يتمكن أبناء الحسين من القيام بخطتهم التي اعتزموها؛ لعدم حضور بصري باشا تلك المأدبة[٦]، ويوضح ذلك قيجيمان فيقول: "وقد بدا واضحاً من تصرفات المتطوعة العرب وحركا م أثناء الوليمة أ م على أهبة الاستعداد لتلقي إشارة إطلاق النار، غير أن عدم تلبية بصري باشا الدعوة وانتظاره على رأس القوة التركية المنتظرة للهجوم حال دون تطبيق برنامج الهجوم المزمع"[٧]، ومن ثَم فإن ما أبداه فيصل وعلي من احترام وتقدير لفخري باشا كان رغبة منهما في عدم اكتشاف خطتهم.

وكانت خطة الثورة في المدينة قائمة على أساس أن ينسحب فيصل وعلي ورجالهما من المدينـة من دون أن يشعر ما فخري باشا، وأن يذهبا إلى منطقة قريبة عند أنصارهما لجمع الرجال من القبائل، ومن ثَم مهاجمة الجيش العثماني من خارج المدينة، بينما يهاجمها من الداخل مجموعات مـن الرجـال بقيادة شحات بن علي في العوالي، وأحمد بن جميعان في آبار علي[٨].

وكان علي قد أنشأ خلال إقامته بالمدينة صلات وثيقة مع شيوخ حرب وجهينة وغيرهـا مـن القبائل، وأخذ عليهم العهود بأن ينضموا إلى الثورة، ويقاتلوا في صفوفها، وأسهم في ذلـك الـشريف

---

(١) Kıcıman , s40. a. g. e, ss36-38.

(٢) رغم أن بصري باشا رجا من فخري باشا أن يعتذر عن تلبية تلك الدعوة والتذرع بأي شيء مثلـه. راجـع: Kıcıman, s40.

(٣) Kıcıman, s40. Kandemir, ss 36-38.

(٤) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٣.

(٥) Kandemir, ss36-38.

(٦) Kıcıman, ss39-40.

(٧) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s 40.

(٨) بدر، ص ص ٤٩ ـ ٥٠

شحات بن علي وأخوه ناصر كما ذكرنا سابقاً(١).

كان خبر تلك العلاقات التي أقامها أبناء الحسين في المدينة قد انتشر بين رؤساء الأسر والقبائل، وانتقل منهم إلى كثيرين، وكاد يفشو بين الصغار والكبار، لكنه لم يبلغ فخري باشا ورجاله؛ مما ساعد علياً وفيصلاً على عدم الكشف عن تصرفاتهما(٢). وعلى الرغم من أن فخري باشا كانت تساوره الريبة فيهما، كما هو حال جمال باشا في سورية، إلا أن الحيلة جازت عليه كما جازت على جمال باشا؛ إذ نجحا في تجميد شكوك فخري باشا إلى حين، بل أشعراه بأنهما رهينتان عنده(٣)، واستأذناه ليسرعا بالمتطوعين إلى القناة وفلسطين بحجة أن كبار المسؤولين في تركيا هددوا والدهما، وأن الوالد أمرهما بالإسراع في تلبية الأوامر(٤)، وقد تعرض فخري باشا لهذا الموضوع قائلاً: "وفي مساء الأمس - يقصد ٢٧ رجب ١٣٣٤هـ/ ٣٠ مايو (أيار) ١٩١٦م- دعيت إلى منزل علي بك وفيصل بك، وكان قد تقرر أن نذهب إلى درعا لمشاهدة أول كتيبة من المجاهدين"(٥).

وهكذا ترك علي وفيصل المدينة في ٢٩ رجب ١٣٣٤هـ/ ١ يونيو (حزيران) ١٩١٦م إلى معسكر سيدي حمزة على رأس فريق كبير من المتطوعين للقناة بعد أن تسلما من فخري باشا مبلغاً من المال وقسماً من الذخيرة، ومضيا بالمتطوعين في ٣٠ رجب ١٣٣٤هـ/ ٢ يونيو (حزيران) ١٩١٦م في الطريق الشرقي(٦) حتى بلغا الخانق(٧)، ثم عادا والتفا في ١ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٣يونيو (حزيران) ١٩١٦م إلى آبار علي، فعسكرا هناك انتظاراً لأمر الثورة في مكة(٨)، وأرسلا الرسل إلى القبائل يدعوانهم لموافاتهما، ولم ينقض أسبوع حتى وافاهما نحو ستة آلاف مقاتل(٩).

---

(١) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٥٥. راجع: ص٢٥ من هذه الدراسة.

(٢) السابق، ص٥٠.

(٣) بدر، ص٤٦.

(٤) السباعي، ص ٦٠٥.

(٥) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٣.

(٦) السباعي، ص٦٠٦.

(٧) الخانق: واد للبلادية يسيل من الشراء فيدفع في وادي الخرار (وادي الجحفة) من الشرق، فيصب فوق غدير الغربة من الشرق. راجع: البلادي، ج٣، ص٩٧.

(٨) العمري، صبحي. **أوراق الثورة العربية. المعارك الأولى. الطريق إلى دمشق**. لندن: رياض الريس، ١٩٩١م، ص١٠٥. السباعي، ص٦٠٦. سعيد، ص١٢١.

(٩) سعيد، ص١٢١.

كان سفر علي وفيصل والمتطوعة من معسكر سيدي حمزة شمال المدينة إلى آبار علي جنوبي غر ا ١ شعبان١٣٣٤هـ/ ٣ يونيو (حزيران) ١٩١٦م أول نذير للعثمانيين بخروج حكومة الحسين عليهم، وانفضاضهم من حولهم، وبدء حصار المدينة(١).

وبدأ أمر الثورة أكثر وضوحاً في اليوم التالي بعد خروجهم من معسكر سيدنا حمزة في ٢ شعبان/ ٤ يونيو (حزيران)، وفي أثناء ذلك تسلم فخري باشا ثلاث برقيات؛ اثنتان منها موجهتان من الحسين إلى كل من جمال باشا والصدر الأعظم وكانتا مشفرتين، أما البرقية الأخيرة فموجهة من علي إلى فخري باشا يذكر فيها أنه بناءً على أوامر والده فقد أوقف نقل المتطوعين إلى سورية، وقرر العودة إلى مكة بدلاً من إضاعة الوقت هناك(٢).

وبعد وصول تلك البرقيات أرسل فخري باشا كتيبة استطلاعية إلى معسكر المتطوعين، فوجده خاوياً على عروشه، عندها تيقّن فخري باشا أ ا الثورة، فسارع بالاتصال بجمال باشا، فأرسل إليه رسالتي الحسين الموجهتين إليه وإلى الصدر الأعظم، كما أرسل إليه رسالة مشفرة في ٢ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٦م شرح له فيها حقيقة الوضع، وأخبره بأن ما كتبه بصري باشا محافظ المدينة حول اعتزام الحسين وأبنائه القيام بالتمرد كان صحيحاً، وأنه كان ينبغي أن يصدقوا كل ذلك(٣)، وذكر في الرسالة أنه طبقاً للتعليمات فقد تحمل قيادة الوحدات الموجودة في المدينة مباشرةً، وأنه اتخذ كل التدابير الدفاعية تحسباً لأي احتمال(٤)، وطلب منه تزويده بالإمدادات الكافية(٥).

وبعدما وصلت الرسالة المشفرة من فخري باشا إلى جمال باشا اطلع على حقيقة الوضع؛ إذ تضمنت برقية الحسين إليه اعتذاره عن المشاركة في حملة القناة إلى أن يتم الاستجابة لطلباته التي سبق أن طلبها من الدولة العثمانية، أما الثانية الموجهة إلى الصدر الأعظم فقد قال فيها: إنه لا يعرف هل يصدق جمال باشا الذي أظهر له ا املة والود أو أنور باشا الذي استعمل معه ألفاظاً جارحة معيبة في البرقية التي أرسلها إليه في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٣٤هـ/ ٢٩ إبريل (نيسان) ١٩١٦م، ولفت نظره فيها إلى وجوب تغيير سلوك ابنه علي حيال حاكم المدينة(٦)، وتضمنت أن الحسين سوف يقطع علاقته بالدولة

(١) السابق، ص١٤٦.

(٢) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٤. الحميد،ص ٢٤٧. Kandemir, s 41

(٣) Kıcıman, s26.

(4)- Güngör, Selahattin. **Kumandanlarımızın Harp Hatıraları**. İstanbul,1937, ss84-85. **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٤.

(٥) بدر، ص٥١.

(٦) راجع نص البرقية الموجهة من أنور باشا إلى الحسين ص٢٧ من هذه الدراسة.

ما لم تتم الاستجابة لطلباته(١).

وينبغي أن نذكر هنا أن الحسين لما لم يجد ذريعة أخرى للقيام بالثورة اعتزم أن يستغل لهجة الخطابات إلى أقصى حد؛ لأن الخطابات التي أرسلها جمال باشا كتبت بأسلوب لا يدع مجالاً للخلاف. ومن جهة أخرى، لم تكن هناك كلمة جارحة في خطاب أنور باشا، وإن كان لم يكتب بعبارات ا املة. ومن ذلك نرى أن لهجة خطاب أنور باشا كانت ذريعة لإعلان الثورة(٢). وفي الواقع أن النية الحقيقية وراء سلوك الحسين قد قالها عبد الله لغالب باشا(٣) -والي مكة- قبل ذلك الحدث بعدة أيام؛ فقد قال بوضوح وصراحة: "عندما يأتي فخري باشا إلى مكة سيعلق لنا المشانق أمام بابكم"(٤). وفي ذلك يقول فيجيمان: "كان من المؤكد أن يوم العصيان قد أصبح وشيكاً، وأنه في حالة احتجاز ابني الحسين علي وفيصل لن يكون في مقدوره -أي: الحسين- عمل شيء، وقد طلب بصري باشا وفخري باشا من جمال باشا أن يسمح لهما بالقبض على الأخوين المذكورين، إلا أ هما لم يتلقّيا رداً حتى ذلك الوقت"(٥)، ومن ثَم فإن تصرفات الحسين وأبنائه تلك ليست إلا بداية ثورة لم يوضع لها اسم.

وعلى الرغم من تلك التطورات، إضافةً إلى المعلومات المستقاة من المدينة، إلا أن جمال باشا ظل غير متيقن من موقف حكومة الحسين، فسأل غالب باشا عن الوضع، وأخبره بالوثائق والأدلة التي حصل عليها بصري باشا بأن مكة قد أُشعرت بيوم بدء العصيان وبرنامجه. وجاء رد غالب باشا إلى جمال باشا وبصري باشا على السواء أنه "ليس هناك أدنى شك في سمو الأمير -يقصد الحسين- وأنه من المستبعد وقوع حركة عصيان كهذه، وأن المعلومات المتحصل عليها في هذا الصدد لا نصيب لها من الصحة، ولا أساس لها من الواقع، وأن الحسين يدين بكامل الولاء والطاعة لمقام الخلافة العظمى، ولا يفتر عن الدعاء بالخير للسلطان، ودوام عمره، وازدياد شوكته"(٦). كما قال: يجب ألا نشغل بالنا كثيراً في الفترة التي يجري فيها الاستعداد للحرب(٧). ولم يقدم غالب باشا أي احتمال لقيام الحسين بثورة؛ لهذا وجد التدابير التي تم اتخاذها من قبل جمال باشا لا معنى لها. وفي تلك الأثناء جاء خطاب إلى غالب باشا من حسين بن مبيريك(١) -شيخ رابغ- بواسطة إبراهيم باشا -متصرف نجد- ذكر فيه أن

(١) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٤. الحميد، ص٢٤٧. Kandemir, s 41

(٢) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ص٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٤) Güngör, ss 84-85.

(5) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s 40.

(6) a. g. e, s 41.

(٧) **أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Dosya, Klasör nr 1/4953, nr 6-8446, nr H-l, f. nr 2-4.**

باشا من حسين بن مبيريك(١) -شيخ رابغ- بواسطة إبراهيم باشا -متصرف نجد- ذكر فيه أن "أمير مكة الذي اتفق مع بريطانيا سيقوم بثورة في المدينة وجدة والطائف في ٥ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٧ يونيو (حزيران) ١٩١٦م، وقد طلب إليّ بواسطة علي الموجود في المدينة الانضمام إلى تلك الثورة، وستبدأ الثورة في المدينة وجدة والطائف في اليوم نفسه"(٢).

ومع ذلك لم يكن غالب باشا يرغب في تصديق أن الحسين سيقوم بثورة؛ لهذا كلف المقدم (البكباشى) سليمان بك -رئيس فرقة الإنشاءات- بالبحث عن صحة ذلك الخبر، وأرسله إلى مكة، وأخبر سليمان بك غالب باشا أن الحسين سيقوم بثورة مع بريطانيا، لكن غالب باشا ظلّ يعتقد بعدم صحة ذلك الأمر، وقد كان لليمين الذي أقسمه الحسين بإخلاصه للدولة العثمانية دور في ذلك الوضع(٣).

وعلى الرغم من أن تلك التطورات الواقعة في المدينة كانت تمثّل بشير ثورة وعصيان، إلا أن جمال باشا أوصى فخري باشا بألا يتبع سياسة توسيع الهوة والخلاف بين حكومة الحسين والدولة العثمانية، وأبلغ جمال باشا أوامره إلى المدينة بعدم التحرك بأي شكل من الأشكال ما لم يندلع عصيان الحسين وأبنائه فعلياً، وأنه إن لم يتم التصرف على هذا الأساس فإن ذلك من شأنه إحداث أثر سيئ في الرأي العام في العالم الإسلامي، فقد قال: "يجب أن تموا بألا تشرعوا في حركات قد تفتح ثغرة بيننا وبين الحسين يصعب سدها، أما إذا بدأت هذه الحركات من قبلهم فيجب أن تجابه بشدة"(٤)، وتوعد من يخالف أوامره بأشد العقاب(٥)، وطلب من فخري باشا القيام بالتدابير الآتية:

١- انتظار تطور الموقف، والقيام بالدفاع.
٢- حماية السكة الحديدية، وتقوية الحراسة في المحطات الضعيفة.
٣- تخزين القدر اللازم من الماء والمؤن من أجل القوات التي ستدافع عن المحطات.
٤- حماية المدينة من نيران مدفعية قوات الحسين، ويدخل في خط الدفاع ذلك حماية منابع الماء والبساتين وبساتين النخيل الموجودة بقرب المدينة.

---

(١) حسين بن مبيريك (....– ١٣٣٧هـ/....– ١٩١٩م) : من زبيد من مسروح من حرب وشيخ بلدة رابـغ تولى مشيخة قبيلته بعد أخيه عرابي. كان من أهم شيوخ حرب وأكثرهم نفوذاً دامت مشيخته تسع وعشرون عامـاً، وكان يمتلك عدة سفن تجارية، ويعمل في تجارة السلاح. راجع: صفوة، مج٢، ص٩١.

(٢) Güngör, ss 86-91.

(٣) Abdullah, Kral "Hatıraları" (Çev. Ö. Erektiren) H.T.M., nr. 8,s. 41-42, Bayur,s271.

(٤) Kandemir, s38.

(٥) Kıcıman, s41.

٥- إذا ظهرت ثورة معلنة، وتعرضت المدينة لعشرات الهجمات، فيجب صدها بشدة(١).

وكما لوحظ فقد حدثت ثورة فعلية، لكن لم يحدد اسمها، ومع كل ذلك ظل جمال باشا يتبع سلوكاً متفائلاً إلى حد ما تجاه حكومة الحسين، وقد قيم أحد الباحثين سلوك جمال باشا قائلاً: "إن جمال باشا كان في حالة غريبة من التفاؤل لم يتمكن من التخلص منها، أو أنه أراد أن يقول للتاريخ: إنني فعلت كل ما بوسعي كي أمنع سفك دماء المسلمين في الحجاز"(٢)، بينما يقول أحد الباحثين: "إن جمال باشا أفرط في الثقة بالحسين وأولاده، واستبعد أن يقدموا وهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم على مناوئة دولة الخلافة وهي مشتبكة في حرب نتيجتها الحياة أو الموت، أو يمالئون العدو عليها، ويشقون عصا الإسلام"(٣). إن أكبر عامل لتصرف الدولة العثمانية أو جمال باشا على ذلك النحو في الحيطة الشديدة في موضوع الحسين هو إعلان الجهاد الأكبر مع دخول الحرب العالمية الأولى، وأن تأثير سلوك الحسين على العالم الإسلامي أمر مجهول، حتى إن الدولة العثمانية كانت تعتقد أن ذلك الموقف سيدفع ا إلى مأزق، وبناءً على ذلك الظن والاعتقاد كانت تعامل الحسين بسماحة. هذا من جانب، ومن جانب آخر كان جمال باشا وفخري باشا يقومان بالتدابير المطلوبة لمواجهة أي تطور في الموقف.

ثالثاً: الخطط الإستراتيجية العثمانية في المدينة

الملاحظ أن جمال باشا كان -كما أوضحنا من قبل- يتبع سلوكاً متفائلاً إلى حد ما تجاه الحسين وأبنائه، إلا أنه كان يأخذ الحيطة اللازمة لأي احتمال؛ فقد كان بالمدينة عند وصول فخري باشا قوة عسكرية مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي، عززها بنجدات جديدة أخرى؛ لإرسالها إلى اليمن؛ مما زاد في مخاوف الحسين وأبنائه؛ لأ م أدركوا أن حشد تلك القوات في المدينة، وتوالي وصول النجدات إليها، معناه أن العثمانيين يريدون الفتك م، وضر م الضربة القاضية، فيزحفون بذلك الجيش إلى مكة بحجة السفر إلى اليمن، ويدخلو ا بالاتفاق مع القوة العثمانية الباقية فيها، وهكذا تنهار آمال الحسين وأبنائه، ويضعف مركزه إن لم نقل: إن حياته تصبح في خطر؛ لذلك قرر التعجيل بإعلان الثورة(٤).

وبناءً عليه، بالغ علي في إكرام كتيبة اليمن وضباطها، واجتهد حتى لا يشعر جمال باشا بالنوايا والأهداف الحقيقية لحكومة الحسين(٥)، وقال لهم: "أمرني والدي الباشا بأن أمضي بكم إلى اليمن على

---

(١) Orbay ,ss279-280. Kandemir, ss457- 458.

(٢) Orbay, s 280.

(٣) **مذكرات** جمال **باشا السفاح**، ص١٢.

(٤) سعيد، ص ١١٩.

(٥) Kıcıman, s39.

الرحب والسعة، وأن أوفر لكم كل ما تمس إليه الحاجة لراحتكم في الطريق"[١].

أما الواقع، فإن البدو المسلحين كانوا قد أحكموا سيطر م على الشعاب، واستعدوا لاستقبال تلك الكتيبة برصاص بنادقهم، وكان بصري باشا يعلم ذلك جيداً[٢]؛ إذ كان على يقين تام من النية الحقيقية لعلي وفيصل؛ إذ أخبر بصري باشا جمال باشا أن "هناك إشاعة بأن تلك القوة التي كانت ناقصة التمرين، والتي لا يكاد عدد المقاتلين في كل فصيلة من فصائلها يزيد على خمسين رجلاً وضابطاً من ضباط الاحتياط، سيسوقها البدو إلى شرك أعد لها فيما بين مكة والمدينة على إثر الخطب المهيجة التي ألقاها الحسين"[٣]. وبناءً على ذلك أرسل جمال باشا أمراً إلى بصري باشا بألا تغادر المدينة[٤] قوات الإعانة البالغ عددها نحو ثلاثة آلاف، المرسلة من إستانبول لإكمال النقص في منطقة اليمن، وذلك ا ة المشقات والغوائل[٥]، وأمر بأن يقوم الضباط الموجودون بمباشرة تمرين الجنود وتسليحهم بالبنادق التي كان في النية إرسالها إلى متطوعي مكة[٦]، كما أمر بمراقبة كل من علي وفيصل عقب الأخبار التي نقلها بصري باشا عن الكمائن التي نصبتها القبائل الموالية للحسين في طريق القوات المتجهة إلى اليمن[٧].

قام بصري باشا بتأخير كتيبة اليمن التي كان من المتعين أن تخرج بالمال والعتاد لتوصيله إلى القوات المرابطة في اليمن، فشكا فيصل وعلي بصري باشا إلى جمال باشا، وطلبا منه أن يؤكد على بصري باشا بضرورة إنفاذ كتيبة اليمن إلى الجنوب فوراً، إلا أن بصري باشا إدعى أن كتيبة اليمن لم تنتهِ من استعدادا ا للخروج بعد، وأنه لم يجهز الأسلحة التي سوف تعطى للمجاهدين[٨]، ومنع خروج الكتيبة لحمايتها من ذلك المصير، والحيلولة كذلك دون الهجوم المتوقع أن يشنه البدو على المدينة؛ إذ لم

---

(١) a. g. e, s40.

(٢) a. g. e.

(٣) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦١.

(٤) يقول Kıcıman (s94): لما لم يعد في الإمكان إرسال مفرزة اليمن التي عبأت لحمل العتاد والأموال إلى القوات الموجودة باليمن قبل بداية الثورة، كلف أشرف بك قائد ا اهدين بتوصيل المـال إلى القـوات المـذكورة بطريـق الصحراء.

(٥) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٢.

(٦) السابق.

(٧) وهيم، ص ص٥٩- ٦٠.

(٨) Kıcıman, s39.

يكن في المدينة قوة سوى فرقة المحافظ المعنية بحماية خط السكة الحديدية(١).

ويتبين لنا مما سبق أن العثمانيين الذين كانوا يرغبون في إرسال كتيبة اليمن لدعم القوات المرابطة فيها توقفوا عن ذلك عند اكتشافهم أن حكومة الحسين خططت للقضاء عليهم، وأ م ينوون ضرب القوة؛ لذا تركت في المدينة من باب الحيطة للدفاع عنها إذا تعرضت لهجوم؛ فقد بعث جمال باشا إلى بصري باشا يحذره من سلوك علي، وأن يكون على أتم الاستعداد للدفاع عن المدينة(٢)، وهو ما يخالف ما ذكره سعيد أن فخري باشا عزز القوة العسكرية في المدينة بنجدات تحت شعار إرسالها إلى اليمن(٣).

وعقب دخول فخري باشا إلى المدينة أمر جمال باشا بإبقاء كتيبتين إلى ثلاثة كتائب عسكرية وبطاريتين جبليتين في سورية تكون جاهزة للزحف إلى المدينة في حال وقوع أمر سلبي(٤) تحت قيادة القائمقام سليمان شوكت بك، ولم تكن تلك القوات على علم بالمكان الذي ستتجه إليه، لكنها كانت جاهزة لركوب القطار عقب أول أمر يصل إليها(٥)، وفي ذلك يقول جمال باشا: إن تلك القوة كانت متأهبة بحيث يتم إرسالها خلال نصف ساعة من وصول أول إشارة(٦).

وعندما أيقن فخري باشا أن المواجهة مع حكومة الحسين أصبحت قاب قوسين أو أدنى عمل على اتخاذ إجراءات مضادة، فأرسل برقية إلى جمال باشا يخبره بما حدث، ويطلب منه إمداده بالذخائر والمؤن على وجه السرعة(٧). وبعد الأخبار التي وصلت جمال باشا من قبل فخري باشا (في البرقيات الثلاث) حول خروج الحسين عليهم أصدر أوامره إلى القوات العسكرية التي كانت تقف على أهبة الاستعداد في سورية بالسفر إلى المدينة، والانضمام إلى قوات فخري باشا(٨). وتحركت تلك القوة إلى

---

(١) a. g. e, s40.

(٢) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٢.

(٣) **الثورة العربية الكبرى**، مج١، ص١١٩.

(٤) **Birinci Cihan Harbinde Türk Harbi IV, Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı,** ss834-837.

(٥) Orbay, s2.

(٦) **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص ٢٦٢.

(٧) بدر ، ص٥١.

(٨) Yılmaz Altuğ, "Arap Ülkelerinin Osmanlı İmparatorluğundan Ayrılışı" **Belgelerle Türk Tarihi Dergisi** (Ekim 1969) nr25, ss28-33. سعيد، ص١٥٧. **مذكرات جمال باشا السفاح**، ص٢٦٤.

المدينة في ٢ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٦م على متن قطار، وكانت تتكون من فرقة المشاة رقم مئة وثلاثين، وفرقة مجهزة بالبنادق الآلية، وتلغرافين لاسلكيين، ووصل القطار يحمل كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والمؤن، فأفرغ بسرعة، ووزعت حمولته على مستودعات عدة في أماكن متفرقة من المدينة محروسة حراسة قوية(١)، وعقب تلك القافلة أرسل إلى محطة مدائن فرقة المشاة، وكتيبة تضم بغالاً لتقوية حماية السكة الحديدية الواقعة بين معان ومدائن(٢).

وكانت تلك القوات التي أرسلت إلى المدينة هي القوة الأصلية التي جمعت في سورية لمحاربة بريطانيا في القناة في الحرب العالمية الأولى، وقد دعمت بريطانيا الحسين، ووصلوا إلى هدفهم بالتدريج؛ لأن هدفهم كان تقليل القوة العثمانية في القناة، والسيطرة على ذلك المكان. وقد لجأت الدولة العثمانية إلى تدابير جديدة حيال تلك التطورات، لاسيما أن فخري باشا أوصى في الأمر الوارد منه في ١ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٣ يونيو (حزيران) ١٩١٦م باستدعاء شيوخ القبائل، ومنحهم النقود، وتخصيص رواتب لهم إذا لزم الأمر؛ حتى يعطيهم أكثر مما يعطيهم الحسين وأبناؤه، وأرسل إليه خمسة آلاف من الذهب اعتقد أ ا ستكون كافية لذلك الأمر؛ لكسب ثقتهم وارتباطهم بالدولة(٣)، كما ألف وفداً(٤) سافر إلى المدينة على الفور لمقابلة شيوخ القبائل، وإقناعهم بالإقامة على الولاء للدولة، والانضمام إلى جيوشها(٥). بخلاف ذلك، فقد طلب إلى إستانبول إرسال طائرتين حربيتين لاستخدامهما في الحجاز عند اللزوم(٦)، وبعد ذلك تمت متابعة تحركات الحسين وأبنائه باهتمام شديد.

وفي ٦ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٨ يونيو (حزيران) ١٩١٦م بدأت المعركة الأولى بين حكومة الحسين والحكومة العثمانية، وبدأ الهجوم بستة آلاف مقاتل على محطة المحيط(٧)، واشتبكوا مع حاميتها، وشنت غارة في صباح ٧ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٩ يونيو (حزيران) ١٩١٦م(٨) على محطة المحيط، وكان فخري باشا قد استعد للقائهم على رأس قوة كبيرة، فدارت بين الجيشين معركة حامية امتدت من الصباح إلى الظهر. وفي تلك المعركة ظهر الفرق بين القوتين؛ فلم تكونا متكافئتين؛ لأن قوات الحسين لم تكـن في

---

(١) بدر، ص٥١.

(2) Orbay, s2.

(3) Erden,Ali Fuad "Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1304 (13 Ekim 1955).

(٤) تألف ذلك الوفد من محمد فوزي العظم وعبدالرحمن اليوسف و أسعد الشقيري. راجع: سعيد، ص ١٥٧.

(٥) سعيد، ص ١٥٧.

(6) Erden, "Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1304(13 Ekim 1955)

(٧) محطة المحيط: بلاد للخلد بطن من هذيل، في شفا هذيل. راجع: البلادي، ج٨، ص٤٦.

(٨) سعيد، ص ١٤٦.

تلك الفترة سوى مجموعة قليلة من البدو الذين لم يعتادوا الثبات في الميدان، وسلاحهم مؤلف من البنادق القديمة والبنادق ذات الفتيل، في حين أن قوات العثمانيين كانت أسلحتهم مؤلفة من البنادق الحديثة والرشاشات والمدافع[١]. وقد انتهت تلك المعركة بارتداد قوات الحسين إلى بئر الماشي[٢]؛ لنفاد ذخائرهم[٣]، وعلى ذلك المنوال بدأت المعارك حول المدينة بين حكومة الحسين والحكومة العثمانية قبل أن تعلن الثورة رسمياً في مكة[٤].

تأثرت الحكومة العثمانية عندما بدأت المعارك حول المدينة، وكان جمال باشا أشدهم حسرة وتألماً؛ لأنه أدرك أنه كان مخدوعاً، وعرف أنه لم يحسن التصرف مع الحسين وأبنائه الذين أفلتوا من يده بعدما أخذوا السلاح والمال[٥].

وفي ٨ شعبان ١٣٣٤هـ/ ١٠ يونيو (حزيران) ١٩١٦م أعلنت الثورة في مكة والطائف وجدة وينبع والوجه وسائر مدن الحجاز، وبدأت معها مناوشات فيصل وعلي حول المدينة[٦]، في حين تمركز فخري باشا داخل المدينة، وبدأ منذ ١٢ شعبان ١٣٣٤هـ/ ١٤ يونيو (حزيران) ١٩١٦م في تجهيز وسائل الدفاع عن المدينة[٧]، وتولى قيادة الجنود المرابطين هناك، وأخذ يستعد لمنازلة قوات حكومة الحسين الذين بدؤوا قتاله من دون توقف، وجاءته تعليمات جمال باشا بأن يعجل في العمل[٨].

---

(١) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٥٦. سعيد، ص١٩٤.

(٢) بئر الماشي: منسوبة لمن يسير على قدميه، وهي محطة للقوافل على ضفة وادي العقيق الغربية، وهي واقعة في ديار عوف من حرب. راجع: البلادي، ج١، ص ص١٦٥- ١٦٦. انظر خريطة رقم (٤).

(٣) العمري، ص١٠٦. موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٥٦.

(٤) الجابري، حاسن محسن. **الحجاز ١٣٣٣ - ١٣٤٤هـ/ ١٩١٤ - ١٩٢٦م دراسة** في **الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.** رسالة ماجستير. القاهرة: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. سعيد، ص ١٤٦.

(٥) السابق، ص ١٥٧.

(٦) الروسان، ممدوح عارف. **حروب الثورة العربية الكبرى** في **الحجاز وبلاد الشام ١٩١٦ ـ ١٩١٨م.** جامعة اليرموك: المؤلف، ص ص ٣٥ ـ ٣٦. السباعي، ص ص ٦٠٦ ـ ٦٠٧. سعيد، ص١٤٧. kürkçüoğlu, Ömer. **osmalnlıdevletine karşı arap bağımsızlık hareketi (1908-1918)**. Ankara 1982, ss115-120. winstone, H.V.F. **ortadoğu serüveni, 1898- 1926 yılları arasında ortadoğu siyasi ve askeri istihbaratin öyküsü**. Istanbul, 1999, ss315- 362.

(٧) **Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi, Sina - Filistin Cephesi**, IV, Ankara 1979, ss177-179.

(٨) سعيد، ص ١٥٧.

وفي الفترة (من شعبان ١٣٣٤هـ/ يونيو (حزيران) ١٩١٦م إلى رمضان ١٣٣٤هـ/ يوليو (تموز) ١٩١٦م) بدأت محاولات حكومة الحسين للاقتراب من المدينة، وفي الوقت نفسه شن العثمانيون في الفترة من شوال ١٣٣٤هـ/ أغسطس (آب) ١٩١٦م إلى المحرم ١٣٣٥هـ/ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٦م هجوماً مضاداً بالفرقة الثانية والعشرين في المدينة؛ لمحاولة إبعاد خطر حكومة الحسين عنها[١] كما سيأتي ذكره.

رابعاً: مراحل حصار المدينة

١- المعارك الأولى حول المدينة وآثارها:

بدأت قوات الحسين بقيادة كل من علي وفيصل، على إثر إعلان الثورة على الدولة العثمانية، في العمل على الاستيلاء على بعض المناطق حول المدينة؛ رغبةً في تشديد الحصار، ومن ثم إخراج العثمانيين منها. وكان من بين تلك المناطق ما يأتي:

أ- الجفر[٢] والدرسية[٣] والعلاوة[٤]:

حاولت قوات علي الاستيلاء على بعض المواقع غرب المدينة، مثل: الجفر، والدرسية، والعلاوة، وبالفعل تم لها ذلك، وتمركزت في تلك المواقع. ونتيجة لذلك قرر فخري باشا في ٢٢ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩١٦م التحرك للقضاء على تلك القوات[٥]، وبناءً عليه وضع خطة قائمة على أساس أن يتحرك الجناح الأيسر من الجيش نحو شمال جبل عير، ويهاجم معسكر العدو، ويمنع فرارهم. أما الجناح الأيمن فيتوجه نحو آبار علي مروراً بشمال غرب جبل عير؛ حتى يكون اللقاء بالجناح الأيسر في منطقة العلاوة، وبذلك يتم حصر قوات علي بين القوتين حتى تضطر إلى الاستسلام[٦]. وفي يوم ٢٣ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩١٦م هاجمت قوات فخري باشا قوات علي في

---

(١) El – Edroos, Syed Ali. **The Hashemite Arab Army 1908- 1979**. The Publishing Committee, Jordan, 1980, pp69- 70.

(٢) الجَفر: وادٍ زراعي من أودية المدينة، يسيل من جبل الفقارة ويصب في وادي ملل غرب المدينة، سكانه المحاميد من حرب. راجع: البلادي، ج٢، ص١٥٣.

(٣) لم تجد الطالبة ترجمة لها.

(٤) العِلاوة: : قرية تقع في عقيق الحسا بسفح جبل عير من الجنوب الغربي، سكانها عوف من حرب، فيها زراعة على الآبار. راجع: البلادي، ج٦، ص١٥٦.

(٥) Yatak, Suleyman. **Fahrddin Pasa Ve Medine Mudfaasi**. Marmara Universitesi, Fen-Edebiyat Fakultesi Tarih Bol, Istanbul, 1990, s42.

(٦) a. g. e. ولمزيد من التفاصيل عن الخطة التي وضعت لاحتلال العلاوة، راجع: Kıcıman, s60.

منطقة العلاوة، وانتهت تلك المعركة بهزيمة قوات علي بعد معركة سريعة وخاطفة(١).

ب- قباء وقُربان(٢) والعوالي:

أخذ فخري باشا بعد ذلك في مهاجمة القوات المتمركزة في قباء وقربان التي اتخذتها حكومة الحسين مع العوالي مركزاً لها(٣)، وعندما أدرك علي وفيصل بأنهما لم يحققا المباغتة التي خططا لها؛ أمرا قواتهما بإطلاق النار تمهيداً للهجوم، ودوت أصوات الانفجارات، ورد جنود فخري باشا بعنف، وعلى إثر ذلك اندفع بعض الخيالة المهاجمين من قوات حكومة الحسين لاقتحام المواقع الأولى لجيش فخري باشا(٤)، لكنهم فوجئوا بحضور قوات فخري باشا من المدينة والعلاوة في ٦ رمضان ١٣٣٤هـ / ٧ يوليو (تموز) ١٩١٦م (٥)، التي واجهت قواتهم بنيران غزيرة من الخنادق والمتاريس، سقط على إثرها عدد من القتلى والجرحى، وأصيبت الخيل فارتدت على أعقابها(٦)، وسقط عدد من جيش حكومة الحسين بين قتيل وجريح، ونجح عدد آخر منهم في الفرار(٧). أما خسائر العثمانيين، فيقول قيجيمان: "أما عساكرنا من فتيان الأناضول فقد كانوا يهابون الشمس أكثر من هيبتهم للرصاص، وأصيبوا بالغثيان، وتعرضوا للإصابة كذلك بضربات الشمس"(٨).

ثم زحف المشاة من قوات حكومة الحسين ليعوضوا هجمة الخيالة الفاشلة، فواجهوا ما واجهه سابقوهم، وتترس كل فريق بما وجده من صخور ومرتفعات ترابية، وأخذ المهاجمون يتحركون ببطء شديد، يغيرون على المواقع التي تنطلق منها النيران، لكنهم ماكانوا ليتقدموا خطوة واحدة حتى يتراجعوا خطوتين، وكثرت الإصابات فيهم، وتوالت قذائف المدفعية تنصب عليهم، فلجأوا إلى البساتين في العوالي(٩)، واتجه فخري باشا إلى محاصرتها، واقتربت مجموعات من قبيلة بني علي(١٠) من القيادة

---

(١) Yatak, s42.

(٢) قُربان: قرية في الجنوب الشرقي للمدينة مجاورة لقرية قُباء من الشرق. راجع: البلادي، ج٧، ص١١١.

(٣) Yatak, s43. Kıcıman, s60.

(٤) بدر، ص ٥٢.

(٥) Kıcıman, s60.

(٦) بدر، ص ٥٢.

(٧) Kıcıman, s60.

(٨) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s60.

(٩) بدر، ص ٥٢.

(١٠) بني علي: من مسروح من حرب ومنهم ولد مرير والجبور. ويسكنون حول المدينة وفي نجد وفي قبة والطراق. راجع: الجاسر، ج٢، ص ص٤٨٥- ٤٨٦

العثمانية وهي تقدم عرضاً للاستسلام إذا ما جنبت قراها الاقتحام والتدمير(١)، إلا أن قوات فخري باشا جا تهم، وانصبت قذائف المدفعية على البساتين والجنود، واستقدم فخري باشا عدداً آخر من قواته(٢)، ورأى أنه لابد من تطهير تلك القرى منهم تماماً(٣)، وبدأ يحاصر البساتين ومن بداخلها من جنود حكومة الحسين. ويذكر لورنس(٤) أن فخري باشا أمر قواته أن تشن هجوماً على العوالي، وتذبح وتقتل كل شيء حي فيها، مع إحراق المنازل، وإشعال النار في الأحياء والأموات(٥). كما بالغ لورنس في وصف معركة العوالي، فقال: "إن ذلك النموذج البشع من الحرب أوجد نوعاً من الصدمة في الجزيرة العربية؛ فلأول مرة في قواعد الحرب العربية تنتهك حرمة النساء، ولم تصن أرواح الأطفال الصغار جداً، وأيضاً لم تصن أو تترك الممتلكات دون تدمير"(٦)، بينما نجد قيجيمان يذكر أن فخري باشا كان يرغب في تطهير تلك القرى منهم تماماً؛ لأ م اتخذوها مأوى لهم، وكانوا متترسين فيها دف مهاجمة قوات فخري باشا(٧). ويتفق محمد حسين زيدان مع قيجيمان، فيذكر أنه عندما نودي في المدينة للجهاد إلى السويس ذهب كثير من أهل المدينة إلى بيو م استعداداً للجهاد، ومنهم والده حسين زيدان، الذي تأثرت زوجته من ذلك فخرجت إلى بيت أحمد بن جميعان، وأخبرته أن زوجها يريد الذهاب إلى الجهاد، فذهب أحمد بن جميعان إلى حسين زيدان، وقال له: لم يبق سوى ثلاثة أيام ويبدؤون الثورة على العثمانيين؛ إذ يبدأ الحسين في مكة، وابن جميعان في آبار علي، وشحات في

(١) لورنس، ص ١٠٣.

(٢) بدر، ص ٥٢.

(٣) Kıcıman, s60.

(٤) توماس إدوارد لورنس (١٣٠٦- ١٣٧٨هـ/ ١٨٨٨- ١٩٣٥م): ولد بإقليم ويلز، ودرس الآثار في جامعة أوكسفورد. ولما دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى أرسلت الحكومة البريطانية لورنس، بسبب معرفته بالعرب واللغة العربية للعمل في المكتب العربي في القاهرة ومن هناك تعاون مع فيصل وعمل مع قواته. ودبر عملية تخريب سكة حديد الحجاز، كما اشترك مع قوات القبائل للاستيلاء على العقبة. ودخل دمشق مع فيصل وصحبه إلى مؤتمر الصلح في باريس بصفة مترجم ومستشار، ثم عمل مستشاراً لوزارة المستعمرات في الشؤون العربية. التحق بالقوة الجوية في عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، وفي عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م اتخذ اسم شو بدلاً عن لورنس لإخفاء هويته. قتل في بريطانيا. راجع: صفوة، مج٢، ص ص٨٩-٩٠.

(٥) **الثورة العربية**، ص ١٠٣.

(٦) السابق.

(٧) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s60.

العوالي[١]. وهنا نقول: إن فخري باشا أراد الدفاع عن المدينة؛ لأنه كان يعلم نواياهم باتخاذ العـوالي مأوى لهم لشن الهجوم على العثمانيين في المدينة وإخراجهم منها. ومن ذلك يتضح أ م كانوا متترسين في العوالي؛ لذلك أمر فخري باشا بإحراق البساتين للقضاء على المتترسين فيها، فارتفعت النيران مـن بعض البساتين، وحوصر جنود حكومة الحسين فيها، وحاول بعضهم الهرب في أثناء إطـلاق النـار، فحصدهم رصاص الجنود العثمانيين[٢]، فسقط عدد منهم بين قتيل وجريح[٣]، واستسلم آخرون[٤]، ونجح عدد آخر في الفرار[٥] إلى البيوت القريبة، وتبعهم الجنود، وأمر فخري باشا بإحراق البيوت التي يطلق منها الرصاص[٦]. وبدأ فيصل ورجاله في الصفوف الخلفية الانسحاب تحـت وطـأة المقاومـة الشديدة، التي تحولت إلى هجوم ضخم تدعمه المدفعية، وسقط عدد كبير من رجاله، ونجح في التقهقـر مع الناجين منهم جنوباً[٧].

وهكذا انتهى الهجوم على العوالي بفشل قوات الحسين، إضافةً إلى خسائرهم في الرجال والنخيل والبيوت[٨].

ج- آبار علي:

في الوقت الذي كانت فيه المعركة في أولها في العوالي اشتعلت معركة أخرى في آبار علي، وهذا يؤكد ما ذكره زيدان حول نوايا قوات الحسين اتخاذ تلك الأماكن مأوى لهم لشن الهجوم على المدينة؛ إذ كان فخري باشا في ذلك الوقت منشغلاً في قيادة الجنود الذين يواجهون قوة فيصل وعلي وشحات في العوالي، فاستشاط غيظاً، وقال كلمته التي رددها كثيراً فيما بعد "عرب خيانات خيانات"[٩]، فقـد قامت قوات الحسين بقيادة أحمد بن جميعان وأخوه ناصر، ومعهم عدد كبير من الموالين لحكومة الحسين من جهينة وحرب، بالهجوم على نقاط الحراسة المتقدمة للعثمانيين، فقتلوا الجنود العثمانيين، وتقدموا إلى

(١) **ذكريات العهود الثلاثة**، ص٩٦.
(٢) بدر، ص ٥٢.
(٣) Kıcıman, s60.
(٤) بدر، ص ٥٢.
(٥) Kıcıman, s60.
(٦) بدر، ص٥٢. زيدان، ص٩٦.
(٧) بدر، ص ٥٢.
(٨) السابق، ص ٥٣.
(٩) بدر، ص ٥٣.

وادي العقيق[١]، ووصلوا إلى قصر سعد، وهاجموا مراكز المراقبة عند عروة[٢]. وبلغ الخبر فخري باشا، فوجه أحد كبار ضباطه العثمانيين ليقود قوة كبيرة من ثكنة العنبرية وقلعة سـلع لمواجهتـهم، وأمـر بقصفهم بالمدفعية من جميع المرابض التي تصل قذائفهم إليهم. وانصبت الحمم على ابن جميعان ورجاله، ثم هدأت لتفاجئهم نيران كثيفة من حشد كبير من الجنود يزحف باتجاههم، فتوقف زحف ابن جميعان ورجاله؛ إذ لم تكن القوة متكافئة. وعندما شعرت قوات الحسين أن الجنود العثمانيين بدؤوا يحيطون م من الأطراف الثلاثة، وبدأت مجموعة منهم في الجهة الشمالية تحاول الالتفاف وراءهم، أمر ابن جميعان رجاله بالانسحاب تحت وابل النيران، وسقط عدد كبير منهم، ثم تحول الانسحاب إلى هزيمة عشوائية؛ لينجو من نجا بنفسه، وليتوجهوا إلى الفريش[٣] غرباً[٤]. وهكذا انتهى الهجوم بالفشل، وبخسائر فادحة في الرجال في آبار علي[٥].

ونتيجة لما وجدته قوات حكومة الحسين من مقاومة فخري باشا وجنوده اضطروا إلى إيقـاف المعارك بعض الوقت بانتظار مزيد من العتاد والذخائر والمؤن والأموال، وفي ذلك يقـول قيجيمـان: "أحدثت وقعة العوالي أثراً كبيراً من مصادمات وادي العقيق وآبار علي، وباتت حكومة الحسين علـى يقين من أ م يجب أن يخشوا سطوة الدولة"[٦]؛ إذ أرسلوا الرسل طلباً لنجـدة الرجـال والـسلاح والذخائر، وتوجه علي بنفسه لاستمالة قبائل أخرى، وإشراكها في الهجوم على المدينة، وحث شـيوخ القبائل الذين ساعدوهم في عمليا م السابقة على حشد أعداد أخرى من المقاتلين من قبائلهم[٧].

كما سارع عبد الله إلى طلب المعونة من حلفائه البريطانيين لإمداد أخويه فيصل وعلي في المدينة. ولم يتأخر الحلفاء في إرسال المطلوب، وأفرغت بعض البواخر البريطانية صناديق الأسـلحة والـذخائر وبعض المدافع قرب شاطئ ينبع، وحملها رجال القبائل الموالون لحكومة الحسين إلى القوة المرابطة في بئر

---

(١) وادي العقيق: وادٍ بناصية المدينة فيه عيون ونخيل. راجع: البلادي، ج٦، ص ص ١٢٨- ١٢٩، ص ص١٣٥-١٣٦. انظر خريطة رقم (٣).

(٢) عروة: انظر خريطة رقم (٣).

(٣) الفُريش: وادٍ من روافد ملل، يأخذ أعلى مساقط مياهه من السفوح الشرقية لجبل ورقان، يقطعه طريق المدينة إلى مكة. فيه بئر درويش. راجع: البلادي، ج٧، ص٤٩. انظر خريطة رقم (٣).

(٤) بدر، ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٥) زيدان، ص ٩٦. بدر، ص٥٣.

(٦) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s60.

(٧) بدر، ص٥٣.

الماشي(١).

ما إن وصلت الإمدادات حتى انطلقت قذائف المدفعية تنصب على قوات فخري باشا، وبدأ هجوم قوات حكومة الحسين تغطّيه نيران غزيرة، وتقدم المهاجمون حتى بلغوا آبار علي، وتجاوزوها متقدمين إلى المدينة، ووصلت قذائف المدفعية إلى أسوارها، وإلى عدد من البيوت القريبة من السور.

وكإجراء مضاد قام فخري باشا بهجوم قويّ رد المهاجمين مرة أخرى على أعقابهم، وأوقع فيهم خسائر كثيرة، وسقط عدد من القتلى والجرحى بين جنود فخري باشا، وعاش أهل المدينة أياماً جديدة من الرعب والنيران والجدران المهدمة(٢).

د- بئر الماشي:

عكف العثمانيون حتى ٩ رمضان ١٣٣٤هـ/ ١٠ يوليو (تموز) ١٩١٦م على تدريب قوات فخري باشا واستكمال الاستعدادات(٣)، ثم صدرت الأوامر في ١٤ رمضان ١٣٣٤هـ/ ١٥يوليو (تموز) ١٩١٦م بتجمع تلك القوات وتحركها في اتجاه مجهول لشن هجوم على قوات حكومة الحسين؛ لأن فخري باشا لم يكتفِ بما أحرزه من نصر، بل استمر في مطاردة قوات علي وفيصل. وتجمعت القوات في آبار علي، وفي صباح يوم الاثنين ١٧ رمضان ١٣٣٤هـ/ ١٨ يوليو (تموز) ١٩١٦م بدأ الزحف بقوة تشكّلت من لواء هجين، وطابور البغالة، واللواء الثاني والأربعين، واللواء المئة والثلاثين، والطابور الأول، وسرية البنادق الآلية، وكان على رأس تلك القوات فخري باشا(٤)؛ مما جعل قوات علي وفيصل تلوذ بالفرار(٥)، فتفرقوا لدى القبائل ووافق ذلك قرب حلول عيد الفطر، ولم يبق مع رؤسائهم إلا نحو سبعمئة أغروهم بالمال، وكان هؤلاء يرابطون في نواحي شعب رابغ ومجز(٦) وشعب الإعصار على مسافة أربع ساعات أو خمس من جنوب بئر الماشي، وكان على رأسهم علي. وبناءً عليه دخلت قوات فخري باشا في الساعة التاسعة والنصف صباحاً موقع بئر الماشي بلا معارك(٧).

ونتيجة للانتصارات التي حققها فخري باشا في المعارك الأولى حول المدينة ضد حكومة الحسين

---

(١) السابق، ص٥٥.

(٢) السابق.

(٣) Kıcıman, s60.

(٤) a. g. e.

(٥) الموصلي، محمد طاهر. **تاريخ مقدرات العراق السياسية**. بغداد: المكتبة العصرية، ١٩٢٥م،ج٢، ص١٧٧. yatak ,S43. Kıcıman, s60.

(٦) مجز: غدير في وادي النقيع بين مدفع اليتيمة وآبار الماشي. راجع: البلادي، ج٨، ص٢٩.

(٧) Kıcıman, s62.

فقد عين خلال ذلك في ١٦ رمضان ١٣٣٤هـ / ١٧ يوليو (تموز) ١٩١٦م قائداً لحملة الحجاز(١).

وبعد أيام شهدت المدينة هجوماً من الجهة الجنوبية، لكنه لم يكن أحسن حظاً من سابقيه؛ بسبب يقظة جنود فخري باشا وضباطه، وفشل المهاجمون في مباغتة المدافعين على الرغم من وجود بساتين النخيل التي يمكن أن تساعدهم على التستر والتمويه(٢).

وقد جعلهم ذلك الفشل يعيدون حسابا م، ويؤثرون التريث إلى حين وصول المزيد من القوات والإمدادات، غير أن توقفهم كانت له نتائج سلبية على بعض القبائل الموالية لهم؛ فرجال القبائل لا صبر لهم على الكر والفر ومعاودة القتال، وكانوا يتوقعون حسب وعود حكومة الحسين أن يدخلوا المدينة بعد أول هجوم، ويقتسموا الشيء الكثير مما سيتركه العثمانيون، كما كانوا يتوقعون أن تصلهم أموال وافرة من حكومة الحسين، غير أن ما وصلهم كان دون طموحهم بكثير؛ لذلك بدأ بعضهم يظهر التململ، ويلوح بترك الساحة إلى مضارب القبيلة، ونفذ بعضهم ديداته عندما فشل الهجوم الأخير، وسقط عدد من أبناء قبيلته قتلى وجرحى(٣)، مثل قبيلة بني علي(٤)، ومن ثَم فقد كان لانتصارات فخري باشا دور في إضعاف الحملة الدعائية لعصيان القبائل في تلك المرحلة(٥)، ونتيجة لذلك استنجد الحسين ببريطانيا بشكل كبير(٦).

ومن هنا بدأ يتحول موقف فخري من الدفاع إلى الهجوم، وأخذ يعمل على تشتيت قوات الحسين لإبعاد خطرها من المدينة كما سيأتي ذكره.

ويصف لورنس الهجوم الأول -المعارك الأولى- التي قامت ا قوات الحسين بقيادة علي وفيصل

---

(١) a.g.e, s27 **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٣- ٨/ ١- ٤٤. DH. KMS. 1- 44/8- 3. برقية من ناظر الداخلية طلعت بك إلى بصري باشا محافظ المدينة في ٣/٢٥/ ١٣٣٣ رومي بشأن إسناد الإدارة العسكرية لفخري باشا وتعيينه محافظاً في المدينة بالوكالة. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٨/ ١- ٤٤. DH. KMS. 1- 44/8- 2. برقية من جمال باشا إلى الباب العالي في ٣/٢٠/ ١٣٣٣ رومي بشأن إسناد الإدارتين العسكرية والمدنية لفخري باشا. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ١- ٨/ ١- ٤٤. DH. KMS. 1- 44/8- 1. برقية من ناظر الداخلية طلعت بك إلى جمال باشا في ٣/٢٠/ ١٣٣٣ رومي بشأن إسناد الإدارة العسكرية لفخري باشا وتعيينه محافظاً في المدينة بالوكالة.**

(٢) بدر، ص٥٥.

(٣) السابق، ص٥٦.

(٤) لورنس، ص١٠٢.

(٥) Yatak, s44.

(٦) a.g.e.

بأ ا عمل يائس؛ فقد كانت قوا ما تفتقر إلى الأسلحة الحديثة في وقت كانت فيه القوات العثمانية على درجة جيدة من التسليح، يضاف إلى ذلك تخلي قبيلة بني علي عن تأييدها قوات الحسين، وهو الأمـر الذي كان له أثر كبير في نتائج المعارك الأولى حول المدينة(١).

٢- انسحاب قوات الحسين بن علي:

كانت المعارك الأولى حول المدينة محاولة من حكومة الحسين للاقتراب منها وإخراج العثمـانيين إلا أن قوات فخري باشا أخذت تطاردهم بعد تلك المعارك، وتعمل على تشتيتهم، بداية مـن شـوال ١٣٣٤هـ/ أغسطس (آب) ١٩١٦م رداً على هجومهم حتى وصلت إلى معسكرهم في الفريش. وعزم فخري باشا على القضاء عليهم، فأمر باستمرار المعركة ومتابعتهم في انسحا م، وحشد قـوة كـبيرة لذلك معززةً بالمدفعية. ونجح هجوم فخري باشا، وبدأت قوات الحسين بالتقهقر خلف الفريش، وسقط عدد كبير، وتبعهم الجيش يطاردهم من سهل إلى جبل، ومن تلة إلى وادٍ(٢).

أدركت قوات حكومة الحسين فداحة الموقف بعد ذلك، مع ضعف السلاح ونقص الـذخيرة؛ فقد كان من الصعب جداً أن يكسبوا المعركة؛ لذا انسحبوا من السهول المحيطة بالمدينة إلى التلال المحاذية للطريق السلطاني الواقعة بين المدينة والساحل حول الرحا(٣) وبئر عباس(٤)، فاستراحوا هناك فترة قليلة لإعادة تنظيم قوا م، وقد أثار ذلك الانسحاب شعور القلق والخشية في نفوس الحسين وأبنائه؛ خوفاً من أن يتمكن العثمانيون من اختراق المناطق الوعرة والسير عبر الطريق السلطاني(٥)، وكان تقـدير قـادة الثورة أنه إذا وصل العثمانيون إلى رابغ فإن الطريق إلى مكة تصبح مفتوحة أمامهم، وأنه -تبعاً لذلك- يجب تحصين رابغ ودعم القوات المدافعة عنها؛ حتى يصبح في مقدورها صد الهجمات العثمانية المتوقعة، ومنعها من الوصول إلى الساحل(٦).

---

(١) **الثورة العربية**، ص١٠٢.

(٢) بدر، ص٥٨.

(٣) الرحا: مرتفعات تقع شرق جبل حضن. راجع: البلادي، ج ٤، ص٣٧.

(٤) بئر عباس: بئر قديمة منسوبة إلى عباس أمير الظواهر كانت المحطة الرئيسة قبل المسيجيد، ثم انتقلـت المحطـة إلى المسيجيد وهجرت بئر عباس. راجع: البلادي، ج ١، ص ١٦٣. انظر خريطة (٤).

(٥) الطريق السلطاني تمر في سيرها بمواقع بئر درويش وبئر عباس وبدر والحمراء ووسيطة ووادي الصفراء ومـستورة إلى أن تصل إلى ثغر رابغ ثم تتجه إلى مكة مروراً بالقضيمة وعسفان. راجع، موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٦١. انظر خريطة رقم (٤).

(٦) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٦١

كان علي وفيصل يدركان تلك المسلمات؛ لذلك تمسكا بمواقعهما في سلسلة الجبال[١]، وأخذا يرسلان موفداً إثر موفد إلى رابغ -قاعدتهم البحرية وقتذاك- ليستعلما عن موعد وصول الإمدادات والأموال والسلاح إليهما، لكن لم تصل إليهما سوى مؤنة قليلة من الأطعمة، وبعض البنادق اليابانية فيما بعد، معظمها معطوب أو محطم، ولم ترسل أموال. ومن أجل الحفاظ على المعنويات اتبع فيصل خطة تمثلت في أن ملأ صناديقه وخزائنه الخاصة بالحجارة، وأقفل عليها بشكل محكم، ووضع عليها حراس لحراستها في النهار، وكان يدخلها إلى خيمته في الليل؛ ليوهم أتباعه أن فيها مالاً وفيراً؛ رغبةً منه ومن أخيه علي في الحفاظ على قواتهما متماسكة[٢].

لكنهما آثرا بعد ذلك أن يفترقا من أجل مواجهة جناحي فخري باشا، فانحاز علي إلى الجنوب الغربي، وجعل ارتكازه إلى رابغ، بينما اتجه فيصل نحو الغرب، وجعل ارتكازه إلى ينبع[٣].

أ- انسحاب جيش علي:

اضطر علي إلى التراجع نتيجة لانتصارات فخري باشا حول المدينة، فانسحب حتى وصل إلى وادي الأثب، وفي أثناء وجوده هناك تلقى نوري السعيد[٤] أمراً من الحسين في أوائل شوال ١٣٣٤هـ/ أوائل أغسطس (آب) ١٩١٦م بأن يلتحق بجيش علي، الذي كان يتألف من نحو أربعة آلاف رجل من أبناء العشائر والمتطوعين المكيين، إضافة إلى وحدة هجانة من العقيلات. وصدع السعيد للأمر، وتحرك مع قافلة كبيرة كانت بقيادة أحد الأشراف تضم أربعة آلاف جمل، وتحمل المؤن

---

(١) السابق، ص٦٢.

(٢) لورنس، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٣) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٦٢.

(٤) نوري السعيد (١٣٠٦ ـ ١٣٧٨هـ/ ١٨٨٨- ١٩٥٨م): ولد في بغداد. درس المرحلتين الابتدائية والعسكرية في بغداد ثم التحق بعد تخرجه بالكلية العسكرية في الآستانة، حيث تخرج منها برتبة ضابط عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، وبعد تخرجه عين في وحدة عسكرية، ثم التحق بكلية الأركان في استابول عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م. شارك في حروب البلقان ضد البلغار عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م وفي العام التالي انضم إلى جمعية العهد العربية السرية. انتقل إلى البصرة، والتحق بمجموعة ثورية ضد الحكم العثماني، بزعامة طالب النقيب. وعندما سقطت البصرة في أيدي البريطانيين، اقتيد نوري إلى بومباي في الهند ثم نقل بعدها إلى القاهرة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ثم سافر إلى جدة بدعوة من الحسين ولم تمض فترة وجيزة على ذلك حتى تسلم منصب رئيس أركان الملك فيصل في سوريا عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م، وفي عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م تسلم رئاسة أركان الجيش العراقي المشكل حديثاً. وفي عام ١٩٣٠م عين رئيساً للوزراء وتناوب على ذلك المنصب ثلاث عشرة مرة قبل أن يصبح رئيساً لوزراء الاتحاد الهاشمي قبل وفاته. راجع: السعيد، نوري. **مذكرات نوري السعيدعن الحركات العسكرية للجيش العربي. الحجاز وسوريا ١٩١٦- ١٩١٨م.** ط٢. د.م: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧م، ص ص٥- ٦.

والذخائر والبنادق، وكان مع السعيد عدد من ضباط الصف العراقيين، وجنود المدفعية المدربين، مع بطارية مدافع جبل، وأربعة رشاشات، ومئة صندوق من القنابل اليدوية، وفوج من المشاة المكيين، فسلك الطريق الشرقي(١)، ثم لحق شاكر بن زيد(٢) ا، وقد استغرق الانسحاب مدة أسبوعين بسبب وعورة الطريق(٣).

وفي ذلك الوقت كانت القوات العثمانية قد تمركزت في مضيق مجز. وبعد وصول السعيد إلى وادي الأثب لفت نظره أن المواد الغذائية التي كانوا يحملو ا قد استهلك أكثر من نصفها، وهو أمر حيوي لا يمكن تجاهله، فظلت قضية التموين والإعاشة تشغل فكره؛ لأن ما بقي لديهم منها لا يكفي أكثر من عشرين يوماً على أكثر تقدير، ووصول المؤن من مكة إليهم يتطلب شهراً، فتداول في الأمر مع علي، وعرض عليه ضرورة تنظيم المواصلات بين معسكرهم ومكة(٤)، فقام علي على رأس قوة صغيرة بعملية استطلاع عرف منها أن القوة العثمانية في مجز لا تزيد على كتيبة واحدة، ولم يلبث علي -بناءً على نصيحة السعيد- أن انتقل إلى موقع آخر على الطريق السلطاني بين المدينة ورابغ؛ لأن القوة الرئيسة للعثمانيين كانت تحتشد على تلك الطريق، وكان لابد لها من سلوكه إذا أرادت أن تتقدم نحو رابغ. وقد فاجأت تلك الحركة ابن مبيريك، فبعد وصول علي إلى رابغ ليستطلع أمر الوضع هناك(٥) وجد أن ابن مبيريك انحاز إلى جانب العثمانيين؛ لأ م سيكونون المنتصرين. وما إن أنزلت الإمدادات والمؤن التي أرسلها البريطانيون إلى البر في منتصف شوال ١٣٣٤هـ/ منتصف أغسطس (آب) ١٩١٦م حتى استولى عليها ابن مبيريك، وقام بتخزينها بشكل سري في بيوته. وقد قام علي عندما وصل رابغ بإرسال برقيات مستعجلة لأخيه زيد في جدة للإسراع للانضمام إليه ومعه تعزيزات عسكرية(٦)، ولما وجد ابن مبيريك نفسه في وضع حرج استسلم لزيد، وأقسم مع رجاله يمين الولاء، لكن الأمر لم يطُل به؛ فبعد

---

(١) انظر خريطة رقم (٣).

(٢) شاكر بن زيد بن فواز بن ناصر (١٣٠٣ – ١٣٥٣هـ/ ١٨٨٥ – ١٩٣٤م): من الأشراف العبادلة. خاض معركة تربة وهو في العشرينات، هاجر مع عبد الله بن الحسين، فصار أميراً في إمارة شرقي الأردن. راجع: الزبن، عدنان ساري. **من تأريخ الجهاد الهاشمي**. عمان: دار الينابيع، ١٩٩٨م، ص ص٦٥- ١٠٠. البلادي، عاتق بن غيث. **الإشراف على تاريخ الأشراف**. بيروت: دار النفائس، ١٤٢٣هـ، ص٦٨٦.

(٣) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٦٠.

(٤) السعيد، ص ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٥) السابق، ص٣٤.

(٦) لورنس، ص١٠٤.

أن تملّكه الخوف هرب إلى الجبال في أواخر شوال ١٣٣٤هـ/ أواخر أغسطس (آب) ١٩١٦م[١]، وترك كل ما لديه من مؤن وذخيرة[٢]، ثم قام علي وزيد بالاستيلاء على القريتين اللتين كانتا تحت سيطرة ابن مبيريك، فوجدا فيهما كميات ضخمة من الأسلحة، وكميات من الأطعمة تكفي قواتهما شهراً، فدفعهما ذلك إلى البقاء في رابغ[٣] التي تحولت منذ ذلك الحين إلى مقر لقيادة جيش علي الذي أصبح يسمى الجيش الجنوبي وقاعدةً لتموينه[٤].

ب- انسحاب جيش فيصل[٥]:

توجه فيصل في شهر شوال ١٣٣٤هـ/ أغسطس (آب) ١٩١٦م إلى ينبع لمقابلة ويلسون المعتمد البريطاني في جدة وطلب منه إمداده بالأسلحة؛ ليتسنى لقواته مواجهة قوات فخري باشا في ظل ظروف متكافئة[٦]. وبناء عليه قامت السلطات البريطانية بإرسال بعض الإمدادات إلى قوات فيصل، وصلت في أوائل شوال ١٣٣٤هـ/ أوائل أغسطس (آب) ١٩١٦م، وكانت تتكون من ألفين وخمسمئة بندقية، ومدفعين جبليين، ومدفعين مصريين[٧]، وهو الأمر الذي كان له تأثير في الروح المعنوية لتلك القوات، إلا أن تلك المدافع كانت قديمة الصنع عديمة الفائدة[٨]، يعود صنعها إلى عشرين عاماً، ومداها ثلاثة آلاف ياردة فقط، كما أن طواقمها لم تكن معنوياتهم وحماستهم للقتال مرتفعة؛ بسبب عدم تحمسهم للقتال غير النظامي، ومع ذلك فقد مضوا قدماً، واندفعوا لمهاجمة المواقع العثمانية، تدعمهم قوات حكومة الحسين، وعندما شعر فخري باشا بالخطر حضر ليستطلع الجبهة بنفسه، فعمل على تعزيز الكتيبة العثمانية المهددة في بئر عباس بنحو ثلاثة آلاف جندي. وكان لدى القوات العثمانية مدافع ميدان وهاوتزر، إضافة إلى موقعهم المرتفع المتميز، فبدؤوا بتشويش قوات حكومة الحسين بفتحهم نيران مدافعهم بشكل غير مباشر، ثم قاموا بتصويب قذيفة نحو خيمة فيصل بينما كان مجتمعاً للتشاور مع قواده في الداخل، وطُلب من المدفعيين المصريين أن يردوا على إطلاق النار

---

(١) صفوة، مج٢، ص٩١.

(٢) السعيد، ص٣٤.

(٣) موسى، سليمان. **مذكرات الأمير زيد. الحرب** في **الأردن ١٩١٧ - ١٩١٨م**، الأردن: مركز الكتب الأردني، ١٩٩٠م، ص١٤٩. لورنس، ص١٠٤.

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص ٦٠.

(٥) انظر خط سير وانسحاب فيصل خريطة رقم (٥).

(٦) لورنس، ص١٠٤

(٧) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص٥٧. الموصلي، ص ١٨٠.

(٨) لورنس، ص١٠٤

وإسكات مدافع العثمانيين، فأفادوه بأنه لا جدوى من ذلك؛ لأن مدافعهم عديمة الفائـدة في ذلـك الـ ال؛ لأ ا لاتصل إلى بعد تسعة آلاف ياردة؛ مما أزعج فيصلاً[(١)]. ونجحت قوات فخـري باشـا في هجومها على بئر عباس، واستولت عليه في ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٤هـ / ٢٢ أكتوبر (تـشرين الأول) ١٩١٦م[(٢)]، وتضمنت رسالة بعث ا لورنس إلى باركر في ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٤هـ / ٢٤ أكتـوبر (تشرين الأول) ١٩١٦م وصفاً لوضع قوات فيصل، جاء فيه: "إن فيصل غير متن من عمل المصريين في بئر عباس؛ لأ م أخفقوا في إسكات مدفع هاوتزر تركي عيار ٦ إنشات، ويتمنى لـو أ ـم ليـسوا معه"[(٣)].

وبناء عليه فقد تراجعت قوات فيصل إلى الخلف مرة أخرى؛ فلم يكن ذلك الوضع مشجعاً على القيام جمات إضافية؛ إذ كان رجاله منهكين، وفقد كثيراً من الجمال نتيجة تلك الغارات المكلّفـة. ومع تأخر الدعم والإمداد من شقيقه عبدالله في مكة، وشقيقه علي، وأخيه زيد في رابغ، فقد قرر أخيراً أن يسحب معظم قواته، تاركاً بعض جماعات من قبيلة حرب الذين كانوا يعيشون حول منطقـة بئـر عباس؛ ليبقوا على عنصر الضغط، وإعاقة أرتال الإمدادات العثمانية ووسائل النقل بواسطة شن الغارات المتكررة[(٤)].

وفي ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٤هـ / ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٦م[(٥)] تراجع فيصل إلى قرية الحمراء[(٦)]، ولم يكن تراجعه إليها إلا تمويهاً[(٧)]؛ لأنه سئم عجزه العسكري الواضح، وكـان أيـضاً مصمماً على منح قواته فترة قليلة من الراحة[(٨)].

ويذكر لورنس أنه سأل فيصلاً عن خططه آنذاك، فقال: مادامت المدينة واقعة تحـت سـيطرة

---

(١) السابق، ص١٠٥.

(٢) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٨٨.

(٣) السابق، ص ٩١.

(٤) لورنس، ص١٠٥.

(٥) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٨٨.

(٦) الحمراء: قرية بوادي الصفراء، سكا ا الحوازم من بني سالم من حرب. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجـاز**، ج٣، ص ص٥٧- ٥٨. انظر خريطة رقم (٤).

(٧) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٨٨. موسى، **المراسلات التاريخية**، ص٨٥.

(٨) لورنس، ص١٠٥.

العثمانيين فإن الأشراف سيظلون يكافحون ليخرجوا القوات العثمانية منها(١).

وبعد تراجع فيصل إلى الحمراء كانت قواته الرئيسة في الخيف(٢)، ثم تحرك إلى بئر سعيد(٣)، وخطط للتراجع إلى منطقة أبعد(٤)، إلى حد وادي ينبع حيث تسكن هناك قبيلة جهينة الكبيرة. وبتجنيد قوات إضافية منهم فإنه سيمكنه الزحف باتجاه الشرق نحو الخط الحديدي خلف المدينة، في اللحظة التي يكون فيها شقيقه عبدالله متقدماً عبر الصحراء ليهاجم المدينة من الشرق، كما كان يأمل أن يتوجه شقيقه علي في الوقت نفسه من رابغ، في حين سيتحرك أخيه زيد إلى وادي الصفراء(٥) ليشتبك مع القوة العثمانية الكبيرة الموجودة في بئر عباس، ويبقيها خارج المعركة الرئيسة. وبتلك الخطة فإنه يمكن مهاجمة المدينة من الجهات كافة في وقت واحد (٦)، وقد أشار إلى ذلك ولسون في مذكرة بتاريخ ٦ المحرم ١٣٣٥هـ/ ٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٦م، جاء فيها:

فيصل الآن في بئر سعيد، إنه يود الذهاب باتجاه الشمال لقطع خط مواصلات العدو بين المدينة وسورية، وللاتصال بنوري الشعلان والزعماء الآخرين في تلك الجهات. علي في رابغ، ومعه عزيز علي. عبدالله ما يزال في مكة، وسيغادرها خلال أيام مع ٨٠٠ رجل ومدفعين، وسوف يزحف على الطريق الشرقي، وهدفه منع الاتصال بين المدينة والشمال والشرق، وخاصة حايل (عاصمة ابن رشيد)(٧).

ومهما كانت نسبة النجاح في تلك الخطة فإ ا إذا نفّذت، وتم حشد جيوش أبناء الحسين الثلاثة، فإن ذلك سيضعف من الاستعداد العثماني للهجوم، ويمنح قوات الحسين في رابغ ومنطقة جنوب الحجاز فرصة لتجهيز نفسها من أجل الدفاع الفعال، أو شن هجوم معاكس(٨).

---

(١) **الثورة العربية**، ص١٠٦.

(٢) الخيف: قرية بوادي الصفراء عند المضيق من الغرب، سكانه قبيلة حرب. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٣، ص ص١٨٠- ١٨١.

(٣) بئر سعيد: يقع في وادي الرشا بين الحمراء وينبع. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص١٦٢. وانظر خريطة رقم (٤).

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٨٨.

(٥) وادي الصفراء: واد من أكبر أودية الحجاز الغربية، يأخذ أعلى مساقط مياهه من جبال ورقان وعار والفقارة والفقرة. والطريق من مكة إلى المدينة يمر في وادي الصفراء. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٥، ص ص١٤٨- ١٥٠. وانظر خريطة رقم (٤).

(٦) لورنس، ص١٠٦ ـ ١٠٧.

(٧) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ص٩٥- ٩٦. لورنس، ص ص١٠٦- ١٠٧.

(٨) لورنس، ص ١٠٧.

وبالفعل تراجع فيصل إلى ينبع، لكنه وقع هو ورجاله في حصار لم يكن في حسبا م؛ فقد وصل فخري باشا بجيشه ومدافعه إلى ينبع النخل، ولم يعد بإمكانه التقهقر أكثر من ذلك؛ فوراءه ينبع البحـ ر التي مازالت في أيدي العثمانيين، وحاكمها بشير السعداوي أحد الموالين للدولة سيخرج لـ ه برجالـ ه، فيكون بين فكي كماشة(١)، وبذلك تمكنت قوات فخري باشا من السيطرة على جميع الطرق المؤديـ ة إلى ينبع(٢)، وكانت تلك فرصة لفخري باشا يقضي فيها على فيصل ورجاله(٣).

أحس فيصل بالخطر الشديد، فأرسل بعض رجاله يتسللون من منطقة الحصار إلى أكثر من جهة. ذهب بعضهم إلى والده في مكة، وذهب بعضهم الآخر إلى العياشية يستصرخ أبناء عمـ ه الأشـ راف، ونجح الرسول في النفاذ إلى العياشية، وأوصل الاستغاثة إلى عبد الكريم بن بديوي، فجمع ابن بـ ديوي الرجال من جهينة، وهاجم جيش فخري باشا من الخلف، ونجح في مباغتته، وإيقاع بعـ ض الخـ سائر فيه(٤).

وفي الوقت نفسه كان الحسين يطلب من حلفائه البريطانيين بواسطة ابنه عبـ د الله أن يتـ دخلوا ويفكوا الحصار عن فيصل، فأصدرت القيادة البريطانية أوامرها إلى البوارج الموجودة في البحر الأحمر أن تتجه إلى شاطئ ينبع، ومن هناك بدأت تقصف الجيش العثماني(٥).

وبذلك نجحت قوات فخري باشا في التقدم نحو مئة وأربعين ميلاً عن المدينة باتجاه ينبع ورابـ غ، لكن قوات الحسين نجحت أيضاً بمساعدة بعض القوات النظامية في صد قوات فخري باشا، وتراجعهـ ا بعد ذلك(٦).

---

(١) بدر ، ص٥٨.

(٢) Yatak, s64.

(٣) بدر، ص٥٨.

(٤) السابق.

(٥) السابق، ص٥٩.

(٦) El – Edroos, pp69- 70.

٣- إحكام حصار المدينة (وطأة الحصار):

أ- تحرك قوات عبدالله[١] من مكة إلى وادي العيص[٢]:

أتم عبد الله استعداداته، ثم غادر مكة في ١٦ المحرم ١٣٣٥هـ/ ١٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٦م على رأس قواته، التي أخذت تعرف منذ ذلك الحين باسم الجيش الشرقي[٣]، متجهاً نحو المدينة[٤]، سالكاً الطريق الشرقي الوعرة، فبلغ وادي الليمون[٥]بعد خمسة أيام في ٢١ المحرم ١٣٣٥هـ/ ١٧ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٦م. وكان فخري باشا يضغط آنذاك على قوات علي وفيصل، بينما كان ابن مبيريك يقيم مع بعض عشائره في حجر[٦]. ولكي يخفف فخري باشا ضغطه على قوات علي وفيصل في ينبع ورابغ أرسل عبدالله في المحرم ١٣٣٥هـ/ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٦م[٧] بعد وصوله إلى البركة[٨]، وهي المحطة الثالثة على الطريق[٩] وهو في طريقه إلى الحناكية[١٠]، مجموعتين من جيشه: الأولى بقيادة فوزان الحارثي[١١] لمهاجمة حسين بن مبيريك في

---

(١) انظر خط سير جيش عبدالله خريطة رقم (٥).

(٢) وادي العيص: وادٍ من روافد إضم، يأخذ أعلى مياهه من حرة بني سنان شمال وادي ينبع، ثم يتجه شمالاً حتى يصب في وادي الحمض (إضم) عند قرية المربع. سكانه بنو عروة من جهينة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٦، ص٢٠٠.

(٣) كان عماد ذلك الجيش فئتان من الهجانة المدربين والشوكة الهاشمية (أي الأشراف الملتحقين به) وفئة خيالة معها بطارية جبلية ثم عشائر عتيبة ومطير وحرب وهتيم. راجع: موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٩٩.

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١١٠.

(٥) وادي الليمون: يقع على الطريق الشرقي. انظر حريطة رقم (٤) و (٥).

(٦) حجر: وادٍ يقع شرق رابغ، ذو نخيل وقرى وعيون جارية لزبيد من حرب، يقع شرق رابغ ويعتبر أحد الروافد الرئيسة لوادي مرعنيب (وادي رابغ)، له روافد عديدة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٢، ص٢٣٢.

(٧) الروسان، ص ٣٩.

(٨) البركة: يقع على الطريق الشرقي. انظر خريطة رقم (٤) و (٥).

(٩) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١١٨.

(١٠) الحناكية: بلدة حجازية تقع على طريق القصيم من المدينة المنورة. سكانها قبيلة حرب. البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٣، ص٦٧. انظر خريطة رقم (٤) و (٥).

(١١) لم تجد الطالبة ترجمة له.

حجر[١]، وكانت مكونة من خمسمئة هجان[٢]، والمجموعة الأخرى بقيادة عبدالله بن ثواب الحارثي[٣]، وهي قوة سريعة الحركة؛ لكي تسبق قلب الجيش وتعمل على شن الغارات على مخافر العثمانيين في جبل وعيره[٤] وجبل أحد[٥] وراء الخط الأمامي للعثمانيين في وادي الصفراء[٦]، وكلفها إيقاد النيران في المرتفعات، وأسر كل خارج من المدينة، وإعادته إليها؛ كي يقوموا بإبلاغ أهلها وغيرهم من رجال القبائل[٧] الذين أيدوا العثمانيين وعلي حيدر[٨] بما شاهدوه. أما هو فقد توجه بقواته الأخرى إلى الحناكية[٩]، وأقام بها ثلاثة أيام تجمعت حوله قوات تشكلت من قبائل حرب، وبلغ مجموع ما معه عشرين ألف رجل، وكان معه من كبار القوم شاكر بن زيد، وخالد بن لؤي[١٠]،

---

(١) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص٩٩، ص ص ١١٨ ـ ١١٩. الروسان، ص ٣٩.

(٢) الروسان، ص ٣٩.

(٣) عبدالله بن ثواب أبو يابس الحارثي: من الأشراف الحرث الذين شاركوا الحسين في حروبه سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ورافقوا فيصل بن الحسين في حروبه وتقدمه إلى دمشق. راجع: الحسني، محمد بن علي. **العقود اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنية بالمملكة العربية السعودية**. د.ط. د.م: د.ن، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٢٧٠.

(٤) جبل وعيرة: جبل ذو رأس مقعر يقابل أُحداً من الشمال الشرقي، بينهما فج المفهق، وهي من جبال المدينة المنورة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٩، ص١٤٦. انظر خريطة رقم (٣).

(٥) جبل أُحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد. وهو أحد جبال المدينة المشرف عليها من الشمال، وأهل المدينة يسمونه (حِن) ويقع حي الشهداء بسفحه الجنوبي. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص٦٠.انظر خريطة رقم (٣).

(٦) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**،ص١٠٠.

(٧) سيأتي الحديث عن علي حيدر ودوره في استمالة القبائل في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(٨) علي حيدر باشا ابن جابر بن عبدالمطلب بن غالب الحسني (١٢٨٠– ١٣٥٣هـ/ ١٨٦٣– ١٩٥٣م): من أشراف مكة من ذوي زيد. ولد بالآستانة وتعلم فيها. وتقدم عند العثمانيين، فجعلوه وزيراً للأوقاف ثم وكيلاً أول لرئاسة مجلس الأعيان. وبعد ثورة الحسين على العثمانيين بمكة عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م صدر مرسوم من السلطان محمد رشاد بتعيين علي حيدر أميراً لها، على أمل أن يجد أنصار في قبائلها، يقاومون ثورة الحسين. وبعد بلوغه المدينة، شكل عبئاً على الحامية العثمانية فيها، فعاد إلى الشام، واستقر في لبنان، وتوفي في بيروت. راجع: صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**، ص ص١٣٩- ١٤٠.

(٩) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٠٠.

(١٠) خالد بن منصور بن عبد الله بن لؤي (١٢٩٠ – ١٣٥١هـ/ ١٨٧١ – ١٩٣٢م): يعود في نسبه إلى الأشراف العبادلة، وكان أميراً على الخرمة شارك في الثورة العربية، ولكنه ثار على ابن عمه الملك الحسين لسوء
=

وناهس الذويبي[١] من شيوخ حرب[٢]، وتم الاتفاق في تلك الأثناء بين لـورنس وفيـصل[٣] علـى استدعاء عبدالله من الحناكية للاستيلاء على وادي العيص الذي يشكل تهديداً لخطوط مواصلات فخري باشا الحديدية مع الشام، ولمنع الإمدادات التي ترسل إلى المدينة من جهة الشرق، إضـافة إلى وقوعـه بالقرب من ينبع؛ إذ من الممكن أن يزوده فيصل هناك بالذخيرة والمؤن[٤]. وبالفعل توجه عبدالله بقواته نحو الغرب لعبور خط السكة الحديدية بين محطتي أبو النعم[٥] وهدية[٦] إلى وادي العيص، وفي أثنـاء عبور الجيش من منطقة حرة خيبر[٧] التقى في ١٩ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ١٣ يناير (كانون الآخـر) ١٩١٧م بقوة من العثمانيين يقودها أشرف بك[٨]، كانت في طريقها إلى حائل تحمل هدايا إلى سعود

=

حكمه، وأعلن الولاء للملك عبد العزيز. شارك في دخول الجيش السعودي الطائف ومكة وجـدة عـام ١٣٤٣-١٣٤٤هـ/ ١٩٢٤م، ثم قاد الجيش المتجه إلى عسير لإخماد ثورة الأدارسة، فتوفي في الطريق قبل أن يصل إلى صبيا. راجع: الطويان، عبد الله زايد. **رجال** في **الذاكرة**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣، ص ص ٣٨– ٤٣. الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. ط٨. بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م مـج٢، ص ص٢٩٩– ٣٠٠.

(١) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٢) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٠٠.

(٣) كانت خطة لورنس تقوم على أساس أن يتحرك عبدالله من الحناكية إلى منطقة خيبر ليهدد خط السكة الحديدية في جنوب المدينة، إلا أن فيصل رأى أن يوسع تلك الخطة بحيث يتجه عبدالله إلى وادي العيص. وبعد أن تأكد لورنس من تبني فيصل لتلك الخطة أشار عليه أن يتحرك من ينبع باتجاه الشمال كخطوة أولى نحو الوجه، دون الانتظار لتلقي الرد من عبدالله. راجع: لورنس، ص ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٤) لورنس، ص ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٥) أبو النعم: وادٍ تقطعه سكة حديد الحجاز. فيه محطة لها شمال غربي المدينة. واقع في ديار ولد محمد من حـرب. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٩، ص ص ٦٨ ـ ٦٩. انظر خريطة رقم (١).

(٦) هدية: محطة تقع شمال المدينة بينها وبين العلا. كانت محطة للجمال ثم أصبحت محطة لـسكة الحديـد في وادي الطبق. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٩، ص١٦٩. انظر خريطة رقم (١).

(٧) حرة خيبر: حرة تشتمل على معظم أودية خيبر وقراه، تمتد من الصلصة جنوباً إلى سلاح شمالاً، وتتصل شرقاً بحرة النار المعروفة اليوم بحرة هتيم، يسير منها الطريق من المدينة إلى تبوك. وهي حرة تشترك فيها قبيلتا عـنـزة من الـشمال، وبني رشيد في الجنوب. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٢، ص٢٦٨.

(٥) "تفصيل جديد عن المعركة التي أسر فيها أشرف بك" **القبلة**، س١، ع٥٣ (٢٢ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٣. موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٠٠.

بن رشيد والإمام عبد العزيز بن سعود والإمام يحيى بن حميد الدين(١). واعتـزم عبـدالله أن يباغـت الأعداء، فأرسل فرسانه للالتفاف من ورائهم، ثم بعث مشاة القبائل بقيادة الأشراف زيد بـن شـاكر وخالد بن لؤي وفوزان الحارث، وسرعان ما وقع الاشتباك، فقضت قوات الحسين على القوة العثمانية وجاؤوا بقائدها أسيراً(٢) ومعه أربعة وثلاثون من جنوده، كما غنموا مدفعاً ورشاشات وذخائر ومبلغ ثمانية وثلاثون ألف ليرة ذهباً(٣)، وخيل، وجمال (٤). وغنمت قوات الحسين خمسة آلاف قطعة ذهبية، وثلاثين ألف ليرة ورقية كانت قد أرسلت إلى أشرف بك، إضافة إلى خمس وعشرين ليرة ذهبية وثمانين ألف ليرة ورقية كانت قد تبقت معه في الأصل(٥).

وعبر عبدالله خط السكة الحديدية، فقام رجاله باقتلاع أعمدة الهاتف ونزع القضبان(٦). وبعـد عبوره خط السكة الحديدية بين محطتي هدية وأبو النعم كتب إلى فخري باشا يخبره بما حدث قائلاً: "إن الحرب انتقلت الآن ما بين الشام والمدينة"(٧)، وأنه قضى على قوة أشرف بك، وأعرب عـن عجبـه لإرسال تلك القوة وما تحمل من أموال في بلاد ثائرة. كما أن أشرف بك نفسه كتب رسالة إلى فخري باشا أبلغه فيها بما وقع معه(٨).

وبعد عبور عبدالله خط السكة الحديدية وصل إلى وادي العيص في ٢٣ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/ ١٧ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م(٩)، وهنا بدأت ذروة حركة جيش عبدالله(١٠)؛ إذ أقام معـسكره بوادي العيص، وأخذ رجاله يشنون الهجمات المتكررة ضد الخط ومحطاته(١١). كما أصبح يهدد جناح

---

(١) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٢٠. الحميد ،ص ٤٠٥

(٢) موسى، **المراسلات التاريخية**، ص٩٨.

(٣) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٠٠. الروسان، ص ٣٩

(٤) "تفصيل جديد عن المعركة التي أسر فيها أشرف بك" **القبلة**، س١، ع٥٣، ص٣.

(٥) Kıcıman, s94.

(٦) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ـ ١٩١٨م**، ص ١٠٠.

(٧) الروسان، ص ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٨) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٢١.

(٩) جدير بالذكر أن ذلك الزحف من مكة إلى وادي العيص استغرق شهرين وخمسة أيام. راجع، موسى، **الثـورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٢١.

(١٠) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٢١.

(١١) السابق، ص ١٠٠.

فخري باشا الأيمن ومؤخرته تهديداً مباشراً[١].

ب- التراجع العثماني وتغير الوضع العثماني العسكري في المدينة:

أدت حركة جيش عبد الله -منذ بدء خروجه من مكة- إلى تبدل واضح في الوضع العسكري في ميدان المدينة؛ فقد أصبح فخري باشا يواجه ثلاثة جيوش عربية في ثلاث جهات[٢]، بينما كانت القبائل في سلسلة الجبال المحيطة بالطريق السلطاني لا تزال تشن الغارات على مواقعه وخطوط مواصلاته، وتبعث فيها الارتباك[٣]، وسرعان ما أدرك أنه إزاء ذلك لا يستطيع مواصلة هجماته على قوات الحسين، وأنه لابد له من اتخاذ خطة الدفاع[٤]، ويوضح ذلك لورنس قائلاً: "إنه جرى قصف قواته -يقصد فخري- بشكل عنيف في قرية نخل مبارك من قبل طائرتين حربيتين بريطانيتين، حلقتا بصعوبة فوق الصحراء وقصفتا تجمع العدو في طليعتين، بالرغم من إطلاق القذائف المضادة عليهما"[٥]. وهكذا تراجعت قوات فخري باشا من ينبع النخل ووادي الصفراء وبئر سعيد إلى بئر درويش، وهو الجناح الأيمن الذي كان يعمل ضد قوات فيصل، وهنا شعر فخري باشا بالخطر، وخشي أن يهاجمه رجال القبائل من الجهة الجنوبية، فيستحكم الحصار عليه وهو بعيد من مركز قيادته ومستودعات ذخيرته، وليس معه من الذخيرة والمؤن إلا ما يكفي لقتال أيام معدودة؛ لذلك غير خطته، وأوقف الهجوم على فيصل ومن معه، والتفت إلى ابن بديوي الذي عسكر في الشمال الشرقي من مناطق انتشار جنوده، وشن هجوماً واسعاً عليه، ولم يكن في مقدور ابن بديوي أن يواجه جيش فخري باشا؛ لذلك سارع بالانسحاب، وأمر فخري باشا بمتابعتهم وهو ينوي سحب جيشه بعيداً من قذائف المدمرات البريطانية؛ ليعود به تدريجياً إلى المدينة من دون أن يقطع الطريق عليه أحد[٦].

وفي تلك الأثناء كان علي قد قرر التحرك شمالاً بكامل جيشه؛ ليهاجم قوات فخري باشا في وادي الصفراء، ومعه نحو سبعة آلاف رجل، وشعر فيصل أنه إذا تزامن تحركه مع تحرك أخيه علي فإن قوات فخري باشا ستدمر بين الجبال؛ لذا أبرق إلى شقيقه علي مقترحاً عليه ذلك، وطالباً منه تأخير تحركه بضعة أيام حتى يكون رجاله مستعدين، إلا أن علياً كان قد جهز نفسه، ولم يتمكن من الانتظار؛

---

(١) الجابري، ص ١٣٥.

(٢) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص١٠٠.

(٣) السابق، ص ١٢١.

(٤) السابق، ص١٠٠.

(٥) **أعمدة الحكمة السبعة**، ص١٥٥.

(٦) بدر، ص٥٩.

لذا فقد دفع فيصل أخاه زيداً إلى وادي ينبع ليجري الاستعدادات هناك، وعندما تم ذلك أرسله للاستيلاء على بئر سعيد، وأنجز ذلك بنجاح، ثم طلب من ابن بديوي وقبيلته جهينة المساندة، كما حشد رجال قبيلة حرب في إحدى الممرات لاعتراض التراجع العثماني في وادي الصفراء، وكان لديه نحو ستة آلاف رجل، ومن ثَم ستكون قوات فخري باشا بين فكي كماشة هناك؛ إذ جاءت أخبار من علي أنه بعدما تم الاستيلاء على بئر ابن حصاني(١) سلماً ضعفت همة رجاله عند سماع تقارير كاذبة عن حدوث تراجع في موقف بعض القبائل، فتم التراجع سريعاً وبغير انتظام إلى رابغ(٢).

وبذلك نجحت خطة فخري باشا، وعاد الجيش خلال أيام إلى المدينة بعد أن هرب ابن بديوي ورجاله(٣).

كما تراجع أيضاً الجناح الأيسر الذي كان يعمل ضد قوات علي(٤) من بئر القاضي(٥) وسطح الغائر(٦) وبرام(٧) وعبود(٨)، وعمد فخري باشا إلى إقامة خط دفاعه الجديد في بئر درويش ومجز وآبار علي(٩).

يذكر عبد الله بن الحسين في مذكراته أنه نتيجة تقدمه بقواته عبر الطريق الشرقي، وقيامه بحركة التفاف مشهودة إلى الشرق من المدينة، فإن فخري باشا تراجع إلى الوراء من المواقع المتقدمة التي كان

---

(١) بئر بن حصاني: محطة قديمة للجمال في وسط وادي غيقة،. قامت على آبار حفرها أحد أمراء صبح أهل تلك الديار ويدعى ابن حصاني فنسبت إليه. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص١٥٩. وانظر خريطة رقم (٤).

(٢) لورنس، ص ص١٥٥- ١٥٦.

(٣) بدر، ص٥٩.

(٤) ابن الحسين، ص ص ١٣٤ ـ ١٣٦.

(٥) بئر القاضي: محطة كانت للجمال في وادي الفرع بين بئر مبيريك وأبي ضباع. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص١٦٥.

(٦) الغائِر: ربع يأخذه الطريق بين بئر ماشي والقاحة، يقسم ماءه بين رئم في وادي النقيع، والحلقة في وادي الحِجي ثم في الصفراء. والغائر من ديار الصواعد من عوف. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج ٦، ص ٢١٩. انظر خريطة رقم (٤) و (٥).

(٧) برام: جبل أحمر في وسط سيح النقيع يقرن مع عِبود فيقال: برام وعبود، يطؤه الطريق من المدينة إلى الفرع. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص١٩٧.

(٨) عبود: جبل آخر صغير في وسط سيح النقيع يقرن مع فيقال: برام وعبود، يطؤه الطريق من المدينة إلى الفرع. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٦، ص٣٨.

(٩) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٠٠.

قد استولى عليها[(١)].

وإذا كان عبدالله يشير إلى أن انتصاره الأخير حدث بعده التراجع العثماني الذي كان مركزاً ضد فيصل في ينبع، وعلي في رابغ، فإن بعض الوثائق البريطانية أشارت إلى أسباب أخرى أحدثت مثل ذلك التراجع قبل انتصار عبدالله بأيام، ومنها انتشار بعض الأمراض في صفوف الجيش العثمـاني[(٢)]، بينمـا يشير لورنس إلى أن وجود نسبة كبيرة من الجنود المرضى، وازدياد ضعف الدواب لديهم، سواء مـن كثرة تحميلها أو من نقص العلف لإطعامها، وهجمات القبائل، حملت فخري باشا إلى التراجع والتحول إلى الدفاع السلبي في المدينة[(٣)]. وفي موضع آخر يقول لورنس:

> كان الوضع غير واعد بالنسبة للقوات التركية، ذلك أن فخري باشا كان نصف مـسرور عنـدما غـيرت التحركات المفاجئة لقوات عبدالله وفيصل في الأيام الأخيرة لعام ١٩١٦م المفهوم الإسـتراتيجي للحـرب في منطقة الحجاز، وعجلت في مجريات الحرب، أو في الإسراع ا (بعد الثامن عشر من كانون الثـاني ١٩١٧م) راجعاً عن الطريق السلطاني وفاراً وسالكاً وادي الصفراء؛ ليقيم خط دفاعي+ على مقربة من أسوار المدينـة؛ ذلك الخط الذي ثبت لغاية ما وضعت الهدنة اية للحرب، وأجبرت تركيا على تسليم المدينة المنورة وحاميتها العاجزة[(٤)].

وفي بعض الوثائق إشارة إلى أن نجاح بريطانيا في عمليات سيناء ضـد العثمـانيين، وصـعوبة الإمدادات عليهم، أثر بشكل واضح في التحركات العثمانية في الحجاز[(٥)]، بينما يقول فيجيمان: "بينما كان الدفاع عن المدينة مستمراً بتلك الصورة سقطت مكة والطـائف في أيـدي العـصاة، ولم يخـلُ سقوطهما من إحداث أثراً سلبياً+ على الدفاع عن المدينة. وقدم البدو إلى جبهة المدينة، وأحضروا معهم ما احتووه من عسكر العثمانيين من المدافع والبنادق الآلية، وبدأ البدو يحسون بالمزيـد مـن الثقـة في أنفسهم"[(٦)].

والمؤكد أن التراجع العثماني مهما كانت أسبابه يعد مرحلة حاسمة في مجريات المعركة؛ إذ نـتج من ذلك تعثر التهديدات العثمانية التي كانت سبباً في القلق البريطاني، لكن الخطة العثمانية عن تقـسيم دفاعات السكة الحديدية إلى مراكز ثلاث في معان وتبوك والمدينة سيكون لها تأثير بلا شـك؛ بـسبب

---

(١) السابق، ص ١٢١.

(٢) **FO.371/3044.Arabian Report. 24 January 1917.(NOXXII).**

(٣) **الثورة العربية**، ص١٥٨

(٤) السابق.

(٥) **FO.371/3080.Eastern Report. 31 January 1917.(NO1).**

(٦) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, ss91- 92.

تمركزها في نقاط مهمة على طول السكة الحديدية.

ج- تنسيق خطط قوات الحسين لإحكام حصار المدينة:

بدأ علي وفيصل في تنسيق خططهما بعد بدء تحرك قوات عبدالله وفي أثناء التراجـع العثمـاني، واستقر رأيهما على عقد اجتماع لتنسيق خططهما المقبلة، وفي يوم ٢٠ المحرم ١٣٣٥هـ/ ١٦ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٦م وصل فيصل إلى رابغ ومعه ثمانية وعشرون شيخاً من شيوخ جهينة؛ بقـصد مشاهدة المدافع والسفن الحربية لرفع معنويا م، وعقد الأخوان اجتماعاً على ظهر الـسفينة سـكوتيا، وتداولا في الموقف، وقررا أن يتوجه زيد على رأس قوة من حرب وجهينة والعقيلات إلى بئر سـعيد، وأن يتحرك علي إلى بئر ابن حصاني، ويبدأ عملياته من هناك، وأن تتحرك قوة من جيش فيصل بقيادة ناصر بن علي نحو الوجه؛ كي يعد العدة لمهاجمتها.

وبعد تنسيق الخطة السابقة وصل عبدالله إلى وادي العيص، وأخذ يستعد للعمل المكلف به، كما بدأ علي الذي استولى على بئر ابن حصاني سلماً يستعد للانطلاق للقيام بعملياته الحربية، أما فيصل فقد رأى ضرورة الاستيلاء على الوجه أولاً؛ حتى يتسنى له البدء بأعماله الهجومية على السكة الحديدية.

وفي ظل تلك الأوضاع أصبح زمام المبادرة في يد قوات الحسين بعد أن تم لهم القضاء على ابـن مبيريك، والاستيلاء على رابغ والطائف، واستسلام حاميتهما العثمانية؛ مما عزز وضعهم العـسكري. وبذلك أتيحت الفرصة لقوات فيصل المرابطة في ينبع للتحرك شمالاً نحو الوجه(١). وكان فيصل يعلـق أهمية عظمى على الاستيلاء على الوجه؛ لأنه سيؤدي إلى جمع القبائل حوله، كما كان يخطط لمهاجمـة خط السكة الحديدية بعد الاستيلاء على الوجه؛ لذلك طلب من بريطانيا تزويده بأربع سيارات مسلحة لكي يستعين ا في الإغارة على السكة الحديدية(٢). ثم بدأ فيصل بالاستعداد للزحف شمالاً بعد أن اتخذ جميع الوسائل الممكنة لتأمين ينبع ضد أي هجوم(٣).

استولت قوات فيصل وهي في طريقها إلى الوجه على أملج(٤) في ٢٣ربيع الأول ١٣٣٥هـ ـ/ ١٧يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م(٥)، وفي ٢٥ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٢٣ يناير (كـانون الآخـر)

---

(١) ولسون، جيرمي. **لورنس العرب السيرة الذاتية.** ترجمة: محمد نجار. عمان: الأهلية، ٢٠٠٠م، ص ص ١٨٤ـ ١٨٥.

(٢) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٠١.

(٣) ولسون، ص ص ١٨٤ـ ١٨٥.

(٤) أملج: بين الوجه وينبع، ويتبعها بعض أقسام من قبيلة جهينة. راجع: حمزة، ص٨٠. انظر خريطـة رقـم (٤) و(٥).

(٥) الروسان، ص ٤٠.

١٩١٧م وصل الأسطول البريطاني الذي بدأ بضرب ميناء الوجه، وإنزال الجنود العرب إلى البر، فتم لهم السيطرة على الوجه بعد أن انسحبت الحامية العثمانية إلى العلا مخلفةً وراءهـا كـثيراً مـن القتلـى والجرحى[١]، ثم وصلت قوات فيصل إلى الوجه في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٢٥ ينـاير (كـانون الآخر) ١٩١٧م[٢]، وأصبحت الوجه منذ ذلك الوقت مقراً للجيش الشمالي بقيادة فيصل نفسه[٣].

يعد استيلاء فيصل على الوجه نقطة تحول مهمة كبيرة في تاريخ ثورة الحسين، بل يمكـن عـده بداية الانتصار على القوات العثمانية في المدينة؛ بسبب ما ترتب عليه من نتائج كان لها أثر فعال في سير الأحداث فيما بعد؛ فقد أصبحت الوجه قاعدة إمداد وتموين لجيش الحسين على الساحل الـشمالي؛ إذ أعقبها الاستيلاء على الموانئ المهمة في شمال البحر الأحمر؛ كضبا [٤] والمويلح[٥] في ١٥ ربيع الآخـر ١٣٣٥هـ/ ٨ فبراير (شباط) ١٩١٧م[٦]، والعقبة في ١٩ رمضان ١٣٣٥هـ/ أغـسطس (آب) ١٩١٧م[٧]، وقد أشارت صحيفة القبلة إلى ذلك التقدم لجيش ثورة الحسين قائلةً: "والآن أصـبحت الراية العربية الهاشمية خافقة على ثغر العقبة الذي سيكون مركزاً لسوقيات جيش سمو الأمـير فيـصل الزاحف على الأعداء في عقر مراكزهم، وقد انقطعت بذلك المواصلات بين قوات الأعداء التي وضعها المتغلبة في جنوب معان وما بعدها من المحطات إلى المدينة المنورة وبين مرجعها الأصـلي في الـشمال، ويمكننا أن نقول: من الآن هذه القوات الفرعية المنفصلة عن جسمها الأصـلي أصـبحت في حكـم العدم"[٨].

وأدى انتصار قوات الحسين في الشمال إلى وفود القبائل على فيصل في الوجه معلنةً انضمامها إلى

---

(١) ولسون، ص ٨٩.

(٢) لورنس، إدوارد توماس. **الثورة العربية**. ترجمة: شعبان بركات. عمان: الأهلية للنـشر والتوزيـع ، ١٩٩٠م، ص١٠. " نشأة الحكومة الهاشمية " **القبلة**، س١،ع٤٨ (٥ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٣. السباعي، ص ٦١١.

(٣) الزبيدي، محمد حسين. **مولود مخلص باشا ودوره** في **الثورة العربية الكبرى** وفي **تاريخ العرب المعاصر**. بغداد: دار الحرية، ١٩٨٩م، ص ٨٢.

(٤) ضبا: من موانئ شمال البحر الأحمر، ويتبعها كافة حويطات التهم. راجع: حمزة، ص٨٠.انظر خريطة رقم (٤).

(٥) المويلح: من موانئ شمال البحر الأحمر.انظر خريطة رقم (٤) و (٥).

(٦) " زحف الجيش الهاشمي إلى المويلح " **القبلة**، س١،ع٥٠ (١٢ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٣. " الاستيلاء علـى المويلح " **القبلة**، س١،ع٥٢ (١٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢. "الاستيلاء على ضبا" **القبلة**، س١،ع٥٢، ص٢. الحميد،ص ٤٠٨.

(٧) السباعي، ص ٦١١. سعيد، ص ٢٢١.

(٨) " الثناء لله والحول والقوة له" س١،ع٩٦ (٢٧ رمضان ١٣٣٥هـ) ص١.

الثورة، وعلى رأس تلك القبائل الرولة[١]، والشرارات[٢]، والحويطات[٣]، وبنو صخر[٤]، والعمارات[٥]، وغيرهم[٦].

كما أصبحت الوجه والموانئ الأخرى قاعدة مهمة لانطلاق العمليات الهجومية على خط السكة الحديدية، وقطع أجزائه بصورة متكررة[٧]؛ وأصبح فيصل يهدد خط السكة الحديدية من الوجه وضبا والعقبة، وكان على العثمانيين أن يدافعوا عن خطهم، مماسيضطرهم إلى ترك مواقعهم جنوب المدينة إذا لم تصل إليهم التعزيزات، وسيضطرهم أيضاً إلى إضعاف حاميتهم في المدينة، وكلما زاد طول الخط الذي يدافعون عنه ضد هجمات قوات الحسين اضطروا إلى توزيع قواتهم، وبذلك سيحل بهم الضعف في كل مكان[٨].

ترسخت أقدام ثورة الحسين في الحجاز، وأخذت بيدها زمام المبادرة، بينما التزمت الحامية العثمانية في المدينة موقف الدفاع عن قواعدها في المدينة بعد أن تخلت تماماً عن فكرة الهجوم[٩]، وقسم الحسين قواته بعدها ثلاثة جيوش تحت قيادة أبنائه:

١- الجيش الجنوبي: بقيادة علي، ومقره رابغ، ومهمته حصار المدينة من الجنوب.
٢- الجيش الشمالي: بقيادة فيصل، ومقره الوجه، ومهمته قطع السكة الحديدية وخطوط مواصلات المدينة مع الشمال.
٣- الجيش الشرقي: بقيادة عبد الله، ومقره وادي العيص، ومهمته الهجوم على السكة الحديدية وقطع خطوط مواصلات المدينة من جهة الشرق.

---

(١) الرولة: من مسلم من عنزة. ومن عشائرهم: الدغمان، والفريجة، والمرعض، والقعقع، وآل مانع. راجع: الجاسر، ج١، ص ٢٥٤.

(٢) الشرارات: من فروعهم: الصبحي، الرشايدة، والصبيحات، والقوينات، والعمرو، والصباحنة. راجع: الجاسر، ج١، ص ص٣٣٩- ٣٤٠.

(٣) الحويطات: تمتد منازلهم في شمال الحجاز شمال الوجه على ساحل البحر الأحمر إلى داخل جزيرة سيناء، ومن تيماء جنوباً إلى الكرك شمالاً. راجع: الجاسر، ج١، ص ص١٦٢- ١٦٣.

(٤) بنو صخر: من قريش الحضر (ثقيف). ومنهم آل ساعد، وآل عيضة، وآل عايض،وآل حجي. راجع: الجاسر، ج١، ص ٣٧٩.

(٥) العمارات: من وايل من عنزة. ومنهم: السلقا، والجبل، والدهامشة. راجع: الجاسر، ج٢، ص ٤٩١.

(٦) موسى، **المراسلات التاريخية**، ص ١٠٠.

(٧) Yatak, s97.

(٨) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٦٠.

(٩) سعيد، ص ٢١٨.

وسنفصل فيما يأتي أعمال الجيوش الثلاثة؛ إذ أصبحت قوات فخري باشا في المدينة في مواجهة تلك الجيوش، وكان ذلك إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في المواجهات بين قوات الحسين والحامية العثمانية في المدينة.

د- قطع صلات المدينة بالجنوب- عمليات جيش علي الجنوبي[١]:

أخذت قوات علي على عاتقها مهاجمة المواقع الجنوبية القريبة منها، وكان علي قد تراجع إلى رابغ كما ذكرنا سابقاً[٢]، وأخذ يعد العدة للتقدم مرة أخرى نحو سلسلة الجبال؛ إذ بدأ علي عملياته الجديدة في ٧ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م، وبدأ حركته بقواته من رجال القبائل فقط.[٣]

قضت الترتيبات للعمليات الجديدة بأن ينتقل زيد على رأس قواته (التي هي في الأصل جزء من جيش علي) إلى رابغ [٤]؛ لكي يحل في ذلك الموقع، في الوقت الذي كان علي يقوم في أثنائه بعملياته الحربية في الجبهة[٥]، وتمثلت تلك العمليات في الآتي:

أ- مجز:

تقدم علي شرقاً فوصل إلى موقع الهفة في ١٤ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٨ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م، وفي اليوم التالي وصل إلى موقع أبو الضباع[٦]. وعندما لاحظ أن العثمانيين أقوياء في الهفة عقد عزمه على الالتفاف حولهم، ومهاجمتهم من الشمال الشرقي، وبعث إلى والده في ٢٤ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ١٨ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م يقول: إن العثمانيين أخلوا الهفة، وأخذوا يتراجعون[٧].

ومضى علي في تقدمه حتى كان يوم ٢٤ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ١٨ يناير (كانون الآخر)

---

(١) انظر خط سير علي خريطة رقم (٥).

(٢) راجع ص ص٥٢- ٥٤.

(٣) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص١٣٣

(٤) تدل يوميات زيد أنه تحرك من نخل مبارك في أول ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ أول يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م فبلغ رابغ يوم ١١ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٥ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م وتمركز فيها. راجع: موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص١٣٤

(٥) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م** ، ص١٣٤

(٦) **أبو ضباع**: عين جارية من أكبر عيون وادي الفُرع بعد أم العيال، وفي منتصف وادي الفرع. تسكنها قبيلة جهم من بني عمرو. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج ٥، ص ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٧) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م** ، ص١٣٤

١٩١٧م، فكتب إلى أبيه الحسين يقول: إنه عسكر في غدير عابود(١)، وأنه خرج من عابود بينما خرج العثمانيون من مجز(٢)، وجرت معارك بين الطرفين، منها المعركة التي حدثت بالقرب من مجـز في ٢٧ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٢١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م، وانتهت بهزيمة قوات فخري باشا. وجاء في رسالة أخرى بعثها علي أن طلائع قواته اتصلت بمواقع العثمانيين قرب مجز يـوم ٢٧ ربيـع الأول ١٣٣٥هـ/ ٢١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م، وبعد قتال استمر نصف سـاعة لحقـت الهزيمـة بالعثمانيين، واستمرت قوات الحسين تلاحق فلولهم حتى المساء، وفي اليوم التالي شنت قـوات علـي هجوماً على موقع مجز ذاته، فأرغمت قوات فخري باشا على ترك مواقعها الحصينة، والتراجع إلى غدير مجز، وبعد يومين من القتال تم الاستيلاء على الموقع بأكمله(٣)، ثم انسحبت قوات فخري باشا إلى بئر درويش في ١ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/ ٢٥ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م(٤). وتذكر المصادر التركيـة أن انسحاب فخري باشا إلى بئر درويش كان محاولة منه لإعادة تنظيم قواته، ودراسة أوضاع جيـشه بعد أن تم لقوات فيصل الاستيلاء على الوجه(٥). وقال علي في رسالته: إنه أرسل جماعة من رجاله إلى المدينة، فنسفوا مخزناً للسلاح في باب القبة، وكانت خسائر الأشراف قتيلاً، وإصابة ثلاثة بجراح(٦).

واستمر جيش علي في مواصلة هجماته على قوات فخري باشا بشكل مكثف؛ مما اضطر فخري باشا إلى سحب قواته إلى بئر درويش(٧)؛ إذ كانت في أماكن متقدمة في الغائر ومجز(٨).

ب- سطح الغائر:

نشطت طائرات الفريقين في الحرب الدائرة؛ ففي ١ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/ ٢٥ يناير (كـانون الآخر) ١٩١٧م قامت الطائرات العثمانية بإلقاء خمس قنابل على معسكر علي، ولم تحدث تلك القنابل

---

(١) عابود: تقع في الشمال الشرقي من رابغ. راجع موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجـاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٣٦.

(٢) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص١٣٤.

(٣) السابق. "هزيمة الأعداء" **القبلة،** س١،ع٤٨ (٥ ربيع الآخر ١٣٣٥) ص٢. "الاستيلاء علـى مجـز" **القبلـة،** س١،ع٤٨، ص٢. "التضييق على العدو" **القبلة،** س١،ع٤٨ ، ص٢.

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص١٣٥.

(٥) Yatak, ss101- 103.

(٦) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م،** ص ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٧) بئر درويش: بئر كبيرة دائرية الفوهة واسعة غزيرة الماء عذبته، تقع في صدر وادي الفُريش. راجـع: الـبلادي، **معجم معالم الحجاز،** ج١، ص١٦١. انظر خريطة رقم (٤) و(٥).

(٨) Yatak, s109.

أضراراً، بينما قامت طائرتان بريطانيتان في اليوم نفسه بإلقاء ١٦ قنبلة على معسكر العثمانيين الرئيس في سطح الغائر، كما عادتا في ٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ / ٢ فبراير (شباط) ١٩١٧م وألقت تسع قنابل على ذلك المعسكر، وفي ٢٢ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ / ١٥ فبراير (شباط) ١٩١٧م قامت بغارة أخرى وألقت إحدى عشرة قنبلة على معسكر سطح الغائر؛ مما أدى إلى وقوع خسائر جسيمة.

وفي أوائل شهر ربيع الآخر ١٣٣٥هـ / أوائل فبراير (شباط) ١٩١٧م دارت معركة بين الحوازم[١] (من جيش علي) وقوة من العثمانيين، واستمر القتال طوال اليوم، وكان النصر حليف قوات الحسين، وخسر العثمانيون عدداً من جنودهم.

ج- بئر درويش:

قرر علي بعد المعارك حول مجز إعادة تنظيم قواته في رابغ؛ لمواصلة المعارك حول المدينة[٢]. وبعد أن أتم تنظيمها في رابغ غادرها يوم ٤ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / ٢٦ فبراير (شباط) ١٩١٧م مع جميع القوات النظامية[٣] والأسلحة الثقيلة[٤] زاحفاً نحو بئر درويش حيث سيتعاون مع أخويه عبد الله وفيصل على تطويق المدينة.

وفي ٢٠ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ / ١٤ مارس (آذار) ١٩١٧م وصل علي إلى بئر ابن رايق[٥]، ولم يلبث أن تمكن من الاستيلاء على موقع بئر عباس، وتطويق موقع بئر درويش، ثم قام بهجوم شامل[٦]، واشتبكت قواته مع ثلاث كتائب عثمانية[٧]، ودار قتال عنيف استمر يومين، تقول عنه صحيفة القبلة: "اعتصم الأعداء به (أي: بئر درويش) منذ سنة، فأحسنوا في أثنائها تحصينه طبق الطرق

---

(١) الحوازم: بطن من مروح من بني سالم من حرب يسكنون الحمراء بوادي الصفراء. راجع: الجاسر، ج١، ص١٦٠.

(٢) السعيد، ص ص ٤٠ ـ ٤١.

(٣) ويذكر (الروسان، ص٤٠):"أن القوة كانت تقدر بأربع كتائب نظامية مع ثلاثة آلاف من المتطوعين البدو تساندهم سرية مدفعية جبلية" أما (موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز١٩١٦- ١٩١٨م**، ص١٣٦)فيذكر أن القوة التي زحف علي على رأسها "تتألف من أكثر من٧٠٠٠رجل من نظاميين ورجال قبائل".

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص١٣٦

(٥) بئر ابن رايق : يقع شمال شرقي بئر عباس. موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، صَ137.

(٦) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**،ص ١٣٧.

(٧) الروسان، ص ٤٠.

الفنية الحديثة"[١]. وأسفر القتال عن استيلاء قوات الحسين على بئر درويش يوم ٢٥ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ١٩ مارس (آذار) ١٩١٧م، وانسحاب العثمانيين إلى موقع المنجور[٢]، ثم إلى جليجلة[٣] في٣٠ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ٢٤ مارس (آذار) ١٩١٧م، ومنها إلى المدينة[٤]، وتعرضت إحدى الطوابير المتقهقرة من بئر درويش إلى جليجلة -أي: في المنجور- لهجوم من جانب قوات الحسين، وأسر ضابطان ونحو مئة جندي[٥]، وغنموا مئة جمل، وثلاث عشرة بندقية[٦]، وكان الجنود المكلفين تعقب العثمانيين المنهزمين قد وصلوا م إلى المنجور، وقابل جنود قوات الحسين الإمدادات الآتية إليهم من المدينة، وتمكنوا من هزيمة القوة العثمانية التي عادت أدراجها نحو المدينة[٧].

كان من نتائج معركة المنجور أن جنود قوات الحسين قطعوا على الجنود العثمانيين خط رجعة آخر مركز لهم في بئر درويش[٨]. أما عن نتيجة معركة بئر درويش، فقد جاء في برقية من علي إلى والده الحسين عقب انتهائها أن خسارة العثمانيين فيها بلغت خمسة وثلاثين قتيلاً[٩]، وعدداً من الأسرى[١٠]، كما غنمت قوات الحسين مئتين وسبع وثلاثين بندقية، وكمية من العتاد[١١]. ويشير السعيد إلى نتائج المعركة قائلاً:

كانت خسائرنا ١٠قتلى، و٢٠ جريحاً من العشائر، و٣جرحى من القوة النظامية. أما خسائر الأتراك في المضيق فكانت لا تقل عن ٣٠٠ قتيل، وأسرنا حوالي ٢٠٠ أسير، وغنمنا عتاداً وبندقيات وتجهيزات تركوها في معسكرا م وبينها أدوات الطبخ. كان بين الجرحى الأتراك نحو ٢٠ جريحاً مصابين بجروح خطيرة، بينهم ٨ أو ٩

---

(١) " احتلال بئر درويش " س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.

(٢) المنجور: ربع في مفرحات بين القُريش وذي الحُليفة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج ٨، ص ص٢٨٠ـ ٢٨١.

(٣) جلَيجلة: جبل شمال غرب المدينة المنورة بين ملل وخيف الخيار. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج ٢، ص١٦٥.

(٤) " احتلال بئر درويش " **القبلة**، س ١،ع ٦٤ ، ص ٢. Yatak, s 41. Kıcıman, s 96

(٥) Kıcıman, s 99.

(٦) "وقعة المنجور " **القبلة**، س ١،ع ٥٢، ص ٢.

(٧) " ا زام الأعداء " **القبلة** س ١،ع ٦٤، ص ٢.

(٨) " قطع خط الرجعة " **القبلة**، س ١،ع ٥٢، ص ٢.

(٩) " خسائر الأعداء " **القبلة**، س ١،ع ٦٤، ص ٢.

(١٠) " أسرى الأعداء " **القبلة**، س ١،ع ٦٤، ص ٢.

(١١) " غنائم جيوشنا " **القبلة**، س ١،ع ٦٤، ص ٢.

ضباط، فقررنا إعادتهم إلى القيادة التركية للاعتناء بهم؛ نظراً لطول خطوط مواصلاتنا، واحتمال موتهم أثناء النقل(١).

ويتفق أحد الباحثين مع ما جاء في مذكرات سعيد، فيذكر أن قوات الحسين نجحت في قتل وجرح وأسر خمسمئة مقاتل عثماني(٢).

وأدى احتلال قوات علي بئر درويش إلى اتخاذ الحكومة الهاشمية قراراً بمكافأة أفراد القوة، كما ورد خبر في صحيفة القبلة يقول: "اجتمع مجلس الوكلاء وقرر جعل مرتب كل واحد منهم معادلاً لمن هو فوقه بالرتبة، ولدى عرض هذا القرار على الحضرة العلية الهاشمية أجازته، وصدرت الإرادة الملوكية بتبليغه إلى وكالة الحربية الجليلة للتنفيذ"(٣).

وقد بلغ من ثقة علي بأهمية ذلك الانتصار أنه بعث على أثره رسالة إلى فخري باشا يعرض عليه أن يستسلم حقناً للدماء بعد أن أصبحت النتيجة واضحة، لكن فخري باشا رفض العرض الهاشمي، ورفض الاعتراف بقوات الحسين جيشاً نظامياً، وعدهم من الخارجين عن الدولة(٤). ويورد علي جودت خبر تلك الرسالة فيذكر: "إنهم أثناء قتالهم مع زيد في معركة بئر الماشي إذا برجل يحمل علماً أبيض فإذا هو رسولنا إلى فخري باشا يحمل الجواب على كتاب الشريف علي، ففضضناه، فكانت فيه عبارات تهكم فلم نر جواباً على هذا التحدي سوى فتح النار على طول الجبهة"(٥).

ومن المرجح أن فخري باشا على الرغم من رفضه الاستسلام كان يدرك خطورة الوضع؛ إذ قال لجنوده تعليقاً على نتيجة معركة بئر درويش: "إنكم تقاتلون الآن قوة منظمة هي كفء لكم، وليست بحرب عصابات"(٦).

كانت معركة بئر درويش من المعارك المهمة في تاريخ معارك ثورة الحسين؛ إذ استطاعت قوات الحسين لأول مرة في الثورة أن تستولي على موقع عثماني حصين بعد مواجهة عسكرية مباشرة. كما تميزت تلك المعركة بقيام تعاون تام بين القوة النظامية والقوة القبلية في تحقيق هدف عسكري، كما

---

(١) **مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي. الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص٤٣.

(٢) الروسان، ص ٤٠

(٣) " مكافأة أبطال بئر درويش " س ١،ع ٦٧ (١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٣.

(٤) الموصلي، ص ١٠١، ص ١٠٧. موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص١٤٠.

(٥) **ذكريات**. بيروت: مطابع الوفاء،١٩٦٧م، ص ٤٤.

(٦) الروسان ، ص ٤٠

كان لها تأثير كبير في نتيجة الحرب في الحجاز، وجعلت للمتطوعين العرب النظاميين مركزاً كـبيراً في نظر القبائل وأهالي الحجاز؛ مما زاد في احترامهم وتقديرهم للضباط، وجعل الحسين يفكر في إحـداث وسام النهضة على إثر تلك المعركة(١).

د- بئر الماشي:

في إطار محاولة الاقتراب من المدينة، وتضييق الحصار على جيش فخري باشا، شـنت قـوات الحسين هجوماً على بئر الماشي بعد معركة بئر درويش بأسبوع، ومن الواضـح أن قـوات الحـسين استغلت نجاحها في بئر درويش فواصلوا هجومهم على القوات العثمانية في بئر الماشي(٢)؛ إذ طلب علي من زيد أن يلتقي بقواته، ويكون على ميمنتها بمسافة تبعد عن تلك الآبار بنحو أربعة عشر كيلـومتراً، وكانت قوة زيد تتألف من نحو ألف من رجال القبائل، وفوج من المتطوعين(٣).

استطلع الأشراف قوة العثمانيين، واتضح لهم أ م قد حصنوا مواضعهم على الجبل(١) بدقة تزيد على دقتهم في تحصين بئر درويش(٤)، إضافة إلى وجود ألغام في الوادي، وكانت قوة العثمانيين تقـدر بلواء، إضافة إلى قوة تقدر بفصيل واحد كانت ترابط على التل الجنوبي المنفرد، وكان في إمكا م جلب احتياط من المدينة، وكان الماء متيسراً للقوات المرابطة هناك أكثر منه في بئر درويش(٥). وعليه، قررت حكومة الحسين أن يزحف زيد من الجنوب بقواته من الجنود النظاميين ومن رجال القبائل، وعلي مـن الغرب، وكانت الخطة كما يأتي:

أ- جم قوة القبائل التابعة لزيد من الجنوب إلى الأمام، وتكون القوات النظاميـة في الخلـف احتياطاً لها.

ب- جم قوة القبائل التابعة لعلي من الشمال الغربي نحو مواضع العثمانيين، و جـم القـوات النظامية من جنوب الطريق.

وبناءً على تلك الخطة تقدمت قوات الحسين، واستولت على المخفر، وانتخبت مواضع المدفعيـة وراء الجبل، وحصلت في اليوم الأول مناوشات بسيطة، وكان المقرر إ اء المعركة في اليوم التالي، إلا أن قوات الحسين لم تنجح في تحقيق ما كانت تصبو إليه؛ فقد استمرت معركة بئر الماشي من يوم ٨ جمادى

---

(١) موسى، **الثورة العربية الكبرى**. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م، ص ١٤٠.
(٢) الروسان ، ص ٤٠.
(٣) السعيد، ص ٤٤.
(٤) السابق.
(٥) السابق، ص ٤٨.

الآخرة ١٣٣٥هـ/ ١ إبريل (نيسان) ١٩١٧م حتى ١٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ/ ١٢ إبريل (نيسان) ١٩١٧م[١]؛ نتيجة وصول نجدة قوية للعثمانيين في اليوم التالي؛ فقد فوجئوا بانصباب نار مدفعية عثمانية قوية على مدفعية قوات الحسين؛ مما أدى إلى إخفاق هجوم قوات الحسين وانسحابهم إلى بئر درويش[٢]. ويعزو السعيد أسباب إخفاق هجوم قوات الحسين إلى أن المدفعية العثمانية كانت أبعد مدى، وأقوى فاعلية من المدفعية الموجودة لدى قوات الحسين، وقد أوضح ذلك في مذكراته قائلاً:

كان من تأثير النيران المنصبة من الجبهة والجناح الشمالي أن بدأت العشائر تشعر بضعفها؛ فلم تجرؤ على التقدم. وأذكر أن المرحوم داود صبري كان آمراً للبطارية المصرية، وكانت أحسن من البطارية الجبلية الموجودة لدينا، ولم يكن مداها المؤثر يزيد عن ألفين متر، ولما بدأت المدفعية التركية تصيب مدفعيتنا رأيت داود صبري يأمر بقطع النار، ويخرج منديله ويضعه على وجهه وينام، فظننت في بادئ الأمر أنه يريد أن يثبت للجنود برودة دمه، ولكن لم ألبث أن تبينت أنه نام من التعب والإعياء[٣].

ونجد رأياً آخر يعزو سبب إخفاق قوات الحسين إلى عدم وصول نجدة من بريطانيا لجيش علي؛ إذ ذكر الحسين في برقية بعثها إلى المعتمد العربي في القاهرة في ١٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ/ ١٢ إبريل (نيسان) ١٩١٧م أن "العدو حضر بئر الماشي بنصف قواه لأهمية موقعها وحاكميتها على الجهات لو أسعفونا ببقاء جزء من الطيارات بمعسكراتنا الجنوبية، وقذفهم بعشرة قنابل، لسقطوا في اليوم التالي وغنمناهم"، ويبدو أن الحسين طلب من بريطانيا تعزيز جيش علي لمواجهة الموقف[٤].

أما قوة القبائل التابعة لحكومة الحسين، فلم يتقدم منهم أحد للهجوم؛ لتضعضع معنوياتهم. وبسبب تعذر إجبارهم على الهجوم قرر علي الانسحاب إلى المضيق للمداولة، وتباحث مع رؤساء القبائل ومن ثم تقرر الانسحاب إلى بئر درويش انتظاراً للحصول على مدافع إضافية وعتاد كافٍ؛ بسبب ما لوحظ من تأثير نار المدفعية في معنويات القبائل، إضافةً إلى أن قلة الماء اضطرت علياً إلى التراجع[٥].

وكانت النتيجة أن قوات الحسين فشلت في الاستيلاء على مواقع العثمانيين في آبار الماشي،

---

(١) موسى، **مذكرات الأمير زيد. الحرب في الأردن١٩١٧ ـ ١٩١٨م**، ص١٥٠.

(٢) السعيد، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٣) **مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي. الحجاز وسوريا ١٩١٦- ١٩١٨م**، ص٤٩.

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ١٩٠.

(٥) الموصلي، ص ١٠١، ص ١٠٧.

وعادوا إلى بئر درويش[١]، ولم تتمكن قوات الحسين من أخذ أكثر من بضعة أسرى، وجرح عدد يسير جداً[٢].

هـ - قطع صلات المدينة بالشمال والشرق- عمليات جيشي فيصل وعبدالله الشمالي والشرقي:

في الوقت الذي كان فيه قسم من قوات الحسين يتولى قطع مواصلات المدينة من الجنوب للتشديد على القوى المرابطة فيها، وإرغامها على الاستسلام، كان هناك قسم آخر من تلك القوات يقوم بمناوشة قوات فخري باشا شرق المدينة وشمالها على السكة الحديدية، في محاولة منه لإنهاكها وإضعاف معنوياتها وإدخال اليأس في نفوسها، ثم إرغام حامية المدينة على الاستسلام، وكان على رأسها قوات الجيش الشمالي بقيادة فيصل، وقوات الجيش الشرقي بقيادة عبدالله.

كانت السكة الحديدية تبدأ بعد محطة مزيريب من (محطة دمشق)، وتمر بعدد من المحطات في طريقها، من أهمها: الديرة، وعمان، وجزا، وعطرانة (القطرانة)، ومعان، وغدير، والحج، وبطن الغول، ومدوارة (المدورة) [٣]، وتبوك، والأخضر، والمعظم[٤]، ودار الحمراء[٥]، ومدائن صالح (الحجر)، والعلا، وهدية؛ لتنتهي السكة الحديدية بمحطة المدينة، وهناك محطات فرعية أخرى على امتداد طول السكة الحديدية[٦]. وجدير بالذكر أن فخري باشا كان له تفكير في إيصال السكة الحديدية من الأستصيون إلى باب السلام[٧]، وكان الهدف الأول منها إخراج جميع موجودات الحجرة النبوية التي كانت مملوءة بهدايا السلاطين والأمراء والملوك، وترحيلها إلى العاصمة العثمانية، وكان الهدف الآخر هو الترحيل الإجباري لمن رفض الخروج من أهل المدينة[٨].

---

(١) الروسان، ص ٤٠.

(٢) السعيد، ص ٤٩.

(٣) المُدورة: محطة للسكة الحديدية شمال تبوك . راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٨، ص٦٦. انظر خريطة رقم (١).

(٤) المُعظم: سهل واسع جنوب تبوك تسيل فيه أودية وهو من ديار بني عطية ومحطة للسكة الحديدية. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٨، ص١٩٩. انظر خريطة رقم (١).

(٥) دار الحمراء: محطة للسكة الحديدية جنوب تبوك وتعتبر الحد بين قبيلة بني عطية شمالاً وعنزة جنوباً وشرقاً. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٣، ص١٩٤. انظر خريطة رقم (١).

(٦) مرشد، أحمد أمين. **طيبة وذكريات الأحبة**. المدينة المنورة: المؤلف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج٥، ص٤٥.

(٧) انظر مد السكة الحديدية خريطة رقم (٦).

(٨) مرشد، ج٥، ص٦٥.

وفعلاً، أوصل خط السكة الحديدية مروراً بشارع العنبرية[١] ثم المناخة[٢] حتى أصبحت قريبة من باب السلام؛ إذ أوصلها إلى طرف شارع العيينية الشرقي[٣].

- المحاولات الأولى لقطع السكة الحديدية:

كانت السكة الحديدية هدفاً لقوات الحسين منذ بداية المعارك حول المدينة قبل تغير موقف فخري باشا من الهجوم إلى الدفاع؛ لأن التراجع[٤] الذي اضطرت إليه قوات الحسين دفعهم إلى توزيع قواتهم على ثلاث مجموعات: الأولى قرب محطة المحيط، والثانية قرب محطة حفيرة[٥]، والأخيرة قرب محطة بواط[٦]. وعمدت حكومة الحسين إلى تبديل أسلوب القتال بعد أن تبين لها أن القبائل لا تستطيع الدخول في معارك مجابهة مع القوات النظامية، وقامت الخطة الجديدة على مهاجمة خط السكة الحديدية، والعمل على نزع قضبانها، بقصد تطويق المدينة ومحاصرتها[٧]؛ ففي ١ و٢ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢ و٣ يونيو (حزيران) ١٩١٦م بدأت قوات علي وفيصل بمحاولاتها الأولى لقطع خط السكة الحديدية، فاستطاعت تخريب خط السكة الحديدية التي تربط بين محطات هدية وأبو النعم[٨]. وفي ٧ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٨ يونيو (حزيران) ١٩١٦م هاجم علي وفيصل بستة آلاف مقاتل محطة المحيط، واشتبكوا مع حاميتها، فدارت أول معركة بين قوات الحسين وقوات فخري باشا، واستأنفا الغارة صباح ٨ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٩ يونيو (حزيران) ١٩١٦م بالهجوم على محطة المحيط وموقع الحسا، وكان فخري باشا قد استعد للقائهم على رأس قوة كبيرة، فدارت بين الجيشين معركة حامية امتدت من الصباح إلى الظهر، وانتهت بارتداد قوات الحسين إلى بئر الماشي لنفاد ذخائرهم[٩]، وفي ١١ شعبان ١٣٣٤هـ/

---

(١) العنبرية: من أحياء المدينة. انظر خريطة رقم (٦).

(٢) المناخة: حي من أحياء المدينة له سوق غرب المسجد النبوي، ويجاورها مسجد الغمامة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٨، ص٢٧٠. انظر خريطة رقم (٦).

(٣) مرشد، ج٥، ص٦٥.

(٤) السابق.

(٥) حفيرة: تصغير حفرة جبل وواد غرب جبل غمرة بينهما الطريق من المدينة إلى الشام. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٣، ص٣٦. انظر خريطة رقم (١).

(٦) بواط: واديان أحدهما يدفع في وادي إضم والآخر في ينبع غرب المدينة كان محطة للسكة الحديدية. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص٢٥٦. انظر خريطة رقم (١).

(٧) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص ٥٦.

(٨) Yatak, s 319.

(٩) راجع ص ص٤٢-٤٣ من هذه الدراسة.

١٢ يونيو (حزيران) ١٩١٦م تمكنوا من تدمير مئة وأربعين عموداً من أعمدة التلغراف بين أبو النعم وبواط[(١)]. لكن بعد مضي بضعة أيام اضطرت قوات الحسين إلى التخلي عن تلك الخطة[(٢)]؛ إذ إنها لم تكن ذات فاعلية تذكر بسبب قيام القوات العثمانية بإصلاحها بسرعة[(٣)]، كما أن العثمانيين أخذوا يطاردونهم تحت حراسة قطارات مسلحة لم تكن قوات الحسين تملك حيلة تجاهها[(٤)]، ومن ثم تأخر تنفيذ خطة قطع خط السكة الحديدية بسبب المقاومة التي كانت تواجهها قوات الحسين من قبل قوات فخري باشا.

- قطع السكة الحديدية وفرض حصار عليها:

نتج من نزول عبدالله في وادي العيص، ونزول فيصل في الوجه، تبدل واضح في أوضاع القوات المتقابلة في الحجاز؛ إذ تحول مركز الثقل نحو الشمال من المدينة إلى خط السكة الحديدية، ونتج من ذلك تخفيف الضغط كلياً عن الجنوب، وكانت المحصلة النهائية أن رابغ وينبع والوجه أصبحت موانئ للإمداد والتعزيز لا غير[(٥)].

وبسبب فشل قوات الحسين في إجبار حامية المدينة على الاستسلام على الرغم من تحسن وضع قوات الحسين حول المدينة، خصوصاً بعد الاستيلاء على ميناء الوجه، استقر رأي القيادة العسكرية لقوات الحسين على أنه لا سبيل إلى إجبار حامية المدينة على الاستسلام إلا عن طريق فرض حصار محكم عليها بقطع خط السكة الحديدية، وظهر أن تلك الفكرة قابلة للتنفيذ بشكل مؤثر؛ لذا كانت أول غارة شنتها قوات الحسين على السكة الحديدية بعد الاستيلاء على الوجه في ١٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/ ١٢ فبراير (شباط) ١٩١٧م؛ إذ تحركت قوة مكونة من العقيلات وجهينة بقيادة عبدالكريم البديوي، هدفها محطة طويرة[(٦)]، وكانت لها نتائج مؤثرة في خط السكة الحديدية[(٧)]؛ إذ

---

(١) Yatak, s 319.

(٢) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٥٦.

(٣) Yatak, s 41.

(٤) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٥٦.

(٥) السابق، ص ١٨٦.

(٦) طويرة: محطة للسكة الحديدية شمال المدينة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٥، ص٢٤٢. انظر خريطة رقم (١).

(٧) **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٣- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 3. رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٢٥/٥/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة الحديدية**

=

تمكنت قوات الحسين من تخريب السكة الحديدية، ونسف قطار بأكمله بمن فيه، و ـدم جسر كبير من جسور السكة الحديدية في طويرة بين مدائن صالح والمدينة(١). وبعد عشرة أيام من تنفيذ الغارة الأولى انطلقت حملة أخرى من ميناء الوجه بقيادة الشريف ناصر بن علي مؤلفة من مئـة وسـتين رجـلاً، انقسمت إلى ثلاث فرق، تقدمت إحدى تلك الفرق لمشاغلة الحامية في محطة دار الحمراء، بينما عملت الفرقتان الأخريان على تدمير خط السكة الحديدية بواسطة المتفجرات، ونتج من ذلك تـدمير مئـتين وخمسين قضيباً وخمسة عشر عموداً من أعمدة التلغراف، إضافة إلى نسف قاطرتين بين محطتي خـشم الصفا(٢) والمعظم(٣).

واستمرت قوات الجيش الشمالي بقيادة فيصل في مهاجمة خط السكة الحديدية؛ ففي ١٥ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ٨ مارس (آذار) ١٩١٧م هاجمت تلك القوة محطة دار الحمراء، وخربـت مـسافة ألفين وخمسمئة متر من الخط الحديدي بين دار الحمراء وخشم الصفا، وأسرت ستة عشر جندياً(٤).

كما هاجمت قوات فيصل في جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ/ مارس (آذار) ١٩١٧م السكة الحديدية بنقطة تبعد عدة أميال من محطة العلا إلى الجنوب، وتوقفت لتدمير ثلاثة جسور ضخمة مبنيـة علـى المسيلات الواقعة قرب العلا، ثم خربت قسماً كبيراً من السكة الحديديـة(٥). وفي جمـادى الآخـرة ١٣٣٥هـ/ مارس (آذار) ١٩١٧م تم تخريب السكة الحديدية بين دار الحمراء وخشم الصفا تخريباً تاماً، وخرب أيضاً مئة وعشرة قضبان أخرى، وقُطعت الأسلاك البرقية(٦).

كثفت قوات الحسين هجما ا على خط السكة الحديدية، ولم يعد العمل مقتصراً على الجـيش

= ومحاولة العثمانيين **استمالة القبائل.** موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب** في **الحجاز ١٩١٦ – ١٩١٨م**، ص ص ١٥٦- ١٥٧.

(١) "نسف سكة الحديد في الطويرة" **القبلة**، س١، ع ٥٧(٧ جمادى الأولى١٣٣٥هـ) ص٢. "نسف سكة الحديد في الطويرة" **القبلة**، س١، ع ٥٨(١١ جمادى الأولى١٣٣٥هـ) ص٢.

(٢) خشم الصفا: محطة للسكة الحديدية. انظر خريطة رقم (١).

(٣) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحـرب** في **الحجـاز ١٩١٦ – ١٩١٨م**، ص ١٥٧. Goulsy, Ufuk. **Hicaz Dmirlyan**.Eren Yay. Istanbul, 1994, s230.

(٤) "قطع السكة الحديدية بين الدار الحمرا وخشم صنعاء" **القبلة**، س١، ع٦٠ (١٧ جمـادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٥) "قطع السكة الحديدية قرب العلا" **القبلة**، س١، ع ٦٤، ص٢.

(٦) "تخريب السكة الحديدية" **القبلة**، س١، ع ٦٧(١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص٢.

الشمالي، بل إن قوات الجيش الشرقي بقيادة عبدالله[١] أصبحت تشكل خطراً على خط السكة الحديدية؛ ففي جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ/ مارس (آذار) ١٩١٧م تم الهجوم على محطة أبو النعم، وحطم قطار على إثر ذلك[٢]. وفي رجب ١٣٣٥هـ/ إبريل (نيسان) ١٩١٧م هاجمت القوات محطة بوئيرة[٣]، شمال المدينة[٤]، ومن هنا أخذ عبدالله في أسباب تشديد نطاق الحصار على العثمانيين في المدينة من الجهة الشمالية[٥]؛ ففي شعبان ١٣٣٥هـ/ مايو ١٩١٧م ذكر عبدالله أن السكة الحديدية منقطعة تماماً منذ شهر، وأصبح العثمانيون في عزلة تامة عن الشمال، ويؤيد ذلك تقرير زيد أن العثمانيين سحبوا قواتهم التي كانت على خط السكة الحديدية إلى داخل المدينة؛ ليأسهم من إمكان انتفاعهم من الخط بعد ذلك[٦].

وللتنسيق بين الأنشطة التي تقوم بها كل من قوات عبدالله وقوات فيصل تم عقد اجتماع بين كل من عبدالله وفيصل يومي ٢٥ و٢٦ رمضان ١٣٣٥هـ/ ١٥ و١٦ يوليو (تموز) ١٩١٧م لوضع خطة مشتركة بين الطرفين، تقوم بموجبها جميع القوات بالهجوم الشامل على محطات السكة الحديدية بدءاً من ١٠ شوال ١٣٣٥هـ/ ٣٠ يوليو (تموز) ١٩١٧م.

وبعد ذلك الاتفاق تمكنت قوات عبدالله في ٧ شوال ١٣٣٥/ ٢٧ يوليو (تموز) ١٩١٧م من تدمير قضبان السكة الحديدية بين محطتي المدرج[٧] وهدية مسافة أربعة كيلومترات[٨]. وواصلت قوات عبدالله هجماتها على السكة الحديدية، حتى نجحت في: "تخريب خمسة عشر كيلومتراً من السكة بما فيها

(١) قام عبدالله في ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/ يناير(كانون الآخر) ١٩١٧م بقطع السكة الحديدية من بعض النقاط المجاورة لمعسكره على سبيل التجربة، وذكر أنه مضى على ذلك مدة لم يظهر فيها أي حركة من طرف العثمانيين لإصلاحها، وقد انقطعت بذلك المواصلات بين العثمانيين والجهات الشمالية. راجع: "قطع السكة الحديدية وعدم تعرض الأعداء لإصلاحها" **القبلة**، س١،ع ٤٩، (٨ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٢) "الهجوم على محطة أبي النعم وتحطيم قطار" **القبلة**، س١، ع ٦٧ص٢.

(٣) بوئيرة: محطة للسكة الحديدية شمال المدينة إلى الغرب. انظر خريطة رقم (١).

(٤) "معركة في محطة البوير" **القبلة**، س١، ع ٧٤(٩ رجب ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٥) "محاصرة الأعداء من الشمال" **القبلة**، س١، ع ٧٤، ص٢.

(٦) "حول المدينة المنورة" **القبلة**، س١، ع ٨٢(٧ شعبان ١٣٣٥هـ) ص٣.

(٧) المُدرج: محطة للسكة الحديدية شمال المدينة إلى الغرب. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٨، ص٦٣. انظر خريطة رقم (١).

(٨) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ٢٢٧.

الجسور وأسلاك التلغراف"[١].

كما وصلت قوة في ١٣ شوال ١٣٣٥هـ/ ٢ أغسطس (آب) ١٩١٧م إلى خط السكة الحديدية بالقرب من محطة طويرة، وفجرت ألفاً وأربعمئة شحنة، وكانت مسافة التدمير نحو ستة كيلومترات، ومن ضمنها سبع عبارات. وفي ٢٠ شوال ١٣٣٥هـ/ ٩ أغسطس (آب) ١٩١٧م وصلت قوة عسكرية إلى سفح جبل عنتر، وتمكنت من تدمير مئة من قضبان خط السكة الحديدية[٢]. وفي ١٦ ذي القعدة ١٣٣٥هـ/ ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩١٧م قامت قوات شاكر بن زيد بعمليا بين محطتي إسطبل عنتر[٣] وأبو النعم، ودمرت نحو خمسمئة قضيب من خط السكة الحديدية وعدة أميال من خط التلغراف[٤]. وفي ١١ ذي الحجة ١٣٣٥هـ/ ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩١٧م أبلغ عبدالله والده الحسين أن قواته قامت بعمليات هجومية بين محطتي أبار نصيف[٥] وبواط، أسفرت عن تدمير ثلاثة جسور ومسافة ثمانية كيلومترات من الخط[٦].

وفي الأيام العشرة الأولى من أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧م شنت قوات عبدالله وزيد هجمات في مواقع مختلفة، وأوقعت تخريبات واسعة؛ ففي ١٧ ذي الحجة ١٣٣٥هـ/ ٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧م هوجم الخط بين محطتي زمرد[٧] وسهل المطر[٨]، وتم تدمير مئتين وثلاثين قضيباً من خط السكة، ومسافة ثلاثة كيلومترات من أسلاك الهاتف، وسبعة أعمدة تلغراف، وجسرين، كما قطعت المواصلات بين محطتي إسطبل عنتر وبؤيرة، وهوجمت قوة عثمانية بالقرب من محطة المعظم، وقامت قوة بقيادة الشريف شاكر بمهاجمة الخط بين محطتي أبو النعم وإسطبل عنتر، فدمرت نحو ألف قضيب من قضبان السكة. وفي جهات إسطبل عنتر وآبار نصيف تم تدمير ثمانمئة قضيب، وقامت قوة من جيش زيد بتدمير سبعة كيلومترات ونصف الكيلومتر من خط السكة الحديديةبين محطتي سهل المطر وقلعة

---

(١) صفوة ،مج٣، ص ٢٨٢.

(٢) موسى ، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص ٢٢٨.

(٣) إسطبل عنتر: كانت محطة للسكة الحديدية شمال غرب المدينة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٦، ص١٨٢. انظر خريطة رقم (١).

(٤) السابق، ص ٢٣٠.

(٥) آبار نصيف: كانت محطة للسكة الحديدية. انظر خريطة رقم (١).

(٦) السابق، ص ٢٣٢.

(٧) زمرد: كانت محطة للسكة الحديدية جنوب العلا. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٤، ص١٣٨. انظر خريطة رقم (١).

(٨) سهل المطر: كانت محطة للسكة الحديدية. انظر خريطة رقم (١).

المعظم(١).

وفي يومي ٣ و٤ المحرم ١٣٣٦هـ/ ١٩ و٢٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧م اشتبكت قوة من الجيش الشرقي مع قوات فخري باشا بالقرب من محطة هدية، واستطاعت تدمير خط السكة الحديدية وأعمدة التلغراف على مسافة خمسة كيلومترات(٢). كما قامت قوات الحسين في المحرم ١٣٣٦هـ/ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧م بتدمير ثمانمئة قضيب من خط السكة بين محطتي أبو طاقة(٣) ومطالع(٤)، وقوة أخرى دمرت تسعين قضيباً بالقرب من محطة طويرة(٥).

وفي ٢٦ المحرم ١٣٣٦م/ ١١ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٧م هاجمت قوات علي محطة بواط وتحصيناتها، وأحرقت جميع أبنيتها، ونسفت ثمانمئة من قضبان خط السكة الحديدية، وشمل التخريب جميع المراكز الصغيرة بين بواط ومحطة حفيرة. وفي ١ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٦ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٧م هاجم علي خط السكة الحديدية بين محطات أبو النعم وإسطبل عنتر وبؤيرة، وتمكن جنود الجيش الشرقي من تدمير مئتين من قضبان السكة، واحتلوا تلة تشرف على محطة إسطبل عنتر بعد أن استسلم العثمانيون فيها(٦).

وفي ٤ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٩ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٧م لم تتوقف المعركة بالهجوم على محطة إسطبل عنتر؛ إذ قامت قوة بقيادة الشريف شاكر بتخريب واسع في خط السكة الحديدية على مسافة اثني عشر كيلومتراً، إضافة إلى أربعة جسور، وكان ذلك التخريب بالقرب من محطة هدية(٧).

ونتيجة للضغوط المتزايدة عل خط السكة الحديدية من قبل قوات الحسين أصبحت القوات العثمانية في حيرة من أمرها، وصارت في حالة من اليأس، ويتضح ذلك من برقية بعثها جمال باشا الصغير -قائد معسكر العلا- إلى جمال باشا قائد الجيش الرابع يطلب فيها إمداده بالمزيد من القوات؛ ليتمكن من الدفاع عن السكة الحديدية بشكل جيد، فرد جمال باشا موضحاً ضرورة التحلي بالصبر والهمة العالية والعزم القوي؛ "ليتمكن من المدافعة عن الخط بشكل مرضي"(٨). كما جاء في صحيفة

(١) السابق، ص ص ٢٣٢- ٢٣٣.
(٢) السابق، ص ٢٣٥.
(٣) أبو طاقة: محطة للسكة الحديدية شمال مدائن صالح. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٥، ص٢١٩.
(٤) مطالع: محطة للسكة الحديدية. انظر خريطة رقم (١).
(٥) السابق.
(٦) السابق، ص ٢٣٦.
(٧) السابق.
(٨) Kandemir, s38.

القبلة أن العثمانيين "باتوا في وجل واضطراب منذ شعروا بأن صاحبي السمو الأميرين الجليلين عبدالله وفيصل يقومان بحركة الالتفاف عليهم من الشمال، ويؤسسان مراكز لهما تهدد خط السكة الحديدية"(١).

ولكي يقاوم العثمانيون تلك المخاطر اتخذوا إجراءات جديدة لتنظيم الدفاع عن السكة الحديدية على النحو الآتي:

- وضع قطاع العلا تحت قيادة بصري باشا وأن يكون مسؤولاً عن العمليات في المنطقة الممتدة بين المدينة إلى العلا.
- وضع قطاع تبوك تحت قيادة قائمقام عاطف بك وتمتد مسؤوليته من العلا إلى تبوك.
- وضع منطقة معان تحت قيادة اللواء جمال باشا وتغطي مسؤوليته من تبوك إلى معان.
- وضع قطاع معان درعا بقيادة محمد جمال باشا (الصغير) وجعله مسؤولاً عن المنطقة من معان إلى درعا(٢).

وعلى الرغم من استمرار العمليات التخريبية إلا أن خط السكة الحديدية ظل يعمل وإن قلت كفاءته عن السابق؛ بسبب وجود فرقة خاصة تعمل على إصلاح ما يتم تخريبه(٣)؛ لذلك فإن عمليات تخريب السكة لم تشكل خطراً على الحامية العثمانية في المدينة، خصوصاً خلال سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م.

تواصلت محاولات قوات الحسين لقطع خط السكة الحديدية؛ فمع مطلع سنة ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م احتشد الجيش الشرقي بقيادة عبدالله بالقرب من السكة الحديدية، وجعل منها هدفاً رئيساً لهجماته؛ إذ هاجم محطتي جداعة(٤) وهدية، واستمر القتال بين قوات عبدالله وبين الحامية العثمانية في المحطتين على مدار يومين، ونتج منه تدمير تسعة أميال من السكة الحديدية، وستة كيلومترات من خطوط التلغراف، وتسع عشرة عبارة. وفي ١٨ ربيع الآخر ١٣٣٦هـ/ ٣١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٨م تم تدمير قطار مخصص للصيانة والتصليح بين محطتي إسطبل عنتر وأبو النعم، وفي يوم ١٤ رمضان ١٣٣٦هـ/ ٨ فبراير (شباط) ١٩١٨م هوجمت محطتي طويرة وبئر الجديد، وتم تدمير إحدى

---

(١) "اضطراب حالة الأعداء" س١، ع ٥١(١٥ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٢) El – Edroos, pp98- 99.

(٣) غوانمة، هنادي يوسف. **المملكة الهاشمية الحجازية**. عمان: دار الفكر، ١٩٨٩م، ص١٠٢. الدنجتون، رتشارد. **لورنس في البلاد العربية**. ترجمة: محمود عزت. د. ن، د. أ، د.ت، ص١٨٤.

(٤) جداعة: محطة للسكة الحديدية شمال غرب المدينة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٢، ص١٢٧. انظر خريطة رقم (١).

عشرة عبارة، وسبعة أميال من السكة، إضافة إلى مهاجمة محطة بواط، وأبو النعم، وإسطبل عنتـر. وفي الوقت نفسه قامت قوة أخرى من جيش عبدالله بالهجوم على خط السكة الحديدية قرب محطة هديـة، وأسفر ذلك الهجوم عن مقتل عشرين من جنود العثمانيين، ووقوع ثلاثين منهم أسرى، وتدمير ثلاثـة آلاف قضيب من قضبان الخط، وسبع عبارات(١).

ونتيجة لعمليات التخريب الواسعة التي تعرض لها خط السكة الحديدية اضطر جمـال باشـا إلى إرسال إمدادات لتعزيز القوات العاملة على إصلاح الخط والدفاع عنه، حيث وصلت إلى المدينة في ٢١ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ/ ٤ مارس (آذار) ١٩١٨م قوة عسكرية مكونة من ثمانية وأربعـين جنـدياً وخمسة ضباط بهدف تعزيز الدفاعات العثمانية حول السكة الحديدية(٢).

وفي رجب ١٣٣٦هـ/ أبريل (نيسان) ١٩١٨م هاجمت قوات فيصل معان، وبالرغم من عدم تمكنه من الاستيلاء عليها إلا أن تلك المعركة حققت نتائج مهمة استراتيجياً، حيث زادت التخريبات في محطة المدورة وإلى جنوبها، وامتد ذلك التخريب إلى مسافات بعيدة نحو الجنوب.(٣)

ونتيجة لما بذله فخري باشا من جهود في تلك العمليات فقد تم ترقيته في ٢٤ شوال ١٣٣٦هـ/ ٢ أغسطس (آب) ١٩١٨م إلى رتبة فريق(٤).

وفي ٦ ذي القعدة ١٣٣٦هـ/ ١٣ أغسطس (آب) ١٩١٨م قامت قوة تتبع عبدالله بالعمل على تخريب السكة الحديدية بين محطتي طويرة وبئر الجديد، فزرعت فوق خط السكة الحديدية (٥)، أدت إلى تفجيره وتسببت في تخريب خمسة عشر عموداً من أعمدة البرق، وثلاثة كيلو مترات من أسلاك الـبرق وثلاثمائة وخمسين متراً من خط السكة الحديدية ثم انسحبوا(٦) وكانت قوات الحسين قد قطعت خطوط الاتصال مع الشمال وعلى الفور قام العثمانيين بتجهيز قطار قوات النجدة، وتحركت سرية من هديـة متجهة إلى الشمال، وبدأت في إصلاح خط السكة الحديدية، وقد استفادوا من قضبان السكة الحديدية التي تم تخزينها في المحطات المختلفة للسكة الحديدية التي كان من المزمع إنشاؤها من مكة إلى المدينة(٧).

---

(١) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ ـ ١٩١٨م**، ص ص ٢٥١- ٢٥٢.

(٢) Kıcıman, s 152.

(٣) موسى، سليمان. **الحركة العربية ١٩٠٨- ١٩٢٤م**. بيروت: دار النهار، ١٩٧٧م، ص ص ٣٠٥- ٣٠٦.

(٤) Kıcıman, s 271.

(٥) a. g. e, s 311.

(٦) a. g. e, s 312.

(٧) a. g. e, ss 311- 312.

وفي ذي القعدة ١٣٣٦هـ/ أغسطس (آب) ١٩١٨م اشتركت قوة بريطانية صغيرة مع قوات الحسين في الاستيلاء على محطة المدورة في الشمال[(١)]، وهي آخر شريان حيوي للقلعة المحصورة، وقطعوا صلة المحطة مع الجنوب. وكانت علاقة المحطة مع الشمال منقطعة أساساً؛ وبالرغم من أن قوات الحسين لم تضيق الخناق بعد على تلك المحطة إلا أن اليأس استبد بنفوس أفراد حاميتها واستسلموا؛ لعدم ثقتهم بأسلحتهم، حيث دفنوا مدافعهم وعتادهم في الرمال وتركوا مرضاهم في المحطة بلا أحد يرعاهم ويمموا شطر الشمال قاصدين معان وقد انتهوا إليها بعدما تجشموا شتى صنوف الصعاب والمشاق؛ بسبب الجوع والعطش[(٢)].

وعندما سمع فخري باشا بالواقعة أنفذ السرية الثامنة من اللواء الخامس والخمسين في القطار الذي أمر بتجهيزه مباشرة وبأقصى سرعة احتلت السرية المدورة مرة أخرى. وقامت تلك السرية بإخراج المدافع وآلات الحرب التي دفنها الجنود؛ حيث نظفت تلك الأسلحة من جديد ووضعت المدافع في مواضعها القديمة، وبدأت في معالجة المرضى الذين تخلفوا في المحطة وأعادوا كل الأمور إلى نصابها الطبيعي[(٣)].

وفي تلك الأثناء قام فيصل ورؤساء مركز قيادة حكومة الحسين الموجود في الشمال الغربي لتبوك بطلب المساعدات وفي النهاية تلقوا العربات المصفحة والمدافع الصحراوية والطائرات. ومن ثم شرعوا في الهجوم على محطة المدورة مرة أخرى في ٩ ذي القعدة ١٣٣٦هـ/ ١٦ أغسطس (آب) ١٩١٨م؛ ووجد أفراد الحامية أنفسهم وجهاً لوجه مع قوات تفوقهم عدداً وعدة وانهالت عليهم طلقات المدافع وحلقت فوق رؤوسهم الطائرات. ومع كل ذلك ظلت صامدة أمام وابل الرصاص والقنابل والقذائف التي انهالت عليها. وفي النهاية سقطت المحطة التي ظلت تحارب خمس ساعات[(٤)].

وقد عبر فخري باشا عن ألمه لسقوط المدورة؛ قائلاً: "ماذا حدث؟ لولا الخوف من أن يهاجموا محطاتنا ومخافرنا كل على حده، لخرجنا لقتالهم بكل قواتنا"[(٥)]. وقد أخذه الأسف على أنه لم يذهب بما في المدينة من مدافع لنجدة حماة المدورة بكل القوات الفدائية التي تحارب في المدينة. وفي ذلك يقول قيجيمان في مذكراته واصفاً فخري باشا: "كان القائد الفاضل بعينيه التي احمرت غضباً وانفعالاً نظرة تومئ إلى أنه كان يود أن يطير من المدينة كطائر ويصب البلاء من السماء على العدو المنسحب من أمام

---

(١) Goulsy, s233.Kıcıman, s348.

(٢) Kıcıman, s 317.

(٣) a.g.e, s 319.

(٤) a.g.e, ss 322- 323.

(٥) a.g.e, s 323.

المدورة"(١).

وبعد الاستيلاء على تلك المحطة نقطة تحول كبيرة في مسار الأحداث؛ حيث أرغمت القـوات العثمانية على إخلاء خط السكة الحديدية من معان إلى محطة ذات الحج(٢) التي أصبحت تشكل أقصى نقطة في شمال المدينة، وبالتالي قطعت صلة المدينة بالشمال،(٣) ولم يعد هناك أي اتصال ايًا(٤) بين المدينة ومركز الجيش الرابع في سوريا -جمال باشا-(٥). كما أن قوات الجيش الرابع بدأت تسحب قوا ا إلى الشمال بعد أن تركت قوات ضعيفة للدفاع عن السكة الحديدية(٦)، مما ساعد قوات الحـسين علـى فرض الحصار التام على الحامية العثمانية في المدينة بعد قطع مواصلا ا مع الشمال،وبذلك أحكم حصار المدينة وأصبحت في عزلة تامة، فأخذت القوات العثمانية منذ ذلك الحين تعاني من مـشاكل الإمـداد والتموين، وأخذت قيادة حامية المدينة تطالب بإلحاح إرسال مبالغ مالية لدفع مخصصات الجنود، الأمـر الذي يؤكد أهمية سقوط الوجه والموانئ الأخرى بيد قوات الحسين(٧).

ونتيجة لإحكام حصار المدينة رأى فيصل أن في استطاعته نقل ميدان جيشه من العقبة وما حولها إلى حوران وجبل الدروز،(٨) حيث حاصر فيصل جمال باشا في دمشق فأصبح فخري باشا ورئيـسه جمال باشا محاصرين تماماً ومنقطعين عن الاتصال عدا الاتصال اللاسلكي عبر المحطة الوحيدة والمحروسة تماماً شمالي المدينة، (٩) ودخل فيصل الشام في ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٦هـ ـ/ ٣٠ سـبتمبر (أيلـول) ١٩١٨م، بينما كان جيشي عبدالله وعلي لايزالان حول المدينة يحاصرا ا(١٠).

---

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s 323.

(٢) ذات الحج: بلدة تقع شمال تبوك كانت محطة للحجاج ثم إحدى محطات السكة الحديدية. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٢، ص١٩٩. انظر خريطة رقم (١).

(٣) Goulsy, s 233.a.g.e, s 348.

(٤) كان آخر قطار وصل المدينة يوم ١٣جمادى الأولى ١٣٣٦هـ/ ٢٦ مارس (آذار) ١٩١٨م. راجع: Kıcıman, Goulsy, s 233.s 348.

(٥) موسى، **الحركة العربية ١٩٠٨- ١٩٢٤م**، ص ص ٣٠٥- ٣٠٦.

(٦) Yatak, s116.

(٧) **رسالة من محافظ المدينة إلى وزارة الداخلية في ١٧مارس١٣٣٣ رومية. وثيقة محفوظـة في مركـز بحـوث ودراسات المدينة، رقم (D.H.I.Um) B.D 2 – 1 /4**

(٨) السباعي، ص ٦١٣.

(٩) بدر، ص ٧٣.

(١٠) السباعي، ص ٦١٣.

وهما سبق لاحظنا أن فخري باشا تمكن من الحفاظ على المدينة أطول فترة ممكنه لمنع حـصارها وخلخلته، وقد ساعده على ذلك وجود خط السكة الحديدية، إلا أنه بالرغم من ذلك أصبحت المدينة تحت حصار محكم، بسبب ما اتخذته حكومة الحسين من إجراءات عسكرية مكنتها من تشديد ذلـك الحصار.

الفصل الثاني
الاستعدادات العسكرية في المدينة المنورة

أولاً: تحصين المدينة

ثانياً: بيئة القوات العسكرية

١ - إعداد القوات العسكرية النظامية (قوة الحملة):

أ- طلب الإمدادات

ب- تعزيز الجيش عدداً وعتاداً:

- التعزيزات العسكرية داخل إطار قلعة المدينة
- التعزيزات العسكرية حول المدينة
- التعزيزات العسكرية على السكة الحديدية

ج- توفير احتياجات قوة الحملة

- تشكيل هيئة الطبوغرافيا
- توفير كوادر عاملة في الأمور الكتابية والحسابية
- توفير الجمال
- الإجراءات الوقائية من طائرات حكومة الحسين الاستكشافية
- تنظيم الدوريات
- تعزيز خطوط الدفاع بوسائل الاتصال

محطة اللاسلكي:

- مركز المدينة الثابت للبرق اللاسلكي
- مركز البرق اللاسلكي الصحراوي
- مركز تبوك للبرق اللاسلكي
- مراكز البرق التابعة لمحطات السكة الحديدية
- مراكز الهاتف

٢- استمالة القبائل

ثالثاً: مصادرة المواد الغذائية

رابعاً: إقامة مستودعات للذخائر

خامساً: هيئة الاستخبارات

عني فخري باشا منذ وصوله إلى المدينة بتحصينها، و يئة القوة النظامية، وتعزيز الجيش عدداً وعتاداً، وعني كذلك بالحرس والهيئات الإدارية الموجودة في المدينة عنايةً فائقةً، وعمل على جعل المدينة مركزاً عسكرياً متكاملاً، يحتوي على الخدمات الأساسية اللازمة من الطرق والمستودعات ووسائل الاتصال الداخلية والخارجية وغيرها، ونجح بالفعل في تشكيل منطقة آمنة بالإجراءات العسكرية التي اتخذها(١).

أولاً: تحصين المدينة

في إطار الدفاع عن المدينة باشر فخري باشا تحصينها، وإعداد الخط الدفاعي، وإقامة الخنادق والاستحكامات وغيرها؛ فعندما تحول موقفه من الهجوم إلى الدفاع (التراجع العثماني)(٢) صدر الأمر بالاكتفاء بالدفاع عن حوالي المدينة وأطرافها، وأصر فخري باشا على ألا ينسحب إلى أطراف المدينة الضيقة، وأن يظل على الأقل مسافة يوم واحد من المدينة(٣)، واتخذ من ثكنة العنبرية مقراً لقيادة الدفاع، ووزع المهام الكبرى على كبار ضباطه(٤)، وكان يشرف على كثير من الأعمال الموكلة إليهم(٥).

ثم شرع فخري باشا بإنشاء معسكر للجيش حول المدينة، وكان ذلك المعسكر على مسافة مرمى

---

(١) Temiz, Ahmet." Medine Mudafaasi Ve Fahreddin Pasa" **Medine Yi Asla Teslim Etmem**, Sayi;8, Nisan 2009, Fiyati: 5TL, ss14- 15.

(٢) راجع ص ص٦٣- ٦٥ من هذه الدراسة.

(٣) Beyoğlu, Süleyman. **Fareddin paşa, diyanet islam Ansik**. XII, Istanbul, 1995, ss87-89 .Kandemir, s42.

(٤) كان في جيش فخري باشا عدد من الضباط العرب الكبار من مثل غالب باشا شعلان وسالم أفندي الليبي وحسني علي المقدسي وفهمي. راجع: بدر، ص٦٧. زيدان، ص٩٩.

(٥) بدر، ص٦٥.

قنبلة، ويتكون من استحكامات منفردة، وبداخله ماء وفير، وحدائق نخيل[١]. وأحاط المدينة[٢] التي تقوقع فيها بمجموعة من الاستحكامات حولها؛ حتى تكون قوية بما فيه الكفاية؛ ليكون من المستحيل قصفها بالمدافع من قبل قوات حكومة الحسين[٣]؛ إذ أمر بإقامة خط تحصينات[٤]، وبنى سوراً شرق المدينة من باب القبارية إلى محطة اللاسلكي[٥]، وحفر الخنادق حول المدينة كلها[٦]؛ حتى يتحصن الجنود في الخنادق والمتاريس[٧].

وإلى جانب ذلك أقام فخري باشا أبراج مراقبة على التلال لرصد الحشود المقتربة[٨]، وقد كان للضباط والأفراد الذين يعملون في تلك الخنادق والأبراج أوقات للراحة تقدر بأسبوع يمضونها في اللعب والتسلية والاستماع إلى الموسيقا، ثم يعودون إلى خنادقهم لإكمال أعمالهم[٩].

وكان فخري باشا يتنقل من مكان إلى آخر، ويفاجئ العاملين في أبراج المراقبة بزيارات تفقدية[١٠]، وعرف عنه ذلك حتى أصبح الجميع يرهبونه، ويحسبون له ألف حساب[١١]، وكان يعقد اجتماعات يومية مع ضباطه؛ ليسمع منهم تقاريرهم عن الأعمال المسندة إليهم[١٢].

ويبدو أن تلك التحصينات لم تكن كافية؛ ففي الوقت الذي يذكر فيه أحد الباحثين أن المدينة "كانت تتحصن في قلاع منيعة، وكان على الأشراف أن يهاجموها داخل حصونها"[١٣] يذكر قاندمير أن تلك التحصينات لم تكن كافيةً؛ لأنه عندما سئل أحد الضباط العثمانيين كان يعمل في معسكر

(١) Kandemir, s41.

(٢) كان ذلك بعد سقوط الوجه وأثناء تفكير الحسين وأبنائه في الاستيلاء على العقبة. Kandemir s91.

(٣) Kandemir, s91. لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٠٣.

(٤) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٠٣. معلومة مستقاة من عاصم الحمدان في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير ٢٠١٠م.

(٥) انظر السور خريطة رقم (٧).

(٦) بدر، ص٥١.

(٧) السابق.

(٨) السابق، ص٥١، ص٦٦.

(٩) Kıcıman, s110.

(١٠) بدر، ص٦٥.

(١١) السابق، ص٦٧.

(١٢) السابق، ص٦٥.

(١٣) سعيد، ص١٩٤.

فخري باشا عما كان يفعله فخري باشا من وسائل للدفاع عن المدينة أجاب قائلاً: "لا شيء، عـدة مستحكمات، حفنة من الجنود، وفي الأطراف جنود فيصل راكبو الهجانة والعشائر والقبائل وضـباط البريطانيين. قد أرسلنا الناس غير المفيدين الذين يأكلون الطعام، ويشربون الماء إلى دمشق"(١).

وكان الجنود يقومون بكثير من الأعمال إلى جانب أعمالهم العسكرية؛ إذ يقومـون بتنظيـف الروضة المطهرة، ويحرسون الاستحكامات، والأذان؛ لأنه بعد دخول الأشراف المدينة لم يجدوا أحداً من مؤذني المدينة؛ لأ م هاجروا على إثر حصار المدينة، فاختار علي بن الحسين كلاً من حـسين بخـاري وعبد العزيز بخاري؛ لأنه سمع بجمال صوتيهما(٢). ويؤيد ذلك ما ذكره قاندمير من أن الضابط العثماني الذي كان يعمل في معسكر فخري باشا قال: "الجنود هم الذين ينظفون الروضة المطهرة، ويحرسـون المستحكمات، ويؤذن الأذان شيوخ الجيش، ولحراس الاستحكامات إذن بالخروج أسبوعياً، يأخـذهم فخري إلى حديقة المدينة الصغيرة، فيشاهدون ألعاب قراكوز"(٣).

ومن ثَم، تقهقر فخري ليتخذ وضعاً دفاعياً معيناً(٤)، وهذا ما دفع لورنس إلى الـسخرية مـن تدابير فخري باشا بالقول: "أحمق طريقة التي يمكن أن يتصورها الأتراك للدفاع"(٥)

ثانياً: بيئة القوات العسكرية

١- إعداد القوات العسكرية النظامية:

أ- طلب الإمدادات:

عندما بدأت المعارك حول المدينة، وعلى إثر حركات التمرد الفعلية التي قامت ا حكومة الحسين، سعى فخري باشا إلى تحصينها، وحشد المقاتلين للدفاع عنها(٦)، واتخاذ التنظيمات

---

(١) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s75.

(٢) معلومة مستقاة من عاصم الحمدان في يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة١٤٣٠هـ/ ٢ فبراير ٢٠١٠م. معلومة مستقاة من عصام الهجاري في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير ٢٠١٠م.

(٣) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s75.

(٤) لورنس، **أعمدة الحكمـة الـسبعة**، ص٢٠٣. **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918.** A.T.A.S.E. yay. Ankara 1972, s181.

(٥) Kandemir, s91.

(٦) Baker, Randall. **King Husain and the Kingdom Of Hejaz**, London,1979, P97- 98. الروسان، ص٣٣

والإجراءات اللازمة من أجل الدفاع عن الوحدات الموجودة في المدينة(١)، وكان تنظيم الدفاع عن المدينة ضد الهجوم المنتظر من قوات الحسين قد استحوذ على كل فكره، وأصبح يشكل عبئاً ثقيلاً على نفسه؛ إذ لم يكن يملك من الجنود سوى ثلاثة آلاف مقاتل(٢). كما أن مهمة الدفاع عن المدينة لم تكن بالأمر السهل بالنسبة إلى فخري باشا ومن معه؛ لذا قرر أن يستفيد من كل جانب يجد فيه فائدةً للدفاع عن المدينة؛ إذ كانت لديه قناعة أن المدينة هي أهم المدن من الوجهة السياسية والعسكرية والمادية والمعنوية(٣)، وكان يخشى من احتمال إنزال الراية الحمراء العثمانية من فوق القبة الخضراء، ولما كان من المحتمل أن تفصل المدينة عن الوطن الأم كان دائماً يسأل: "أليست المدينة وطن الأم؟"، ويذكر قاندمير أن هذا السؤال يدلّ على أنه كان يفهم الإستراتيجية العسكرية، وكان يريد أن يحارب ضد قوات الحسين المحاصرين للمدينة إلى النهاية؛ حتى يفرض سيطرة الدولة عليهم(٤). وصور قاندمير أمر الدفاع عن المدينة بقوله:

إن إصرارنا على عدم إخلاء المدينة وخط السكة الحديدية جعل لورنس بطلاً أسطورياً وهو دون ذلك؛ لنفرض أننا أنزلنا غواصاً لقعر المحيط الأطلسي، صحيح أنه لا يـ ل الغواص فيه، ولكننا نفترض إنزالنا له، وأعظم عمق لهذا البحر ثمانين متراً. إن طول الخط الحديدي الحجازي ٨٥٠ كيلو متراً من درعا؛ أي: عشرة أمثال عمـق المحيط، فلنثبت الغواص في قعر المحيط، ولنرسل له المأكل والمشرب بواسطة أنبوبة، وإن الأنبوبة الـتي توصـل المأكل والمشرب تتعرض لهجمات أسماك القرش من سطح البحر إلى قاعه كل يوم، ومع هذا يترك الغـواص في قاع البحر سنين طويلة متحملاً كل المصاعب، ووافقاً أمام كل المضرات والتخريبات، وراداً كل الهجمات إلى الخلف، يترك الغواص هناك. فالغواص هو فخرالدين باشا، والوحدة العسكرية الحازمة وأنبوبة الغطس وشريان الحياة السكة الحديدية الحجازية، وأسماك القرش العصاة -يقصد الأشراف- الذين يحملون الديناميت؛ لنـسأل الآن: يا ترى عمل من منهم أصعب: الغواص وما تحمله من مشقات، وما قام به من تـضحيات، أم أسمـاك القرش، أم الغطاس، أو الأنبوبة؛ أي: الذين دافعوا عن خط الحجاز الحديدي، أم أبطال خط السكة الحديديـة الحجازية ا هولين وشهداءها الأبرار؟(٥).

---

(١) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s181.

(٢) سعيد، ص١٩٣.

(٣) حيث أنه بالرغم من أنه كان يقدر أن وضع جبهة الحجاز في الحرب العالمية الأولى كان في المرتبة الثانية بل الثالثة من حيث الإستراتيجية وأن يختار لجبهة الحجاز أقل عدداً من المحاربين وأن يختار لجبهة فلسطين أكثـر عـدداً مـن المحاربين. وحسب تفكيره أن معنى جبهة القدس مدينة النصارى واليهود المقدسة. راجع: Kandemir, ss41- 42.

(٤) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s42.

(٥) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s47.

وبعد تضييق الخناق عليه كان يبذل محاولات يائسة لحماية السكة الحديدية، والدفاع عن المدينة، منتظراً وصول إمدادات عسكرية من قبل جمال باشا(١)، يقول قاندمير: إنه في تلك الأثناء كان يسحب القوات التي حول المدينة وعلى خط السكة الحديدية إلى الأمام، ثم يصيح قائلاً: "قد ضعف خط الم ل، والسكة الحديدية هناك خطر"(٢).

وصلت طلائع الإمدادات التي أرسلها جمال باشا، الذي كان في الأصل يشك في نوايا حكومة الحسين، على قطار مقبل من سورية(٣) في ٢ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٦م(٤)، ثم مجموعة أخرى في ٢٨ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩١٦م، وانضمت إلى القوة العسكرية في المدينة تحت قيادة فخري باشا، وأطلق عليها (قوة الحجاز السفرية) (٥). يقول قاندمير: "ضم فخري باشا لقوة الحجاز السفرية هذه روحه وجوهره؛ حتى أصبحت قوة ذات إستراتيجية قوية"(٦). وهكذا ترك أمر الدفاع عن المدينة إلى فخري باشا، أما القوات التي تركت قياد ا لبصري باشا فستقوم بمراقبة الساحل، وحماية السكة الحديدية، وحماية المنطقة الممتدة بين ينبع والمدينة وخط تبوك- الخريبة، وتحقيق الأمن والهدوء فيها، وقد تركت إدارة المدينة الملكية إلى بصري باشا(٧). واستمرت وحدات الدعم التي أرسلت إلى المدينة من الجيش الرابع تواصل تدفقها إلى المدينة متعاقبةً بعضها خلف بعض؛ ففي ١٥ شعبان ١٣٣٤هـ/ ١٧ يونيو (حزيران) ١٩١٦م أصدرت قيادة الجيش الرابع الأمر بأن يتوجه اللواء الثاني والأربعون (فصيلة نوري بك) إلى المدينة، ويشترك في القتال المستمر من أجل تطهير المدينة من العدوان(٨). وبالفعل تم إرسالها من مدائن صالح في ١٨ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٠ يونيو (حزيران)

---

(١) **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ١- ٣١/ ٣٩. DH. KMS 39/31- 1.. رسالة من ناظر الداخلية طلعت بك إلى إبراهيم بك وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية في ٢٦/٥/ ١٣٣٢ رومي بشأن اتخاذ التدابير اللازمة في المدينة المنورة.**

(٢) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s42.

(٣) بدر، ص٥٧

(٤) راجع ص ص٤١- ٤٢ من هذه الدراسة.

(٥) **Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi, Sina - Filistin Cephesi**, IV, Ankara 1979, ss177-179.

(٦) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, . s41.

(٧) **Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi, Sina - Filistin Cephesi**, IV, Ankara 1979, ss175-179.

(٨) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s181.

١٩١٦م، ووصلت إلى المدينة في ٢٠ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩١٦م [١].

ومن المرجح أن تلك القوات المرسلة كانت غير كافية؛ فقد استمرت مطالب فخري باشا لإمداده بالقوات؛ لأن ما كان لديه لا يكفي لحماية السكة الحديدية المرابط في قاعدة المدينة؛ لذلك كانت مطالبه من الجيش لا تنته؛ لذا اضطر جمال باشا أمام تلك المطالب المستمرة إلى إرسال الفرقة مئة واثنين وستين التابعة للواء الثالث والخمسين إلى المدينة في ١٥ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٩ يناير (كانون الآخر) ١٩١٧م، إضافةً إلى القوات التي أرسلها من قبل[٢].

ثم طلب فخري باشا إمداده بثلاثة طوابير عسكرية أخرى غير الطابور ١٦٢ الذي أرسل إليه بناءً على طلبه في آخر مرة، لكن القيادة العامة لم تقابل ذلك الطلب بإيجابية، ورفضته قائلةً: إ ا أرسلت ما يمكنها إرساله من قبل[٣].

ازداد عدد القوات التابعة لفخري باشا حتى قدرها قاندمير بنحو عشرة آلاف جنـدي[٤]، وفي موضع آخر قدر جميع القوات الموجودة في المدينة، وفي محطات السكة الحديدية، بنحو خمسة عشر ألف جندي، وألف وخمسمئة حيوان[٥]، ويوافقه في ذلك أحد الباحثين؛ إذ قدر الإمدادات الـتي أرسـلت إليهم بعشرة آلاف جندي[٦]، بينما ذكر بيكر راندال أن "حجم القوات التركية الموزعة مـن جبـال طوروس حتى اليمن ما بين ٤٠- ٦٠ ألفاً، منها الفرقة ٢٢ في منطقة الحجاز، وقوامها قرابة الـ ١٥ألفاً، عززت في نيسان (إبريل) ١٩١٦م بقوات خيري بك[٧] المختارة، والبالغ عددها ٣٥٠٠ مقاتـل"[٨]، إلى جانب استفادة فخري باشا من التكارنة[٩] الذين انخرطوا في جيشه[١٠]. وقد أنعشت تلك النجدة

---

(١) a. g. e, s178.

(٢) a. g. e, s328.

(٣) a. g. e, s329.

(٤) Kandemir, s68.

(٥) a. g. e. s70.

(٦) سعيد، ص١٩٣.

(٧) El Adroose, Sayed. **The Hashemite Arab Army 1908- 1979**. Amman , 1983,P76.

(٨) Baker, Randall. **King Husain and the Kingdom Of Hejaz,** London,1979,pp97- 98.
الروسان، ص٣٣

(٩) يطلق هذا الاسم على الأفارقة في الحجاز ومنه المدينة.

(١٠) بدر، ص٧٨.

آمال فخري باشا، وشدت أزر جنوده المحبطين.

في المقابل، عملت صحيفة القبلة على نشر أخبار تبين تضجر القوات التابعة لفخري باشا، وضعف وسائل الدفاع، وعدم وجود قوات نظامية لديه، ومن ذلك النص الآتي:

لا يوجد في داخل المدينة المنورة جنود نظامية، وكل جنود المتغلبة فيها من التكارنة والجندرمة، أما العساكر السوريون الذين في جيشهم فيدعون عليهم بما يستحقون، ويجاهرون بالدعاء لله تعالى أن ينصر جيوش جلالة الملك الهاشمي، ويؤيده على هؤلاء الأعداء. وكلما رأى فخري باشا نفرة جنوده منه ومن عمال حكومته، واستياءهم من الوقوف في وجه جيش ابن النبي صلى الله عليه وسلم، يزداد تأثراً، وقد مرض أخيراً من الشدة التي يبديها رجال قبيلتي الرحلة(١) والردادة(٢)، وكثرة استيلائهم على قوافل المتغلبين وجمالهم، وقد قال علناً: لو كانت هاتان القبيلتان معي لكان ذلك خيراً لي من جميع عساكري، وهي شهادة للعرب الكرام، والفضل ما شهدت به الأعداء(٣).

ويبدو أن ما نشرته القبلة كان يحمل بعض الصدق؛ إذ إن بعض الأفراد التابعين لجيش فخري باشا كانوا قد هربوا بعد اشتداد وطأة الحصار، لكن ذلك لا يعني انعدام المقاومة؛ لأن هناك من ظلّ يدافع عن المدينة مع فخري باشا حتى النهاية؛ إذ نجد فيما كتبه عبدالله بن الحسين تناقضاً مع النص السابق المنشور في القبلة؛ إذ يذكر أنه على الرغم من الهجمات المدمرة على السكة الحديدية والمحطات والعربات إلا أن العثمانيين تمكّنوا من البقاء في المدينة، والدفاع عنها وعن السكة فترة، وهذا يؤكد قوة الدفاع لديهم، وقدرتهم على إصلاح الخط بسرعة على الرغم من ظروف قلة الإمدادات؛ بسبب الانقطاع المتواصل، ويعود ذلك إلى قدرتهم على الدفاع من جهة، وعدم وجود قوات مدربة نظامية مع الأشراف من جهة أخرى(٤).

ونضيف إلى هذا السبب أسباباً أخرى؛ فقد قام العثمانيون بتغيير بعض القيادات كما سيأتي ذكره، إضافةً إلى أن العثمانيين كانوا قد قاموا بتجهيز قطارات قوات النجدة، التي كانت تعمل على إصلاح الخط، وقد استفادوا في ذلك من قضبان السكة الحديدية التي تم تخزينها في المحطات المختلفة للسكة الحديدية التي كان من المزمع إنشاؤها من مكة إلى المدينة(٥)، ولم تكن تلك القضبان كثيرةً،

---

(١) الرحلة: النسبة إليهم رحيلي من المطالحة من ميمون من بني سالم من حرب تسكن بين الروحاء والمدينة على الطريق. راجع: الجاسر، ج١، ص٢٣١.

(٢) الردادة: النسبة إليهم ردادي من الحوازم من مروح من بني سالم من حرب. تسكن غرب المدينة ومن فروعهم: الغوانم وبنوسلامة والخُمس والمساحلة والشبيهات. راجع: الجاسر، ج١، ص٢٣٤.

(٣) "الحالة الروحية للجيش" س١، ع٥٧، ص٢.

(٤) **الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين**، ص١٤١.

(٥) Kıcıman, ss311- 312.

وجاء يوم لم يتبق فيه قضيب واحد سليم، ولمواجهة تلك المشكلة تم تعيين عمال وموظفين في أماكن مختلفة، كانوا يساقون إلى مواضع القصبان المخربة، وينتزعون السليم منه، ويستعملونه(١)؛ لذلك كان يكفي فتح ثقوب في بعض المواضع، وتعديل اعوجاج القضبان(٢)، إلا أن تلك القوات لم تستمر على وضعها؛ إذ صدرت الأوامر إلى فخري باشا بإخلاء المدينة(٣)؛ نتيجة مطالبه المستمرة بالإمدادات، إضافةً إلى أن ما أرسل إليه من جنود أضر بالجبهة الأساسية، ونبه على أن تلك المنطقة تشكل عبئاً على الجيش العثماني في حربه المصيرية مع الحلفاء، كما أن التقارير والمطالب التي كان يرسلها قائد قوات الحجاز إلى قيادة الجيش الرابع، وإلى القيادة العامة، أثّرت على نحو سيئ في سمعته فيما بعد؛ فأرسل أنور باشا برقية إلى قيادة الجيش الرابع في ١٧ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ/ ١٠ فبراير (شباط) ١٩١٧م يستفسر عن إمكانية عزل فخري باشا، وتعيين قائد آخر أكثر صلابةً وعزماً بدلاً منه(٤)، وبين خلال تلك البرقية أن القيادة العثمانية أخذت تتشكّك في كفاءة فخري باشا الذي كان يلح كثيراً في طلب الإمدادات لقواته، في الوقت الذي كانت القوات العثمانية في الجبهات الرئيسة في وضع لا يمكّنها من إرسال أي إمدادات، خصوصاً أن القوات العثمانية في جبهة الشام في وضع صعب بعد سقوط العقبة في أيدي قوات فيصل في ١٥ رمضان ١٣٣٥هـ/ ٦ يوليو (تموز) ١٩١٧م. ويفهم من رد جمال باشا على تلك البرقية أن أنور باشا اقترح أن يكون جمال باشا الصغير بديلاً لفخري باشا؛ فقد جاء في برقية جمال باشا قوله: "إن عزيمة فخري باشا ومتانته هي بدرجة مرضية، ولكنه لا يعي الوضع العسكري العام بصورة جيدة، ولكنني أؤكد وجوب تغييره بالرغم مما يتمتع به من جرأة عظيمة، أما بخصوص جمال باشا الصغير المرابط في مدائن صالح فنحن في أمس الحاجة إليه في تلك الجهات، وأرجو أن تسند قيادة قوة الحجاز للعقيد عصمت بك قائد الفيلق السادس"(٥).

إلا أن جمال باشا عاد وتراجع عن اقتراحه بتعيين عصمت بك بديلاً عن فخري باشا؛ لصغر

---

(١) يقول (Kıcıman, ss311- 313.) واصفاً حل الجنود وهم يقومون بتلك المهمة: " كان ١٣ أغسطس يسجل أعلى معدل للحرارة.. فكان بالنسبة للبشر يعد معدل درجة حرارة محرقة. وأي حال كان حال عساكرنا الذين كانوا يعملون في هذا الجو؟.... وكان فتيان الوطن المساكين يستعملون ما فوق رؤوسهم من طواقي وما في أرجلهم من جوارب بدلاً من القفازات وذلك لمسك الحديد الملتهب من شدة الحرارة"

(٢) Kıcıman, ss311- 313.

(٣) Kandemir, s42.

(٤) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s329.

(٥) Kandemir, s42.

سنه، وقلة خبرته مقارنةً بفخري باشا(١). وبناءً على ذلك فإن أنور باشا اقترح تعيين أمير اللواء مصطفى كمال -قائد الجيش الثاني- ليكون قائداً لحامية المدينة، وأن يكون فخري باشا قائداً في قيادة الجيش الثالث. وصدرت الأوامر لمصطفى كمال بالتحرك إلى الشام؛ تمهيداً لتسلّم منصبه الجديد، فوصلها في ٢ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ٢٣ فبراير (شباط) ١٩١٧م. وبعد يوم من وصوله اجتمع مع جمال باشا، وتدارسا الأوضاع العسكرية في الحجاز، واشترط مصطفى كمال عدة شروط مقابل تولّيه القيادة، منها أن تكون قيادة حامية المدينة مستقلةً عن قيادة الجيش الرابع؛ لأن حامية المدينة أصبحت تمثّل جيشاً قائماً بذاته، ومن ثَم لا يمكن أن يكون قائد جيش تحت إمرة قائد جيش آخر، كما اشترط أن تمتد منطقة قيادته من المدينة إلى معان، وهو الأمر الذي لا يلزمه أن يتخذ من المدينة مقراً لقيادته. وهكذا جعل مصطفى كمال أمر قبوله بذلك المنصب مرهوناً بقبول تلك الشروط، إلا أن جمال باشا أفهمه بأن عليه تولي قيادة حامية المدينة؛ لأن ذلك أمر عسكري غير قابل للنقاش(٢).

وبينما كانت المكاتبات تتم بين القيادة العامة والجيش أوضح جمال باشا لفخري باشا أن بريطانيا حرضت الحسين في تلك الأثناء، وأنهم يريدون سحب القوات إلى هناك لمصلحة جبهة فلسطين، وأنه لا ينحاز إلى فكرة وجود قوات زائدة في الحجاز؛ لأن تلك القوات الموجودة هناك لتأسيس خط دفاع في المدينة، وتكفي لحماية خط السكة الحديدية(٣).

ويشير لورنس إلى أن الأوامر صدرت إليه بالانتظار في الوجه لتلقي الأخبار والتعليمات من إحدى السفن المقبلة إلى الميناء، التي كان من بين ركابها ضابط سلّم لورنس نسخةً من برقية مطولة أرسلها جمال باشا إلى فخري باشا في المدينة، وبها تعليمات من أنور باشا وهيئة الأركان العامة الألمانية، تأمر فخري باشا بإخلاء المدينة، والانسحاب بقواته إلى العلا، فتبوك، ثم إلى معان التي يجب أن يقيم بها خطوطاً دفاعية جديدة لتأمينها، وكانت تلك الخطة في نظر لورنس تتفق ورغبة العرب، وتلائم أغراضهم، غير أنها أزعجت القوات البريطانية في مصر؛ فجلاء خمسة وعشرين ألف جندي عثماني بمدفعيتهم، وتمركزهم في معان، يهدد تهديداً مباشراً هيمنة الجيش البريطاني في قطاع بئر السبع؛ لذلك طلب كلايتون من لورنس بذل الجهد للاستيلاء على المدينة، وتدمير حاميتها العثمانية، على الرغم من احتمال فوات الفرصة؛ بسبب وصول البرقية إلى فخري باشا(٤).

---

(١) Yatak, s1.

(٢) a.g.e, ss67- 77.

(٣) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s329.

(٤) الحميد، ص٤١١.

وبناءً عليه، أخذ لورنس يفكر في تلك المسألة؛ إذ يقول: "كان الأمر... الذي يـشوشني هـو التناقض ما بين الإستراتيجية والهدف في الحرب والتكتيكات والوسائل تجـاه الهـدف الإسـتراتيجي والخطوات المعنية لدرجا ا"(١)، ومن ثَم رأى عدم أهمية الاستيلاء على المدينة؛ إذ تساءل قائلاً:

ما هي مصلحتنا بالهجوم على المدينة؟ فقد كان ذلك يؤرقنا عندما كنا في ينبع، وكان الأتراك ينوون الهجـوم على مكة، ولكن غيرنا من ذلك كله عندما زحفنا على الوجه. واليوم نحن نقوم بحصار الخط الحديدي، وإ م يدافعون عنه فحسب، وقلصت حامية المدينة التركية إلى حجم غير دفاعي، وكانوا يتخندقون في التحـصينات مدمرين بذلك قو م الذاتية على التحرك، وذلك بصب كافة اهتماما م على خط المواصلات الذي لم يعد ذو جدوى بالنسبة لهم، فقد ذهبنا وبعثرنا قو م التي كانت تؤذينا. ومع ذلك فإننا أردنا أن نحتلّ المدينة، الـتي لم تكن تشكل قاعدةً لنا مثل الوجه، ولا ديد مثل وادي العيص؛ فلماذا بحق الأرض نريد الاستيلاء عليها؟(٢).

ومع ذلك الوضع بدأ لورنس يفكر في الهدف من تلك الحرب، وكيفية القضاء علـى القـوات المسلحة العثمانية في عملية واحدة أو معركة واحدة؛ إذ يقول: "وبدا لي أن نظرية فون ديـر جـولتز كانت أعمق من الناحية العسكرية، والتي تقول: إنه ليس من الضروري سحق العدو، ولكـن تحطـيم شجاعته"(٣).

لذا رأى لورنس أن الإستراتيجية المناسبة للتعامل مع ذلك الوضع هي ضرب مـصادر العـدو الأصلية وإباد ا، وليس الجيش العثماني؛ لأن تدمير جسر عثماني أو سكة حديد أو آلة أو مدفع كـان أكثر فائدةً بالنسبة إليهم(٤) من موت أحد العثمانيين(٥).

ولقطع خط الانسحاب على حاميات العثمانيين نسق فيصل ولورنس لتقـسيم خـط الـسكة الحديدية إلى قطاعات، يتم تكليف كل فرقة بالهجوم على قطاع محدد، ويبقى فيصل في منطقة الوجـه؛ كي يسارع إلى نجدة كل قطاع يحتاج إلى مساعدته؛ أي أن تلك المسألة كانت عاملاً جديـداً يـدفع البريطانيين إلى تحطيم الخط لئلا تندفع القوات المنسحبة -إذا اعتزمت الانسحاب- إلى جبهـة سـيناء وفلسطين، خصوصاً أن القوات البريطانية حققت انتصارات في تلك الميادين، ولا تريد أي ترجيح لكفة

(١) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٢٣.

(٢) السابق ص٢٢٠.

(٣) السابق، ص ص٢٢٠- ٢٢١.

(٤) ذكر لورنس (**أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٢٥): أن جيش العرب كانوا عكس ذلك تماماً فقد كـانوا بحاجـة للرجال أكثر من المعدات الحربية. فلم يكن في مقدورهم تحمل الخسائر في الأرواح، لذلك فقد كانـت الخـسائر في المعدات عبارة عن فقاعة في ماء يمكن أن تحدث فجوة ضئيلة، حيث كان بمقدورهم تعويض المواد والمعدات.

(٥) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٢٥.

العثمانيين هناك(١).

رفض فخري باشا اقتراح جمال باشا بسحب القوات إلى معان(٢)، وأخبر جمال باشا بـضرورة الدفاع عن المدينة، وعن السكة الحديدية بقوات أكبر من الموجودة، لكنه لم يخرج بنتيجة إيجابيـة مـن تلك المكاتبات التي كانت تحمل سمة الـ اع(٣)؛ إذ أخبر جمال باشا وأنور باشا فخري باشا بما توصـلا إليه من قرار بتسليم المدينة، ورد عليهم فخري باشا ـذا الرد:

بالرغم من إنني يجب علي طاعة الأمر إلا أني أتحير وأتعجب من إصداركم القرار بإخلاء المدينة فجأة؛ لأنه ليس عندي أي خبر عن الأسباب سوى أن المدينة ترى على أ ا مختلفة عن الوطن الأم وعن فلسطين بشكل خاص، وأن خطط سكك الحديد تعرض للتخريب في بعض الأماكن، هل هذه الأسباب التي أعلمها هي الأسباب التي دعتكم فقط لاتخاذ هذا القرار فجأة؟ ولهذا فإني ضد فكرة الإخلاء تماماً، وإن كان هدفكم من هذا الاستفادة من الجنود الموجودين هنا في الجبهات الموجودة في الشمال فأقول لكم: ألا تستحق المدينة منكم أن تمنحوهـا طابوراً عسكرياً من المشاة وبطارية؟ وألا يمكنكم إرسال مؤن إلى المدينة بالقدر الذي يجعـل هـؤلاء الجنـود قادرين على الحياة؟. لقد شجعت بعض الأفراد من عشيرة بني سالم في الفترة الأخيرة، فقاموا ببيع المؤن الـتي حصلوا عليها من الإنجليز في المدينة، كما أرسلت التجار إلى ناحية ابن سعود وابن رشيد، وأنا متفائل جـداً؛ لأ م تمكنوا من جلب المؤن من هناك، وكلي أمل بأنني سأعيش في المدينة فترةً طويلةً بعناية الله وروحانية حبيبه صلى الله عليه وسلم. وخلاصة القول: أخطركم بأنني أريد الدفاع حتى آخر دقيقة عن الروضة المطهرة، وعن هذه المدينة المقدسة، وذلك بعد إرسال المهمات الثقيلة إلينا، وأرجو بكل عناية واحترام ألا ترفع عني تلك الراية التي وضعها أجدادنا على المدينة وعلى قبلتنا(٤).

وعن ذلك يقول قاندمير: "عندما يصدر أمر بتخلية المدينة سيبكي فخر الدين باشا وسيتـضرع لأن يعطي له كتيبة من الجيش للدفاع عن قلعة المدينة، وسيصرخ ويولول في حزن وألم، وسـينجح في النهاية في سحب أمر التخلية"(٥)، وهذا ما عرف عن فخري باشا الذي كان يرفض ممكنات الحـوار والتنازل عن الدفاع، وكان لديه إصرار جاد على المهمة التي كان يقوم ـا.

وبناءً على رجاء فخري باشا واقتراحه جاء في رسالة من جمال باشا إلى أنور باشا في ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ٧ مارس (آذار) ١٩١٧م:

---

(١) الحميد، ص٤١١.

(٢) السابق.

(٣) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s329.

(٤) Temiz, ss15- 16.

(٥) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s42.

بناءً على الأمر الذي تلقاه فخر الدين باشا بتخلية[١] المدينة المنورة أظهر استعداده لإرسال قوات الحجـاز إلى فلسطين، ولكنه عرض علي أن أسمح له ببقاء كتيبة من المشاة وبطارية مدفعية تحت قيادته في المدينة... وسيبقى فخرالدين باشا في المدينة بصفة قائد قوات حملة الحجاز ومحافظ المدينة، وصلاحياته العسكرية والمدنيـة غـير محدودة، وإنني أرجو أن تصدروا أمركم إلى مخازن جلب البـ ين لتموين محطة اللاسلكي الثابتة وطاقم الطيـارة ستظلّ في المدينة حاسباً احتياجا ما لمدة سنة حالاً، وأن يرسل مائتين وخمسين ألف قطعة ذهبية لأجل المدينة، وسيبعث للمدينة أغذية تكفي لمدة سنة[٢].

ثم تمّ نقل جزء كبير من تلك القوات إلى جبهة سيناء، ولم يبق في المدينة إلا كتيبة مشاة، واضطر فخري باشا إلى الدفاع عن المدينة بالقوة الموجودة لديه[٣]، وتم إرسال لوازم للقوة الباقيـة في المدينـة تكفيها مدة سنة، كما تم إخراج الأشخاص الذين خارج القوات المسلحة من المدينة الـتي أصـبحت إعاشتهم عبئاً[٤]، وتقرر التراجع عن فكرة إخلاء المدينة[٥].

ب- تعزيز الجيش عدداً وعتاداً:

- التعزيزات العسكرية داخل إطار قلعة المدينة:

عندما أيقن فخري باشا أن المواجهة مع حكومة الحسين أصبحت قـاب قوسـين أو أدنى بـدأ يتصرف بسرعة، فأرسل برقية إلى جمال باشا يخبره بقرب المواجهة مع حكومة الحسين، ويطلـب منـه إمداده بالذخائر والمؤن على وجه السرعة[٦]. فلبى طلبه ووصل القطار يحمل كميـات كـبيرة مـن الأسلحة والذخائر والمؤ ن، فأفرغ بسرعة، ووزعت حمولته على عدة مستودعات في أماكن متفرقة من المدينة محروسةً حراسةً قويةً[٧].

كما عني بتعزيز التحصينات، سواء بالجنود أو الأسلحة، خصوصاً غرب المدينة وشمالها الغـربي؛ لأنه كان يتوقع هجوماً من الغرب؛ لذلك عزز تحصيناته في الجبهة الغربية، ووضع عدداً كبيراً من الجنود

---

(١) جدير بالذكر أن إخلاء المدينة تم التفكير به منذ بداية المعارك حول المدينة، ولكن ذلك لم يتحقق إلا فيما بعـد، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(٢) Kandemir, s70.

(٣) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s329.

(٤) Kandemir, s80.

(٥) Temiz, ss15- 16.

(٦) بدر، ص٥١.

(٧) السابق.

فيها(١).

ويعد باب القلعة موقعاً إستراتيجياً مهماً بالنسبة إلى المدينة المنورة؛ فهو طريق خط السكة الحديدية؛ لذلك حظيت تبة المهد الواقعة شمال غرب المدينة بتعزيزات عسكرية قوية، فرابطت هناك فرقة من مشاة الطابور الثاني من اللواء الثاني والأربعين، ومعها بطارية مدافع صحراوية من لواء المدفعية الخامس والخمسين. كما انتشرت قوات الطابور الثاني من اللواء الخامس والخمسين في المنطقة الممتدة من غرب تبة المهد حتى نقطة شرطة خالد باشا شمال جبل أحد(٢).

وإذا كان شمال غرب المدينة قد احتاج إلى تعزيزات عسكرية كبيرة فإن شمال المدينة وشمالها الشرقي لم يكونا في حاجة إلى ذلك؛ بسبب الحماية الطبيعية التي وفّرها جبل أحد الشهير لهاتين الجهتين من المدينة؛ فإضافة إلى أن ذلك الجبل كان يحف المدينة من جهتيها المذكورتين كانت قمته تتميز بالوعورة الشديدة؛ مما لا يتمكن معه الأشراف من استخدامه لمصلحتهم، ولم يكن باستطاعة أي جندي أن يرابط فوقه(٣). أما في سفحه الجنوبي، فكانت ترابط على تبتي المقعد والمخفر سرية من الطابور الثاني للواء الثاني والأربعين، وبحوزة تلك السرية مدفع مانتلي ضخم. كما رابطت سرية أخرى من اللواء نفسه على طابية البركان، وكذلك على تبتي البيضاء وإسماعيل بك(٤). وعززت تلك السرايا التي كلّفت الدفاع عن أطراف المدينة بمدافع ضخمة، كما وضع مدفع على قمة جبل عير، وتجشم رجال الحامية مشقة كبيرة في سبيل الصعود بذلك المدفع الى قمة الجبل حتى نصبوه على الطرف الجنوبي للجبل. وكانت قمة ذلك الجبل تتميز بالاتساع والاستواء؛ لذا أُلحق بذلك المدفع مجموعة من مدافع السرية الثانية، وتم نصبها في غرب الجبل وشرقه، كما كانت هناك بطارية مدافع مستقلة تحت قيادة تيمور توفيق أفندي تنتظر بجوار المدينة في جبل سليع وهي متأهبة للتحرك في أي وقت. ولم تغفل الحامية الاستعانة بالمشاة من أجل حراسة المدافع التي علّت أكثر من تبة حول المدينة(٥).

ويرى أحد المؤرخين أن إستراتيجية فخري باشا لم تكن متقنةً للدفاع عن المدينة؛ إذ كان همه الأول "أن يملأ المستودعات بالذخيرة بندقاً ومدفعاً وقنابل وطلقات من الرصاص. لقد جعل نفسه في قبضة الأسر قبل أن تعلن الهزيمة؛ فلو أنه نظم حرب عصابات بين الحين والآخر على الفريش لفك الحصار بينه وبين غرب المدينة حتى رابغ وينبع، فما كانت هناك قوى لدى الأشراف لا يستطيع التغلب

(١) السابق.

(٢) Kıcıman, s287.

(٣) a.g.e,ss287- 288.

(٤) a.g.e,s 288.

(٥) a.g.e, s289.

عليها، وإنما هو تغلّب على نفسه"(١).

- التعزيزات العسكرية حول المدينة:

توزعت التعزيزات العسكرية العثمانية حول المدينة في بئر الماشي، وتبة يونس، وجليجلة، وبئر درويش، وبئر روحانة، وآبار علي.

ففيما يتعلق ببئر الماشي، تولى إحسان أفندي -قائد البطارية الرابعة لمدافع قدرتلي- مسؤولية تحصين نقطة بئر الماشي(٢)، فتم وضع ألغام في الوادي لحماية ذلك البئر ضد أي هجوم(٣)، وأسندت حماية ذلك البئر إلى الطابور الأول من اللواء الثاني والأربعين(٤)، ومن ثَم كانت قوة العثمانيين فيه تقدر بلواء، وكان في إمكانهم جلب احتياط من المدينة، وكان الماء متيسراً للقوات العسكرية، وكان للعثمانيين مخفر على التلّ الجنوبي المنفرد ترابط فيه قوة تقدر بفصيل واحد(٥)، إضافةً إلى المدفعية، وتأسست نقاط شرطة تبة معهود، وشوكت باشا، وسنان باشا، وأم الدنيا، والسلطان، ويونس بك، والمنتقم، والكرد. كما انتشرت نقاط شرطة قوية في أماكن مختلفة؛ مثل: تبة غالب، وتبة عاطف بك. وقد وفّرت تلك النقاط حمايةً كبيرةً للطريق الفرعي(٦) الوعر الذي كان يربط المدينة بمكة.

أما ما يتعلق بتبة يونس، فقد نصب عليها الطابور الثاني من اللواء الثاني والأربعين قبل أن ينتقل إلى جليجلة فيما بعد(٧)؛ إذ كان لتردد قوات الحسين على منطقة جليجلة، ووقوعها على الطريق المؤدي إلى بئر درويش -مقر قيادة علي- دور في نقل تلك الفرقة، وفي مساندتها بعدد كبير من التعزيزات العسكرية(٨)؛ إذ أسندت حماية جليجلة إلى الطابور الثالث من اللواء الثاني والأربعين(٩). كما رابطت فيها فصيلة من بطارية مدافع قدرتلي تحت قيادة الملازم ثانٍ احتياط حيدر أفندي على بئر خليل بك وتبة مطلوب غرب الطريق السلطاني(١٠)، كما كان الشطر الثاني من تلك البطارية الذي

---

(١) زيدان، ص٩٨.

(٢) Kıcıman, s291.

(٣) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص١٨٧.

(٤) Kıcıman, s289.

(٥) موسى، **الثورة العربية الكبرى. الحرب في الحجاز ١٩١٦ - ١٩١٨م**، ص١٨٧.

(٦) الطريق الفرعي أنظر خريطة رقم (٤).

(٧) Kıcıman, s291.

(٨) a.g.e.

(٩) a.g.e, s289.

(١٠) الطريق السلطاني انظر خريطة رقم (٤).

يقوده بصري أفندي يعسكر في التبة الحمراء بجوار محطة المدينة في حالة تأهب تحسباً لأي طارئ. وفي تبة الطاس والصخرة المنحدرة كان يرابط قسم من بطارية المدافع الثانية عشرة تحت قيادة وكيل الضابط شفيق أفندي، كما كان يرابط في جبل حدبة قسم من البطارية الصحراوية السريعة.

أما قوة بئر درويش، فكانت تتألف من مشاة، وفيلق هجانة، وبطارية مدافع جبلية تحمل على الجمال، وأربع طيارات، ويقودها القائمقام غالب بك (غالب باشا الشعلان)(١).

أما قوة بئر روحانة، فكانت تتألف من فيلق هجانة، وقوة من عرب شمر، وكتيبة من البغالة، وخمسة مدافع ميدان، ومفرزة لاسلكي، ويقود تلك القوة نحو ستمئة ضابط على رأسهم فخري باشا(٢).

وفي آبار علي عسكر فيلق الهجانة تحت قيادة الملازم ثانٍ احتياط حمزة أفندي(٣).

ويتضح من السابق أن تلك التعزيزات كانت قويةً ومنتشرةً حول جهات المدينة كلها.

- التعزيزات العسكرية على السكة الحديدية:

حظيت محطة المحيط بتحصينات كبيرة، فكانت ترابط فيها السرية التاسعة من الطابور الثالث للواء الخامس والخمسين، وفي محطة الحفيرة كانت ترابط السرية الثالثة، في حين رابطت السرية الثانية عشرة في محطة بواط، والسرية العاشرة في آبار نصيف(٤).

أما الطابور الأول من اللواء الخامس والخمسين، فكانت قواته منتشرة في أكثر من محطة على الطريق، منها محطة بويرة، وإسطبل عنتر، وأبو النعم، وهدية، وجداعة، وكان يقود ذلك الطابور المقدم (البكباشي) سعد الدين بك(٥).

وكانت بطارية المدافع الجبلية بقيادة الملازم أول حيدر أفندي تتفقد تلك المحطات بين المدينة والمدرج؛ لترد هجمات قوات الحسين؛ فقد نصبت المدافع في أكثر من موضع، فكان مركز بطارية المدفعية الصحراوية الضخمة الثالثة عشرة في محطة الهدية، كما نصب على بئر جديد مدفع من البطارية العاشرة وفرقة البنادق الآلية، كما انتشر قطاع الفرقة الثامنة والخمسين بقيادة القائمقام توفيق بك -قائد اللواء الخامس والخمسين- بدءاً من مدرج، التي كانت إحدى سرايا الطابور الثالث للواء الحادي

---

(١) سعيد، ص١٩٣.
(٢) السابق.
(٣) Kıcıman, s293.
(٤) a.g.e.
(٥) a.g.e.

والعشرين ترابط فيها(١). كما وضعت نقطة شرطة على مسافة ألف وثمان وخمسين كم شمـال محطـة الطويرة، وكان قوام تلك النقطة ثمانية وثلاثين جندياً، وسميت تلك النقطة "نقطة الشرطة البطلة"؛ لأ ا تصدت لهجوم ضارٍ من فصيلة من البدو قوامها ستمئة مقاتل.

كما كانت محطة زمرد تتمتع بتحصينات قوية، فرابطت فيها السرية السادسة من اللـواء المئـة واثنين وستين، ومعها مدفع من بطارية المدافع الضخمة العاشرة، كما تركّزت تحصينات قوية في سـهل المطر وبدايع ومشهد(٢). أما منطقة العلا التي كانت مركز قيادة الفرقة، فقد عسكر فيها مركز الطابور الثالث من اللواء الحادي والعشرين، وتوزع عدد من السرايا في نواحي متفرقة منها. كما اعتلى قمة كلّ جبل من جبال غرب المحلة مدفع لحماية المنطقة، على الرغم مما عاناه جنود المشاة في سبيل وضع تلـك المدافع في أماكنها(٣).

أما محطة مدائن صالح، فقد تميزت بتعزيزات عسكرية قوية؛ إذ رابط فيها اللواء المئة واثنين وستين بقيادة المقدم (البكباشي) رفيعي بك، وفرقة البنادق الآلية، ومركز طابور خط السكة الحديدية، وأربعة مدافع من البطارية الحادية عشرة من المدافع الضخمة. وعلى الرغم من أن أطراف تلك المحطات كانت رملية منبسطة، وانتشار الجبال والتلال العالية الارتفاع والغريبة الشكل في جنو ا الشرقي؛ فقد أقيم في أعلى مرتفعات تلك المنطقة نقطة شرطة كان يصعد إليها بسلّم من الحبال، وكانت تسمى تلك النقطة "عش الشاهين"، وكانت تلك النقطة تطلّ على المحطة، فتكشف كل شيء على الرمال البيضاء المنبسطة تحت ضوء المكبر الضوئي. كما لم تخلُ محطات: مبرك الناقة، وأبو طاقة، ودار الحمرا، والمعظـم، مـن تحصينات قوية، وعدد من السرايا، وحملة البنادق الآلية، وبعض المدافع(٤).

أما منطقة "القوة المرتبة الثانية"، فكانت تعد نفسها مستقلةً، فتجري اتصالا ا على هذا الأساس، وقد اختار عاطف بك قائد القوة النظامية الثانية أقوى الجنود صحةً وأبداناً، فأحضرهم إليها. وكانـت مهمة تلك القوات هي حماية خط السكة الحديدية حتى المدورة، وتأمين رحلتي الذهاب والعودة، وقـد تناقص مع الوقت عددها حتى وصل إلى ستة جنود أو سبعة(٥).

كما وجد في المحطات المهمة للقطار: عشرون مدفعاً ثابتاً، ووحدة استحكامات، ووحدة بـرق، وثلاث محطات للاسلكي، ووحدتان صحيتان، ومستشفى متنقل، وطاقم للتغذية والإطعـام، ووحـدة

---

(١) a.g.e,s294.

(٢) a.g.e,s295.

(٣) a.g.e.

(٤) a.g.e,ss295- 297.

(٥) a.g.e,s297.

للآبار، وكتيبة للسكة الحديدية، وكتيبة للنقليات(١).

كما فكّر فخري باشا في العمل على تقوية نقاط الحراسة التي بجانب طريق السكك الحديدية؛ للحفاظ على ذلك الخط الحديدي، وجعل جميع نقاط الماء(٢) بين المدينة ومحطة تبوك تحت حمايته بواسطة جنود الشرطة والدوريات. وبالفعل تم توزيع القوات الأخرى على طول امتداد خط السكة الحديدية على شكل حاميات قوية في كل محطات المياه الواقعة بين المدينة وتبوك، وفي مواقع أصغر حجماً بين تلك الحاميات؛ حتى تتمكن الدوريات اليومية من أن تضمن تقفي الأثر(٣).

ج- توفير احتياجات قوة الحملة:

في أثناء مساعي فخري باشا لإعداد القوة النظامية عمل على توفير كلّ ما من شأنه الارتقاء بها من خلال توفير كلّ ما يمكن أن تحتاج إليه تلك القوة في تلك الفترة الحرجة، مثل:

- تشكيل هيئة الطبوغرافيا:

وفي إطار تعزيز الجيش عدداً عني فخري باشا بتشكيل هيئة تتكون من مجموعة من الضباط(٤) عرفوا برجال الطبوغرافيا؛ إذ أدرك أن الطبوغرافيا لا تقلّ أهميةً عن أهمية حمل السلاح للمقاتل، وكان رجال الطبوغرافيا يعملون فوق الرمال الساخنة والصخور القوية(٥)؛ إذ كانوا يعملون على توضيح ورسم الهيئات الطبيعية (جبال، وسهول، وبحار، وأنهار، وغابات) لمساحة من الأرض على قطعة من الورق تسمى خريطة بواسطة رموز واصطلاحات ثابتة ومقياس رسم معين؛ إذ يتم قراءة الخريطة وتطبيقها على الطبيعة، واستنتاج المعلومات اللازمة للأغراض المختلفة، كما يعملون على دراسة الملاحة الصحراوية، والسير بالبوصلة ليلاً ونهاراً بواسطة الأفراد، ويعملون على اكتشاف الأماكن اللازمة لتحركات القوات وميادينها المختلفة(٦).

وظلّ أولئك الضباط في المدينة في أثناء حصارها، وانتشروا فيها وبجوارها انتشاراً كبيراً، حتى إنه لم يبق شبر على طول خط السكة الحديدية حتى شمال جبل أحد وتبوك يخلو منهم، وكانوا يتميزون

---

(١) Kandemir, s69.

(٢) a, g,e, s91.

(٣) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٠٣

(٤) كان من أولئك الضباط: اليوزباشي أيوب أفندي في نقطة عيون، واليوزباشي صلاح الدين، والملازم أول فني بك، والبكباشي حافظ بك رئيس البريد. راجع: Kıcıman, s335.

(٥) Kıcıman, s335.

(٦) معلومة مستقاة من عاصم الحمدان في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير ٢٠١٠م.

بالحيوية والنشاط طوال فترة الحصار[١]، وكانوا يتمتعون بتقدير كل قوات حملة الحجاز[٢].

وكان يعمل معهم قسم من الضباط هواة الرسم والخط؛ لمساعد م فيما هم بصدده من أعمال، وعلى الرغم من تعرض رجال الطبوغرافيا لنيران قوات الحسين إلا أ م استطاعوا مسح الجبـال جـبلاً جبلاً، واستطاعوا تحديد مواقع قوات الحسين بدقة[٣].

- **توفير كوادر عاملة في الأمور الكتابية والحسابية:**

اهتم فخري باشا بتوفير احتياجات قوة الحملة من العمالة التي تـساعدها في الأمـور الكتابيـة والحسابية في الوحدات والتشكيلات في ظلّ وجود الحصار الشديد للمدينة؛ لذا افتتحت مدرسة اللوازم من أجل إعداد كوادر من الكتبة لتسيير تلك الأمور، وعين ضابط برتبة (أمين لـواء) مـديراً لتلـك المدرسة[٤].

وكانت الامتحانات تعقد في تلك المدرسة شفهياً وتحريرياً في حضور هيئة مكونة مـن رئـيس مجلس إدارة قوة الحملة، وقائد قوة الم ل، وغيرهما[٥].

ونجحت تلك المدرسة في مدة وجيزة في تخريج عدد من الطلاب من بين الجنود والشاويشة[٦]، أقسموا على الإخلاص في العمل قبل أن يتوزعوا على الوحدات والتشكيلات، وكان الحاصلون منـهم على تقدير جيد جداً يعينون في وظائف مستقلة من دون رئيس، بينما يعمل الباقون أصحاب تقـدير جيد كتبةً للطابور، وكان يصرف لكل واحد منهم راتب بدءاً من تاريخ تعيينهم، وكانوا يمنحون لقب (وكيل محاسب)[٧].

ونتيجة لوقوع بعض الحوادث الخطرة التي قد تودي بحياة الجنود في وقت كانت الحاجة إلـيهم كبيرة وجه فخري باشا قادة القلعة بإلقاء دروس حول كيفية التعامل مع الأسلحة كالقنابل؛ للتنبيه على

(١) Kıcıman, s335.
(٢) a.g.e.
(٣) a.g.e.
(٤) a.g.e, s336.
(٥) a.g.e.
(٦) a.g.e.
(٧) a.g.e.s337.

الجنود ومكافحة وقوع حوادث قد تودي بحيا م، وقد دفعه إلى ذلك وقوع حادثة[١] أصـيب فيهـا جنديان من جنود المدفعية[٢].

- **توفير الجمال:**

وفي إطار تعزيز الجيش بالعتاد جلب إلى المدينة عدد كبير من الجمال التي اشتريت من الـشمال، وكانت تشكل أساس طوابير الهجانة في دمشق، وأرسلت وفود كثيرة إلى أماكن مختلفـة مـن أجـل شرائها، فتم توفير عشرة آلاف جمل وهجين. وكانت الهجن تخصص لركوب الـضباط والشاويـشية، وتخصص الجمال لنقل الأمتعة[٣]. وقسمت تلك الجمال إلى فرق، كلّ فرقة تتكون من مئة جمل، وتسند الفرقة إلى أحد ضباط الاحتياط[٤]، وتم تشكيل ثلاث وعشرين فرقة مقابل مئة فرقة كان من المنتظر أن تشكل، لكن الأمر اللافت للنظر هو أنه تم تعيين شباب من إستانبول على رأس تلك الفرق لم يـسبق لواحد منهم أن ركب هجيناً طوال عمره، بل إن بعضهم لم ير وجه جمـل إطلاقـاً، لكـن الأوامـر العسكرية تقتضي عليهم ذلك[٥]. وبسبب قلة خبرة رعاة الجمال تعرض تشكيل تكون مـن عـشرة آلاف جمل لخسائر كبيرة من قوات الحسين عن طريق الفخاخ التي نصبوها لهم، والهجمات المباغتة التي نفذوها ضدهم، وكان من أسباب زيادة الخسائر أيضاً عدم معرفة الرعـاة كيفيـة معالجـة الجمـال ا روحة[٦]؛ لذلك أقيم بالمدينة مستشفيان لعلاج تلك الجمال تحت إشراف ملازم احتيـاط بيطـري رشيد أفندي، يخضع لرئاسة المقدم (البكباشي) وهبي بك، وكان العلاج يدوم أسابيع وشهوراً، وكـان الجنود يسأمون من طول مدة علاجها[٧]، ومع مرور الوقت كانت تصاب بالضعف والهزال بـسبب سوء التغذية، وكان لفقر الدم والتهاب الرئة وغيرهما من الأمراض الناتجة عن المناخ أثر كبير في وصول تلك الجمال إلى ايتها المفجعة[٨].

---

(١) وتفصيلها أنه عثرا الجنديين على شيء أشبه بكبسولة إشعال المدافع وفيما كانا يعبثـان ـا انفجـرت فيهمـا فأطاحت بإصبعي السبابة والإ ام في اليد اليسرى لأحـدهما وأصـيب الآخـر بجـراح فـوق ثديـه الأيـسر. راجع: Kıcıman, s248.

(٢) Kıcıman, s248.

(٣) a.g.e, s264.

(٤) a.g.e.

(٥) a.g.e.ss264- 266.

(٦) a.g.e.s266.

(٧) a.g.e.

(٨) a.g.e.

كما جلبت كمية من الحمير إلى جانب الجمال لاستخدامها في نقل في الطوابير مع حيوانات البنادق الآلية والمدافع، وحيوانات الركوب الخاصة بالضباط(١).

لكن كانت هناك أزمة شديدة في المؤن في أثناء الحصار(٢)، حتى إنه لم يكن من الممكن صرف العلف لتلك الحيوانات، واضطر الجنود إلى ملء بطون حيواناتهم بالتبن والعشب، والواقع أن أربعين كيلوجراماً من التبن لم تكن إلا كيلوجرام شعير واحداً من حيث القوة الغذائية، وعلى الرغم من ذلك كان من الصعب توفير الغذاء اليومي من التبن لكل الحيوانات(٣).

وانتهى الأمر بتلك الحيوانات إلى أكل الرمال لإشباع جوعها؛ فعلى الرغم من محاولة الحراس والرعاة منع الحيوانات من ذلك إلا أنهم فشلوا، ونتيجة لالتهاب الأمعاء الناجم بعد مدة من أكل الرمل أصيبت الحيوانات بآلام شديدة في أمعائها، ولم يكن البيطريون يملكون أي وسيلة تعين على إنقاذ حيواناتهم، وتسكين آلام أمعائهم؛ مما أدى إلى موت أغلبها؛ ففي الأيام الأخيرة للحصار لم يبق من ثلاثة آلاف رأس من الحيوانات إلا نحو ثمانين أو مئة منهم(٤).

- الإجراءات الوقائية من طائرات حكومة الحسين الاستكشافية:

استخدمت القوة العثمانية عدة إجراءات للوقاية من طائرات الاستكشاف التابعة لحكومة الحسين، والافلات من الضربات الجوية، ومن تلك الإجراءات:

- تغطية خيام الجنود والخنادق والمدافع والمركبات وإسطبلات الخيول من أعلى ومن الجوانب بجريد النخيل.
- اختباء الأفراد والخيول داخل حدائق النخيل إن أمكن عندما تحلق فوقهم الطائرات.
- تغطية مستودعات الذخيرة والأسلحة بفروع الأشجار وجريد النخيل.
- تلوين الخيام البيضاء مخروطية الشكل باللون الترابي الأحمر للتمويه.
- ثبات الجنود وعدم تحركهم عند اقتراب طائرة من موضعهم.
- إقامة نوبات حراسة لمراقبة الطائرات وإخبار الجنود بالبوق.
- توزيع القوة الميدانية التي تتعرض إلى هجوم جوي إلى وحدات صغيرة مع التخفي بين الأشجار والتلال المحيطة بجانب الطريق.

---

(١) a.g.e.

(٢) سيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

(٣) Kıcıman, s267.

(٤) a.g.e.

- إجبار الهجن على السكون وعدم الحركة بربط أرجلها الأمامية، واستلقاء الهجن على الارض بجوارها لإسكا ا ومنعها من إصدار أي صوت عندما تلقي الطائرات قنابلها.

- الحرص على الحيلولة بين الطيار وبغيته، وهي كشف الجنود أنفسهم لقائد الطائرة.

- الاسراع في الاستلقاء على الأرض عندما توجه الطائرة قذائفها إلى الجنود بعد الابتعـاد مـن نطاق قذائف الطائرة بالتقريب.

- بقاء الجنود داخل الخنادق في أثناء المعارك وقصف الطائرات، وعدم التوجه إلى الاختباء بـين الأشجار.

- إعداد المشاة وسرايا البنادق الآلية والمدفعية على صد غارات الطائرات.

- توفير منضدة صغيرة يمكن من خلالها إطلاق البنادق الآلية على الطائرات المعاديـة، وتجهيـز المدافع لإطلاق نيرا ا على تلك الطائرات(١).

- تنظيم الدوريات:

كانت هناك بعض التعليمات بخصوص تنظيم عمل الدوريات، فكان ينبغي أن يرد أفراد الحراسة على أمر كلّ من يمر من جانب خط الدورية من الضباط والأفراد، وتمّ إلزام كل قائد بأن يعلّم فرقتـه الأبحاث النظرية والعملية الخاصة بالدوريات والحراسة.

ومن التعليمات أيضاً أن يذهب الحراس إلى نوبة الحراسة وهم ليسوا جائعين أو مـتخمين مـن الطعام، ومنع إخراج الجنود المحمومين والخارجين لتوهم من المستشفى إلى الحراسة في الشمس؛ لإمكانية تعرضهم لضربة شمس، كما لا يرسلون إلى الصحراء مدداً طويلة؛ لأن ندرة المياه تعرضـهم لـضربات الشمس أيضاً. ويجب على جندي الدورية أن يحمل معه مائة خرطوش ناري فقط من أجـل تخفيـف الحمل عليه، وأن يحملوا معهم خياماً سهلة الحمل من أجل عمل مظلات تقيهم حـر الـشمس، وألا يحملوا معهم مواد مخدرة محظورة. وإذا كان احتمال تعرضهم لضربة الشمس كبيراً يـرافقهم جنـدي لحمل الأسلحة التي في ثقل البندقية، ويمكن استغلال سلال التمر شمسيةً مع جنود الدوريات، ويفضل أن يرتدي جنود الدوريات ارأ النظارات لتقيهم من أشعة الشمس المضرة بأعينهم، كما يمنع سير الجنـود وهم حفاة على الرمال الساخنة والصخور، ويبذل الجهد لتوزيع المياه على الدوريات، وتقلل حركات الذهاب والإياب غير الضرورية ارأ.

- تعزيز خطوط الدفاع بوسائل الاتصال- توفير وسائل تخابر حامية المدينة:

محطة اللاسلكي:

أنشئت محطة اللاسلكي منذ عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، وعندما وصل فخري باشا اهتم بصيانتها

(١) a.g.e, ss248- 250.

لتشغيلها مع خطوط البرق على أعلى مستوى؛ ففي الفترة بين سنتي ١٣٣٤- ١٣٣٧هـ/ ١٩١٦- ١٩١٩م وجه بإنشاء سور حول محطة اللاسلكي (الترسيس)، وجعل له باباً من الجهة الغربية، وبنى أبراجاً وشرفات عالية عند أركان السور وزواياه لمراقبة كل ما يدور خارج المحطة. كما أنشئ سور طويل آخر بين المحطة وسور المدينة كان يمتد جنوباً إلى باب القبارية قرب البقيع. بهدف المحافظة على المبنى من أن يقع في قبضة قوات الحسين؛ إذ كانت تلك المحطة صلة الوصل الرئيسة بينه وبين مركز القيادة في إستانبول، وقد عملت المحطة بكفاءة عندما ضرب عليها الحصار من قبل قوات الحسين(١).

وبسبب انفصال حامية المدينة عن الوطن الأم بفعل الحوادث العسكرية كان لابد لهم من وسائل تساعدهم على الاتصال مع معان وعمان ودمشق وإستانبول، فتوافرت لها وسائل تخابر متعددة، كان من تلك الوسائل التي سلكتها الحامية للتواصل مع وحداتها وقياداتها العامة:

- مركز المدينة الثابت للبرق اللاسلكي.
- مركز البرق اللاسلكي الصحراوي.
- مركز البرق المدني.
- مراكز الهاتف.
- مراكز البرق التابعة لمحطات السكة الحديدية.

- **مركز المدينة الثابت للبرق اللاسلكي:**

أنشئ هذا المركز بين جبلي أحد وسلع شمال غرب المدينة على أرض مسطحة تفضي إلى بساتين نخيل وعيون، وكان يركز في نظام الهاتف الألماني، وسعته ١٠ كيلومترات، وكان المركز يعمل بالغاز بسبب تبخر البنزين ونفاده سريعاً في الأماكن الحارة(٢).

وكانت المنطقة أسفل قضاء العلا جزءاً من أرض الحجاز وبقاعها المقدسة؛ لذا كان محرماً على غير المسلمين عبور تلك النقطة إلى الجنوب؛ لذلك لم يكن من الممكن دخول مهندس ألماني إلى المدينة لتشييد محطة اللاسلكي الثابت، لكن المشكلة حلّت باستقدام جنود وضباط عثمانيين أكملوا دراساتهم في ألمانيا(٣).

وكان لذلك المركز هوائي (إيريال) معلق على عمودين طولهما ٨٠م، وقد أظهر القائمون على ذلك المركز همةً وغيرةً منقطعة النظير، وأثبتوا كفاءة عالية(٤). وكان لذلك المركز القدرة على الاتصال

---

(١) بدر، ص ص٤٦- ٤٨

(٢) Kıcıman, s301.

(٣) a.g.e, ss301- 302.

(٤) Kıcıman, s302.

بمركز البرق الثابت في دمشق، وكان من المخطط إنشاء مركز مماثل له في مكة، لكن حالت الظروف دون ذلك(١).

تكلّف إنشاء المركز تسعين ألف ليرة أو مئة ألف تقريباً بعملة ذلك الوقت، واستخدمت كمية كبيرة من الوقود من أجل استمراره في العمل بفاعلية؛ حتى لا ينقطع التواصل مع الوحدات والقيادة؛ مما أضر كثيراً باحتياطي الغاز(٢). وقد واجه مركز المدينة اللاسلكي الثابت مشكلات كثيرة في الاتصال بسبب طقس المدينة الحار؛ لذا كان يستفاد من لاسلكي تبوك في التخابر كما سيأتي ذكره.

وكانت قيادة ذلك المركز تحت إشراف الملازم أول فهمي بك أحد المؤسسين، الذي بذل جهداً كبيراً في أثناء مدة الحصار(٣).

- **مركز البرق اللاسلكي الصحراوي:**

كانت السرية الأولى للبرق اللاسلكي الصحراوي توجد في المدينة تحت أمر قوة الحملة، التي يقودها الملازم أول غالب أفندي، وكان للسرية مراكز مستقلة في المدينة وهدية ومدائن صالح، ومهامها تسهيل الاتصال بين قوة الحملة والقوات الموجودة في تلك المراكز، وكانت تحتوي على ماكينات محملة على عربات صممت لتحقق الاتصال بصورة مأمونة على مدى مسافات تبعد مئة وخمسين كيلومتراً، وبقدرة كيلووات واحد ونصف الكيلووات(٤).

- **مركز تبوك للبرق اللاسلكي:**

كان يتبع في بادئ الأمر سرية البرق اللاسلكي الثانية المركزية في معان(٥)، التي كانت تقوم بمهمة الوسيط الدائم في المخابرات بين القوات النظامية الأولى، والثانية، والجيش الرابع، وقوة حملة الحجاز، ومجموعة الصاعقة، والقيادة العليا(٦)، لكن بعد الحصار أُلغيت واقتصر تحقيق الاتصال مع الشمال على مركز المدينة الثابت كما سبق ذكره، ومركز تبوك الصحراوي فحسب، وقد واجه مركز المدينة اللاسلكي الثابت مشكلات كثيرة في الاتصال بسبب طقس المدينة الحار، وبسبب برودة منطقة تبوك، وكون جوها صحواً، استفيد من محطتها في التخابر والاتصال مع الشمال(٧).

---

(١) a.g.e.

(٢) a.g.e, ss302- 303.

(٣) a.g.e, s303.

(٤) a.g.e.

(٥) a.g.e.

(٦) a.g.e.

(٧) a.g.e, s304.

وكان مركز تبوك تحت قيادة نامق جمال من ضباط اللاسلكي[١]، وقد نال أفراد ذلك المركز جائزة لم يحظ بها أي لاسلكي آخر في الجيش العثماني، وهي "ميدالية الحرب"؛ بسبب ما أظهروه من فدائية وغيرة؛ لذلك أطلق على ذلك المركز "مركز البرق اللاسلكي الحائز على ميدالية الحرب"[٢].

● **مراكز البرق التابعة لمحطات السكة الحديدية:**

تم تأسيس مركز اتصال تابع لإدارة خط السكة الحديدية في محطات الهدية والعلا ومدائن صالح وتبوك، إضافةً إلى مركز المدينة، وكان الضباط يهرعون في أثناء الحركة العسكرية إلى تلك المراكز عندما لا يتوافر خط صالح للاتصال[٣].

● **مراكز الهاتف:**

كان توفير الاتصالات الهاتفية يشكّل أهمية كبيرة[٤]؛ لذا عزز فخري باشا خطوط دفاعاته بخطوط هاتفية[٥]؛ إذ أسس في سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م شبكة اتصال هاتفي داخل المدينة، وأحضر مقسماً (سنترالاً) بسعة خمسين خطاً هاتفياً، ومد جنوده الأسلاك بين إدارات الجيش ومستودعاته ومراكز المراقبة الرئيسة والثكنات[٦]، واقتصر استخدامه على القوات العسكرية فقط[٧]، ويوضح ذلك قيجيمان بقوله: "تم تركيب ميكرفون في كل مؤسسة وكل شعبة داخل المدينة، ومدوا خطوطاً مع كل نقطة شرطة في محيط القلعة"[٨].

وكانت السرية التي يرأسها عدنان بك ملازم التلغراف تتولى إدارة سنترالات القيادة والمحل والشرطة داخل المدينة[٩]، ومن ثم صار مركز المدينة العسكري مركزاً متطوراً بالقياس إلى أي مركز آخر في الحجاز[١٠].

وتوضح المعلومات السابقة وسائل التخابر عبر أجهزة الاتصال، أما التخابر عبر المراقبين والبريد

---

(١) a.g.e.

(٢) a.g.e, s305.

(٣) a.g.e.

(٤) a.g.e.

(٥) مرشد، ج٥، ص٥٩.

(٦) بدر، ص٤٨.

(٧) حافظ، ص٣٥٤.

(٨) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s305.

(٩) a.g.e.

(١٠) بدر، ص٤٨.

الأمني فكان لهما دورهما أيضاً في العمليات العسكرية، وكانت هناك عدة طرائق للتخابر عبر الوسيلتين المشار إليهما سابقاً، منها:

- شفرة تستخدم في التخابر بين المخبرين السريين الذين يشرفون على العيون التي تقوم بمراقبة الأماكن التي توجد ا الحملة، وعن طريق تلك الشفرة يتم توصيل الأخبار العاجلة والمهمة بين المخبرين والوحدات التي ينتمون إليها. وكانت الشفرة سرية جداً، وترسل عادةً مع البريد صورة منها إلى قائد البريد، ثم تستعاد منه عند عودته؛ حتى لا تقع في أيدي الأشراف.

- أبواق الصيد التي كان يتخابر ا في أثناء المعارك مع قوات الحسين[1]؛ إذ كان البوق يستخدم وسيلة مخابرات حول المدينة وعلى طول السكة الحديدية عند المحطات ولدعوة إلى الطعام والراحة[2]، وكان ينبغي التريث فترةً ما لتكرار الإشارة تحسباً لانقطاع صوت بوق الصيد في أثناء الإشارة، وإذا كان الجو عاصفاً كانت شدة الرياح تعوق أحياناً إيصال الصوت إلى البريد؛ مما كان يتطلب بريداً وسيطاً، وينبغي النفخ في بوق التنبيه من أجل دعوة البريد إلى المخابرة[3]، وكان التخابر يتم ببوق الصيد في المسافات القريبة فقط[4]، ويشير إلى ذلك لورنس قائلاً: "كنا ننبطح كالسحالي بين الأعشاب الطويلة المحيطة ا الأحجار على أعلى قمة الجبل، ونشاهد استعراض حامية المحيط. كانوا ثلاثمئة وتسعة وتسعين جندي مشاة، يبدون كالألعاب الصغيرة، ويسرعون عندما يزعق البوق؛ ليصطفوا في صفوف ثابتة أمام المبنى الأسود، ثم يتفرقون"[5]، ويقول في موضع آخر:

علونا جمالنا ثانيةً لنصبح أقرب ثانيةً من خط السكة الحديدية، إلا أنه ما إن بدأنا المسير حتى أتانا الريح بأصوات الأبواق التركية المستخدمة لدعوة الجنود لتناول الطعام آتيةً من بطن الوادي. ووجه دخيل الله أذنه باتجاه الصوت، وفهم أنه كانت هناك محطة مدرج... لذلك فقد انجذبنا نحو الصوت، الذي كان يعلن عن موعد العشاء وعن الاستراحة في الخيام، في حين كنا نحن في العراء دون مأوى"[6]. وكان إعلان اية التخابر يتم عادة بتبادل الطرفان النفخ في بوق السلام[7].

---

(١) Kıcıman, ss284- 285.

(٢) لورنس، **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٣٣.

(٣) Kıcıman, s285.

(٤) a.g.e, s286.

(٥) **أعمدة الحكمة السبعة**، ص٢٣٣.

(٦) السابق، ص٢٤٢.

(٧) Kıcıman, s286.

- استخدام الإشارة بذراعين، أو بندقيتين، أو استعمال شعلتين، أو مسدس الإشارة، أو الراية في حال عدم توافر الأبواق[١]؛ ففيما يتعلق بمسدس الإشارة يستخدم الخرطوش الأخضر من أجـل الدعوة إلى التخابر، ويعد الخرطوش الأبيض خطأً، بينما الخرطوش الأحمر نقطةً، ويتم الحـرص على تغيير ألوان الخرطوش كل مدة[٢]. أما المخابرة بالراية، فيجب توافر نظارة لدى البريد عند التخابر ا[٣]، وعند التخابر بالراية يفضل اللون الأصفر ثم الأزرق ثم الأحمر[٤]. وكان التخابر بالشعلة مثل التخابر بالراية[٥].

كما كانت حركة الجنود تستخدم في بعض الأحيان وسيلةً للتخابر في المسافات القريبة، أو يقوم جندي الاستطلاع بالسير يميناً ويساراً مشيراً إلى حركة قوات الحسين.

٢- استمالة القبائل:

حاول العثمانيون استمالة القبائل إلى جانبهم ففيما كان جمال باشا يدعم المدينة بالقوات والمؤن على النحو السالف الذكر،[٦] أخبره فخري باشا أن علياً ينوي جمع رؤساء القبائل المتاخمين للمدينة، وسيؤثر عليهم بقوة المال حيث سيتم توزيع النقود والطعام عليهم ويتم صرف رواتب لهم[٧]

ولذلك وكإجراء مضاد لجأ جمال باشا إلى تدابير جديدة حيال تلك التطورات، فأوصى فخري باشا في الأمر الوارد منه في ١ شعبان١٣٣٤هـ/ ٣ يونيو (حزيران) ١٩١٦م باستدعاء شيوخ القبائل ومنحهم النقود وتخصيص رواتب لهم إذا لزم الأمر، وأرسل إليه خمسة آلاف من الذهب التي اعتقد انه ستعين على ذلك، لينال ثقتهم وارتباطهم بالدولة[٨]، وحدد المبلغ بقوله بأن من الصالح: "صرف خمسمائة آلاف ليرة ذهبية"[٩].

---

(١) a.g.e, s285.

(٢) a.g.e, s286.

(٣) a.g.e.

(٤) a.g.e.

(٥) a.g.e.

(٦) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s178.

(٧) a.g.e, s174.

(٨) Erden, "Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1304(13 Ekim 1955).

(٩) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s174.

إلى جانب ذلك شكل جمال باشا وفداً[١]سافر إلى المدينة على الفور لمقابلة شيوخ القبائل وإقناعهم لكسب ولائهم والانضمام إلى جيوش العثمانيين،[٢] وقد تقابل ذلك الوفد مع شيوخ بني عطية[٣] في تبوك، وعـ ة[٤] في البدائع وقدموا لهم الهدايا، ثم استوثقوا منهم أن يعقدوا معهم أواصر قوية. وحينما كان الوفد في المدينة أرسل علي خطابا مطولا إلى رئيس الوفد أوضح فيه أن حكومة الحسين قوية وستقضي على العثمانيين في الوقت المناسب، وذكر أن السياسة التي اتبعتها الحكومة العثمانية لم تكن مقبولة، كما أشار إلى أ ا ستضحى في قريبها العاجل عبارة عن أطلال، وأنه قد حان وقت الانتقام وذلك في لهجة حادة متطرقا في كلمته إلى الظلم الواقع من العثمانيين بسوريا، وأن جميع العرب المسلمين سيلتفون حول أمير مكة، ويوضح أن حكومة الحسين طهرت مكة واليمن من دنس العثمانيين، وذكر أن السبب في تأخر احتلال المدينة هو خشيتهم من إراقة الدماء، وحينما تسنح له الفرصة أيضا سيقوم بمناورات من أجل الدفاع عن سوريا، وسيتم إخطارهم بصفة مستمرة كي يأخذوا حذرهم من شر العثمانيين، وفى اية سطوره دعا السوريين إلى خدمة الإسلام - من وجهة نظره الخاصة- متحدثا عن أنه لم تعد هناك ثقة فيما يقولونه العثمانيين، وأنه لا عهد لهم ولا ذمة، وذكر السوريين بعمليات الإعدام التي قاموا ا. [٥]

وجدير بالذكر أن فخري باشا كان قد أهدر فرصة ثمينة عندما تسلم رسالة من الإمام عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن سعود أعرب فيها عن استعداده لمساعدته ضد الحسين فلم ينتهز الفرصة فيوافق على العرض اعتقاداً منه بقدرته على المحافظة على المدينة بمقوما ا المحلية فاعتذر للإمام عبد العزيز، وسبب آخر هو أن فخري باشا لم يكن يثق كثيراً بعرب شبه الجزيرة العربية، خاصة بعد حادثة العوالي، فاعتذر للإمام عبدالعزيز.[٦] وقد أدرك فخري باشا فيما بعد الهفوة التي ارتكبها، فحاول إصلاحها ووجه الدعوة للإمام عبدالعزيز في ١٩ ذو القعدة ١٣٣٤هـ/ ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩١٦م لزيارة المدينة

---

(١) تألف ذلك الوفد من محمد فوزي العظم وعبدالرحمن اليوسف و أسعد الشقيري. راجع: سعيد، ص ١٥٧.

(٢) سعيد، ص ١٥٧.

(٣) بنو عطية:بطن من الحويطات بالحجاز. راجع: كحالة، ج٢، ص٧٩٠.

(٤) عـ ة: تعد من كبيرات قبائل شبه الجزيرة العربية تمتد منازلها من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالحماد فبادية الشام حتى حمص وحماه وحلب وتقسم هذه القبيلة إلى ثلاثة بطون كبيرة وهي: مسلم، وايل، عبيد. راجع: كحالـ ة، ج٢، ص٨٤٦. الجاسر،ج٢، ص ص٥٠٢- ٥٠٣.

(٥) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s178.

(٦) بدر، ص٥٣.

والبحث في التعاون ضد الحسين وإعداد الظروف المناسبة لذلك، ولكن دعوته تأخرت كثيراً إذ أن الإمام عبدالعزيز كان مشغولاً بأموره الداخلية فلم يلب الدعوة. (١)

إلى جانب ذلك كان لعلي حيدر(٢) – الذي عين أميراً على مكة بدلاً من الحسين- دور أيضاًفي استمالة القبائل،(٣) وكانت الحكومة العثمانية تتوقع دوراً كبيراً من علي حيدر، فكانت تريد منه تعقب الأشراف ثم كسبهم والعطف عليهم،(٤) وقد منحته السلطات العثمانية الأوسمة وزودته بالأموال والذهب لتوزيعها على شيوخ القبائل في محاولة لكسب ولائهم،(٥) وصل علي حيدر إلى المدينة في ٢٤ رمضان ١٣٣٤هـ/ ٢٦ يوليو- تموز ١٩١٦م وتم استقباله من قبل فخري باشا وبصري باشا وعدد من الشيوخ وبعض أعيان المدينة في محطة القطار وقدم الجنود له التحية،(٦) وخصص له مقر مؤقت مقابل الديوان مقر فخري باشا مركز المحافظة وأقيم له سبيل وصارت المدينة العاصمة المؤقتة للحجاز

---

(١) بدر، ص٦٠ . مفرح، سعيد بن محمد. **سياسة الدولة العثمانية تجاه الملك عبد العزيز في ضوء المصادر العثمانية ١٣١٩- ١٣٣٦هـ/ ١٩٠٢- ١٩١٨م.** رسالة دكتوراه. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. Goldberg, Jacob. **The Foreign Policy Of Saudi Arabia**. **Harvard University Press**. Cambridge: Massachusetts, 1986,p141.

(٢) علي حيدر باشا ابن جابر بن عبدالمطلب بن غالب الحسني (١٢٨٠– ١٣٥٣هـ / ١٨٦٣– ١٩٥٣م): من أشراف مكة من ذوي زيد. ولد بالآستانة وتعلم فيها. وتقدم عند العثمانيين، فجعلوه وزيراً للأوقاف ثم وكيلاً أول لرئاسة مجلس الأعيان. وبعد ثورة الحسين على العثمانيين بمكة عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م صدر مرسوم من السلطان محمد رشاد بتعيين علي حيدر أميراً لها، على أمل أن يجد أنصار في قبائلها، يقاومون ثورة الحسين. وبعد بلوغه المدينة، شكل عبئاً على الحامية العثمانية فيها، فعاد إلى الشام، واستقر في لبنان، وتوفي في بيروت. راجع: صابان، **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**، ص ص١٣٩- ١٤٠.

(٣) stitt, George.**Aprince Of Arabia. The Amir shereef Ali Haider Aprince of Arabia**.printed In Great Britain, By Bradford. Dckens, London, 1948, pp 155-167. Beyoğlu, Süleyman 'şerif Ali Haydar Mekke Emirliğne Tayini' **Türk Dünyası tarih dergisi** , sayı 61(ocak 1992, ss 47-51. B.O.A., İrade, Dosya Tasnifi, I. Grub Karton nr. 13. Yatak, S56.

(٤) Bayur, Y. Hikmet **, XX. Yüzyüda Türklüğün Tarih ve Acun Siyasası Üzerindeki Etkileri,** T.T.K. yay., Ankara 1974, s 283. İbnül Emin Mahmud Kemal İnal, **Son Sadrazamlar,** IV, Dergah yay., İstanbul 1969,ss1903-1907.

(٥) يوسف، عماد عبدالعزيز. **الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦- ١٩١٨.** بغداد: دار الوراق. (د.ت)، ص ص٢١٧-٢١٨. Yatak, S56.

(٦) بدر، ص٦١. Bayur,s 283-s 285. Ali Fuat Erden, "ÇöWe Son Türk Destanları" **Dünya,nr.** 1310 ,19 Ekim 1955, Kandemir, a.g.e, s.s 60-69.

عند العثمانيين إلى أن يتم القضاء على ثورة الحسين،(١) ووزع علي حيدر عند وصوله المدينة بياناً أشار فيه إلى خيانة الحسين ونصه: "ولما كان الحال على هذا المنوال وتم إعلان الجهاد وقطع العدو كل آماله فى الحجاز، قام حسين بن علي المدعو شريفا بالاتفاق مع دولة مسيحية معادية للدولة العثمانية المشهورة بالعدل فى العالم الإسلامي، وسعى لوضع القطعة الحجازية المباركة والبيت الحرام ومرقد الأنوار المحمدية تحت حماية هذا العدو"(٢).

عمل علي حيدر أثناء وجوده في المدينة على بث الدعاية للعثمانيين بين القبائل وإنفاق الأموال وأمدهم بالهدايا في سبيل استمالتهم وإغرائهم، وبناءً عليه أخذت وفود بعض القبائل التي حول المدينة بالتوافد عليه تعرض طاعتها وانقيادها، وقد قابلهم علي حيدر وعمل على كسبهم وأعطاهم النقود وأقام لهم الولائم، ومن أولئك الشيوخ، شيوخ قبيلة جهينة التي جاءت بمائتين من أفرادها على الهجن والتقى م علي حيدر وأكرمهم، وأيضاً ابن رشيد حيث أرسل علي حيدر إلى الصدر الأعظم طلعت باشا أن ابن رشيد عرض استعداده للحضور وتقديم الخدمات للدولة، كما أن شيخ قبيلة المنتفق العجمي بعث برقية لعلي حيدر أعرب فيها عن استعداده للقيام بجميع الأوامر التي تصدر إليه، وإلى جانب هؤلاء قدم بعض شيوخ حرب الولاء والطاعة،(٣) ومن بينهم حسين بن مبيريك، فقد كان ضالعاً مع العثمانيين ميالاً إليهم ويؤكد ذلك إرساله كتابين إلى علي حيدر من المدينة، عثر عليهما رجال الحسين،(٤) كما أن السفن البريطانية كانت قد أنزلت كمية من البنادق والمؤن والعتاد على أساس أن يؤمن ابن مبيريك وصولها إلى قوات علي وفيصل، وأن يشترك معهما في القتال ضد العثمانيين، ولكن لم يلبث أن اتضح الأمر وتبين أنه كان ميالاً للعثمانيين فمنع إرسال المؤن إلى الداخل وحال دون نزول بطارية المدافع البريطانية التي كانت النية تتجه إلى إرسالها إلى الداخل لمواجهة مدافع العثمانيين.(٥) وكذلك ابن صويلح(٦)وهو أحد شيوخ عوف(٧). وكانت عشيرة بني علي(١) وأهل العوالي تميل إلى

---

(١) بدر، ص٦١ .

(٢) Bayur,s 283-s 285. Ali Fuat Erden, "ÇöWe Son Türk Destanları" **Dünya,nr.** 1310 ,19 Ekim 1955, Kandemir,s.s 60-69.

(٣) Kandemir, s38.

(٤) سعيد، ص ص١٩٦- ١٩٧. الجابري، ص١٢٢.

(٥) الجابري، ص١٢٢.

(٦) معلومة مستقاة من فايز بن موسى الحربي في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير٢٠١٠م.

(٧) عوف:بطن من بني مسروح من حرب يمتد نفوذهم على رابغ وعلى قسم كبيرا من الأراضي التي يمر ل درب الحج. راجع: كحالة، ج٢، ص٨٥٧. الجاسر،ج٢، ص٥١٠.

فخري باشا وإن لم يكن لهم دور بارز في مقاومة أتباع الحسين(٢).كما اتصل الإمام عبدالعزيز بعلي حيدر وأبدى استعداده لدعمه والتعاون معه لضرب الحسين، وجاء في رسالته التي بعثها إليه بعد شهر من وصوله إلى المدينة:

إن عائلة الحسين لم تقدم بثور ا هذه سوى الفساد والضرر.. إنه يطمح في الاستقلال بأية طريقة كانت، ولهذا انغمس بكل أنواع الخداع والحيل ضارباً سكان الجزيرة العربية بعضهم ببعض خدمة لمآربه الخاصة.. وإنني اليوم مستعد لفعل أي أمر تريده لكنني أطلب مؤناً إضافية من الذخيرة. الحسين وضعه ضعيف ويمكننا هزيمته بسهولة، إذا توفرت الإمدادات. إن القبائل العربية تحتشد، وهذا هو الوقت الأفضل للهجوم".(٣)

وهذا يعني أن الإمام عبد العزيز كان يبحث عن وسيلة للانقضاض على الحسين.

ولكن علي حيدر ضيع الفرصة إذ لم يستفد من هذا العرض كما ضيعها فخري باشا من قبل,(٤) ويبدو أنه كان لموقف فخري باشا أثره في موقف علي حيدر السلبي حيث إن فخري باشا لم يكن يحسن الظن بأحد من القبائل، كما أن العلاقات بين نجد والعثمانيين كانت متوترة في ذلك الوقت لها أثر أيضاً. المهم أن علي حيدر وفخري باشا لم يكونا واقعيين ولم يستفيدا من الفرص الكثيرة التي سنحت لهما لإقامة جبهة طويلة عريضة ضد الحسين وأبنائه(٥). ومما لا شك فيه أنه لو قدر لجهود الإمام عبدالعزيز وحيدر باشا أن تتوحد أو تتناسق لحاولوا إشغال حركة الحسين وتشتيت جهدها. فقد كان عبدالعزيز يملك قوة كبيرة وكانت علاقاته مع الحسين متوترة.

كما انضم للعثمانيين عدد من الشيوخ، ولكي تعمل الدولة العثمانية على زيادة تشجيعهم وإغرائهم بالانضمام كانت تعمل على منح بعض أولئك الشيوخ وأبنائهم وأحفادهم الذين قدموا خدمات للدولة العثمانية أوسمة ورواتب(٦)، ففيما يتعلق بالأوسمة تم منح أوسمة مجيدية من المرتبة الثالثة

=

(١) بني علي:من مسروح من حرب. راجع: الجاسر، ج٢، ص٤٨٥.

(٢) معلومة مستقاة من فايز بن موسى الحربي في يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢ فبراير٢٠١٠م.

(٣) stitt,170.

(٤) آل فائع، أحمد بن يحيى. **ضم الحجاز** في **عهد الملك عبد العزيز ١٣٣٢- ١٣٤٤هـ/ ١٩١٤- ١٩٢٥م (دراسة تاريخية)**. رسالة دكتوراه. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ص١٠٨- ١٠٩.

(٥) بدر، ص ص٦١- ٦٣.

(٦) **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩.** DH. KMS 39/31- 2 **. رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية** إلى **نظارة الداخلية** في **٢١/٥/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف** في **التعدي على السكة**

=

لكل من نوري الشعلان وابنه نواف الشعلان، ومنح أحد أقارب نوري الشعلان وهو طراد بن سطام باشا الشعلان وساماً من المرتبة الرابعة، ومثله لكل من خالد بن سطام الشعلان وجواد بن أحمد العامل كاتب نوري الشعلان، وأحمد أبو شامه شيخ عشيرة بلي،(١) كما تم منح أوسمة مجيدية من المرتبة الخامسة إلى متعب بن أحمد أبو شامة وللشيخ جويعد بن علي، ومحمد خيري القصد والد زوجة نوري الشعلان(٢).كما منحت أوسمه لبعض أسر المدينة مثل بيت ناصر أفندي إذ منح وساماً مجيدياً من المرتبة الثالثة، وابنه حسن ناصر أفندي وأبناء عمه علي ناصر أفندي وعبيد ناصر أفندي أوسمة عثمانية من المرتبة الرابعة،(٣) أما الرواتب فقد خصص راتب في ميزانية عام ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م تحت بند الترضية لمطلق ابن الشيخ فرح شيخ أولاد علي في العلا وقدره أربع مائة قرش بشكل دائم نظير تقديم خدماته للدولة(٤)، ومنح ورثة شيخ الحويطات عليان بن رفيع الراتب الذي كان يتقاضاه قبل وفاته وقدره خمس مائة قرش شهرياً تحت بند الترضية(٥)، وخصص راتب للترضية للشيخ سعد بن غنيمة شيخ قبيلة

= ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٣- ٣١/ ٣٩. DH. KMS 39/31- 3. رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٢٥/٥/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل.

(١) بلي:تنتشر مساكنها في شمال الحجاز حول الوجه، ممتدة شرقاً إلى العلا ونواحيها. ولها جذمان كبيران هما مخلد وخزام. راجع: الجاسر، ج١، ص٤٣.

(٢) الأرشيف العثماني، أوراق الباب العالي. B.E.O . قرار سلطاني من إدارة التشريعات إلى ناظر الداخلية طلعت في ٦ ذي القعدة ١٣٣٤هـ / ٢٢ أغسطس ١٣٣٢ رومي بشأن منح أوسمة لبعض الشيوخ وأقار م. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص. رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة المنورة في ٣٠ نيسان ١٣٣٢ رومي بشأن تخصيص رواتب لبعض المشايخ.

(٣) الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣٠/ ٤١. DH. KMS 41/30- 2. رسالة من قائد الجيش الرابع إلى نظارة الداخلية في ١٢/٥/ ١٣٣٢ رومي بشأن منح أوسمة لبعض أهل المدينة. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٥- ٣٠/ ٤١. DH. KMS 41/30- 5. رسالة من مدير التشريعات ممدوح إلى نظارة الداخلية في ٣٠ شوال ١٣٣٤هـ / ١٦ أغسطس ١٣٣٢ رومي بشأن منح أوسمة لبعض أهل المدينة.

(٤) الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ١٧٧/ ٢٠٣. M.V 203/177. محضر مجلس الوكلاء في ٤ محرم ١٣٣٥هـ/ ١٩ تشرين الأول ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.

(٥) الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٥٦/ ٢٠٢. M.V 202/56. محضر مجلس الوكلاء في ٦ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥ مايو ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.

المرادية(١) وقدره خمس مائة قرش شهرياً(٢). إضافة لذلك فقد تم إعطاء الشيخ مصلح بن صويلحي من قبيلة عوف النيشان ا يدي من الطبقة الرابعة، كما تم منح النيشان ا يدي من الطبقة الخامسة للشيخ محمد سعيد ومن الطبقة الرابعة لمحمود بك من أشراف عمان.(٣)

ومن الواضح أن مجيء علي حيدر إلى المدينة قوبل بالترحاب من قبل بعض الشيوخ في صحاري الحجاز وحول المدينة، إلا أنه من الملاحظ أن ذلك القبول كان من الشيوخ الذين كانوا يكرهون الحسين منذ وقت طويل لسبب أو لآخر، ووجدوا في مجيء علي حيدر وكيلاً عن الخلافة ما يتوافق مع مصالحهم(٤)، بينما رأى البعض أن خصمهم الحقيقي في الثورة هم البريطانيين والفرنسيين وبمعنى آخر أعداء الإسلام(٥)

ورفضت قبائل أخرى قبول علي حيدر، وظلت على ولائها للحسين وأبنائه بسبب ما تحصلوا عليه من أموال وهدايا ثمينة وسلاح مثل الشيخ عساف بن سعد بن جزا الأحمدي وبقية شيوخ الأحامدة الذين ظلوا يساندون الحسين وقواته(٦)، مما دفع بالحسين إلى إرسال شهادة تقدير له في عام

---

(١) قبيلة المرادية: وهي من القبائل الموجودة على الطرق ا اورة للمدينة. راجع: **الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٥٧/ ٢٠٢.** M.V 202/57. **محضر مجلس الوكلاء** في **٦ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥ مايو ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.**

(٢) **الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٥٧/ ٢٠٢.** M.V 202/57. **محضر مجلس الوكلاء** في **٦ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥ مايو ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.**

(٣) **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص. رسالة من وزير الداخلية طلعت باشا إلى الصدر الأعظم طلعت باشا** في **٢٤ تشرين الآخر ١٣٣٣ رومي بشأن منح النيشان ا يدي لبعض الشيوخ. وثيقة محفوظة عند فايز بن موسى الحربي بالرياض.الأرشيف العثماني، أوراق الباب العالي.** B.E.O **. قرار من إدارة التشريعات إلى وزير الداخلية طلعت باشا** في **١٢ صفر ١٣٣٦هـ / ٢٨ تشرين الآخر ١٣٣٣ رومي بشأن منح النيشان ا يدي لبعض الشيوخ. وثيقة محفوظة عند فايز بن موسى الحربي بالرياض. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص. رسالة من وزير الداخلية طلعت باشا إلى جمال باشا قائد عام سوريا وغرب الجزيرة العربية** في **٥ كانون الأول ١٣٣٣ رومي بشأن منح النيشان ا يدي لبعض الشيوخ. وثيقة محفوظة عند فايز بن موسى الحربي بالرياض.**

(٤) Kandemir, s38.

(٥) معلومة مستقاة من فايز بن موسى الحربي في يوم الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢ فبراير ٢٠١٠م

(٦) معلومة مستقاة من فايز بن موسى الحربي في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير ٢٠١٠م.

١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م[١]، وهاجمت قبيلتي الردادة والرحلة قوات فخري باشا في موقع الفريش وانتصرت عليها[٢]، وفي ذلك تقول صحيفة القبلة: "وقد مرض أخيرا –تقصد فخري باشا- من الشدة التي يبديها رجال قبيلتي الرحلة والردادة وكثرة استيلائهم على قوافل التغلبين وجمالهم وقد قال علناً: لو كانت هاتان القبيلتان معي لكان ذلك خيراً لي من جميع عساكري"[٣]. أما عشيرة الحوازم فهاجمت قوة من جيش فخري باشا وانتصرت عليها[٤].

وفي الوقت الذي كانت بعض القبائل مابين مؤيد للأشراف ومؤيد للعثمانيين كان موقف قبائل بني السفر[٥] أقل تحمساً لأي من الفريقين بينما ووقفت قبائل أخرى موقفاً غير محدد، فهي مرة مع الحسين ومرة مع العثمانيين بحسب مصالحها[٦].

وعلى الرغم من أن بعض القبائل انضمت إلى علي حيدر إلا أن وجوده في المدينة وإقامته فيها لم يكن له أثر يذكر، فقد قضى هناك نحو ثمانية أشهر اتصل خلالها بعدد من رجالات القبائل الموالين للعثمانيين والمحايدين يبث الدعاية للعثمانيين بين القبائل بلا طائل وينفق الأموال في سبيل استمالتهم وإغرائهم ويمدهم بالهدايا بلا جدوى[٧]، ويرى أحد المعاصرين أن السبب في ذلك يعود إلى أنه لم يتمكن من استغلال الأموال التي زود ا بشكل يمكنه من استمالة القبائل في الحجاز[٨]، بينما يرى آخر بأن علي حيدر الذي علقت عليه الدولة العثمانية الآمال لم يحسن الاتصال بالقبائل وربما كانت إقامته الطويلة في الأناضول جعلت منه غير قادر على إقامة الصلات الناجحة، لذلك اكتفى باستقبال من يفد إليه ومحادثته عن خيانة الحسين والنهاية القريبة القادمة بينما كان فخري باشا ورجاله يقومون بالأعمال

---

(١) **شهادة للشيخ عساف بن سعد بن جزا الأحمدي من الحسين في عام ١٣٣٨هـ تقـديراً لموقفـه ودوره في مساندة الثورة. وثيقة محفوظة عند فايز بن موسى الحربي بالرياض.**

(٢) "الانتصارات حول المدينة – مذبحة الفريش – أهمية هـذه المعركـة" **القبلـة**، س١، ع٤٤ (٢٠ ربيـع الأول ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٣) "الحالة الروحية للجيش" س١، ع٥٧، ص٢.

(٤) "الانتصارات حول المدينة – انتصار الحوازم" **القبلة**، س١، ع٤٤، ص٢.

(٥) بني السفر:من عوف من زبيد من بني مسروح من حرب. منهم الفردة والفهدة والوهوب والشرايزة والرواجحة والمهالبة والطمح. ومنازلهم في جهات القصيم، وفي وادي كُلية وما حوله. راجع: الجاسر، ج١، ص٣٠٢.

(٦) معلومة مستقاة من فايز بن موسى الحربي في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير٢٠١٠م.

(٧) سعيد، ص ١٥٨.

(٨) Kıcıman, s84.

العسكرية والمدنية داخل المدينة(١)، ويعتقد أحد الباحثين أن فخري باشا كان يعيد فشل علي حيدر في استمالة قبائل الحجاز إلى أسباب منها: حاجته إلى مزيد من الأموال والذهب وبكميات كبيرة حتى يمكنه إغراء القبائل مقارنة بما تدفعه بريطانيا من أموال وذهب استطاعت ا كسبهم إلى جانبها(٢). ويذكر عبدا يد ابن علي حيدر؛ أن والده لم يقصر في تقديم الخدمات التي يستطيع تقديمها وفق قدرته ودرجة تأثيره وبذلك استطاع أن يستميل كثير من الشيوخ الذين عرضوا إخلاصهم له، ثم يشير إلى أن والده:

أنعم على كثير من القبائل بالملابس، إلا أن الموقف لم يكن وقت خداع البدوي بإعطائه الملابس.. وكان البدو ينتظرون منا كما جاء في الآية الكريمة ما معناه أن نقاوم العدو بنفس أسلحته.. وكان ذلك ممكناً إذا فعلنا مثل ما فعل الحسين وأبناؤه وهو توزيع الأغذية الوافرة والنقود والمهمات وأشياء أخرى يحتاجون إليها حول المدينة(٣)،كان أبي لا يجد ما يعطيه لحيواناته التي تأكل التراب من شدة جوعها، وعندما جاء إلى مسكننا بعض الشيوخ كان يجب أن نستضيفهم لم نجد معنا ما نقدم سواء أكان لجمالهم أو لهم من أرز أو دهن أو غنم حتى اللبن، وقد تعود بدو هذه المناطق حينما يذهب ضيفاً إلى مكان ما أن يرى صاحب البيت جواداً كريماً، إن الشخص الذي لا يكرم ضيفه كما يجب لا قيمة له في نظرهم وإن طار في السماء. ولم يستطع والدي أمام هذا الوضع المزري أن يفعل شيئاً سوى التفكير في المحافظة على وضعه وعلاقته بالدولة(٤).

ويؤكد هذا الرأي ما قاله أمين سعيد من أن علي حيدر أخذ يطلب مزيداً من الأموال ليتمكن من استمالة القبائل(٥).

وبسبب ذلك الفشل عد فخري باشا وجود علي في المدينة غير مجد، فوقع الخلاف بينهما مما أدى إلى حث فخري باشا السلطات العثمانية إلى إخراجه ومن معه من المدينة؛ لأنه لا فائدة ترجى منهم، فهم مجردون من كل نفوذ بين القبائل، كما أن بقائهم يؤدي إلى زيادة النفقات والأعباء خاصة وأن المدينة في حالة حصار تقريباً فشدد بلطف على ضرورة سفره(٦)، في الوقت نفسه كانت حكومة استانبول غير راضية عنه وعن بيانه الذي وجهه إلى أهل الحجاز دون الرجوع إليها(٧)، وقد شعر علي

---

(١) بدر، ص٦٣.
(٢) Yatak, s55.
(٣) Kandemir. s84.
(٤) a.g.e.
(٥) **الثورة العربية الكبرى**، ص١٧٤ .
(٦) السابق.
(٧) Yatak, S58.

حيدر وهو في المدينة بعدم قبوله فيها وعلى رأسهم فخري باشا، إضافة إلى أنه لم يكن يملك أي سلطة أو نفوذ فتذمر من وضعه ذلك، [١]، مما دفع بالحكومة العثمانية إلى اتخاذ قرار لإخراجه من المدينة كما وضح ذلك من خطاب موجه من أنور باشا إلى جمال باشا في ١٣ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ/ ٧ مارس (آذار) ١٩١٧م طلب فيه إرسال برقية سريه من جمال باشا لإشعاره بالموقف منه[٢] فرد أنور باشا أنه كتب الشفرة اللازمة لعلي حيدر[٣] وبالفعل غادر علي حيدر المدينة متجهاً إلى دمشق في ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ مايو (أيار) ١٩١٧م بقطار خاص يحرسه عدد من الجنود معهم مدافع ورشاشات للمحافظة عليه فضلاً عن التدابير التي اتخذت من المدينة إلى تبوك[٤].

ثالثاً: مصادرة المواد الغذائية

كانت المدينة قبل حصارها في حالة من الرخاء، لكن بعد بداية المعارك بين قوات فخري باشا وقوات الحسين، وإزاء احتمال انفصام العلاقة بين المدينة ومركز الحكومة العثمانية، وإمكان حصار المدينة، تغيرت الأوضاع. ففي ١٦ ربيع الأول ١٣٣٦هـ/ ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧م وصلت هيئة أركان حرب إلى المدينة مرسلة من إستانبول، وبدأ أعضاء تلك الهيئة في مشاورا م التي أحيطت بسرية تامة ليل ار مدة أربعة أيام، ونتج منها إصدار قرار حاسم بمصادرة المواد الغذائية، وذلك بجمع ما أمكن توفيره من المؤن بسرعة إلى قلعة المدينة التي ستبقى تحت الحصار[٥]، وبالفعل وافق فخري باشا على ذلك. ويبين أحد المؤرخين سلبية ذلك القرار، فيذكر أن فخري باشا أغلق المدينة على نفسه، فتوقف البيع والشراء، وأهملت الزراعة، وأصبح همه أن يملأ المستودعات بالتمر، وكان بإمكانه فتح سوق تحت سلع محروساً بالقلعتين: قلعة باب الشامي، وقلعة سلع؛ مما كان سيغري من هم في شرق المدينة لجلب الأرزاق، ثم قال: "لقد جعل نفسه في قبضة الأسر قبل أن تعلن الهزيمة"[٦]. ويتضح لنا مما سبق أن فخري باشا كان في تلك الفترة الحرجة يحاول الدفاع عن المدينة من ا اعة، ومن ثَم عمل على مصادرة المواد الغذائية، وعلى التهجير كما سيأتي ذكره؛ لتخفيف عبء استهلاك المواد الغذائية.

بدأ فخري باشا ينفذ ذلك القرار على أرض الواقع؛ فلم يضِع الفرصة؛ إذ بدأ يهيئ الأماكن لجمع تلك المواد الغذائية، وتخزينها، والحفاظ عليها، فأقام مستودعات محروسة في البيوت المهجورة

---

(١) سعيد، ص١٧٤.

(٢) Kandemir, s70.

(٣) a.g.e.

(٤) سعيد، ص١٧٤.

(٥) Kıcıman, s133.

(٦) زيدان، ص ص٩٧- ٩٨.

وداخل الثكنات العسكرية وبعض المساجد، ثم أمر ضباطه بشراء جميع الأغذية الموجودة في الأسواق، ولاسيما القمح والدقيق والتمر والسكر والسمن(١)، كما حاول الحصول على المؤن من ضواحي المدينة وبساتينها(٢)، ولم يكتف بذلك، بل حاول الحصول على تلك المؤن من نجد والشام عن طريق السكة الحديدية(٣).

وبالفعل، وصل القطار عدة مرات محملاً بالمؤن الآتية من دمشق (٤)، وكان فخري باشا في رمضان يضع حراساً على السكة الحديدية لحفظ طريق الإمدادات من الشام، مما مكن القطار عدة مرات من إيصال المؤن من القمح والتمر وغيرهما(٥)، وكان من ذلك قطار توقف في هدية يحمل عربات القمح من الشام مدداً لفخري باشا(٦)، كما تحصل على القمح والتمر من المدينة وضواحيها(٧).

وبعد وصول تلك المؤن بدأ بتخزينها؛ ففيما يتعلق بالقمح فقد جمعت أكياس كثيرة منه(٨)، وامتلأت مستودعات فخري باشا به، ووضع الجيش يده على معظم الأفران الموجودة في المدينة، وأقيمت أفران جديدة بالثكنات العسكرية(٩).

وفي إطار ذلك ا مك الجنود في صنع نوع من الخبز يسمى (القنيطة) يجفّف بعد خروجه من الفرن مباشرة، ويحفظ في أقبية البيوت حتى لايصيبه العفن(١٠)، وعندما يراد أكله يبلّ قليلاً بالماء، فيعود كأنه خبز بالأمس(١١)، وأدى ذلك إلى وفرة الخبز ا فف(١٢)، وكان حماة المدينة إذا ما بدؤوا بتناول ذلك الخبز فإ م خوفاً من أن ينتهي سريعاً يقومون بتقطيعه إلى لقيمات صغيرة جداً ويشمونه، وكانوا

---

(١) بدر، ص ص ٥٦- ٥٧. زيدان، ص٩٦.
(٢) بدر، ص٥٧.
(٣) السابق.
(٤) السابق.
(٥) السابق.
(٦) زيدان، ص١٠١.
(٧) بدر، ص ٥٧.
(٨) بدر، ص ص ٥٦- ٥٧. زيدان، ص٩٦.
(٩) السابق.
(١٠) السابق
(١١) بدر، ص٦٥.
(١٢) السابق، ص٥٧.

يحرسون الخبز إلى أن يوزع الطعام بتمامه(١).

أما ما يتعلق بالتمر، فقد كان أهل المدينة والحامية العثمانية قبل الحصار يتناولون كميات كـبيرة من الرطب، وكانت الأوقية منه تباع بعشرين (بارة)، أو ما يعادل قرشين من العملة الفضية(٢)، لكـن بعد ظهور بوادر الحصار كان فخري باشا يوزع مجموعات من الجنود على البساتين عندما يحلّ موسم جني التمر لجمعه(٣)، وعندما اشتد الحصار أمر جنوده بجمعه من كل مكان، وكان الأمر سارياً حتى في أثناء القيام ببعض المهام العسكرية على أطراف السكة الحديدية أو غيرها(٤)، لكن كان يخفق في عملية الجمع في بعض الأحيان كما حدث في شوال ١٣٣٦هـ/ أغسطس (آب) ١٩١٨م عندما أرسل كتيبة عثمانية إلى نية القطر لمنع قوات الحسين من التجمع فيها، ولجمع التمر كذلك، فأخفقت تلك الحملـة، وانتهى أمرها بالانسحاب(٥). ثم عاود فخري باشا تجهيز كتيبة أخرى للمكان نفـسه في ذي القعـدة ١٣٣٦هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨م، لكن كانت المفاجأة لأفراد تلك الكتيبة أن مزارع النخيل كانت غير مثمرة(٦).

وعلى الرغم من ذلك فقد جمعت أكداس كثيرة من التمر، وكلفت مجموعة كبيرة مـن الجنـود بضغط التمر في قوالب صغيرة، وجعلها على شكل مكعبات؛ كي لا يؤثر فيها الـدود(٧)، وتكـدس المحصول كله إلا ما نجح أصحابه في تهريبه وإخفائه(٨)، وفي ذلك يقول قيجيمان: "وفي يوليـو ١٣٣٤ رومي كان لدينا ما يزيد عن ثلاثمئة وخمسين ألف أوقية منه"(٩).

وقد كان أتباع فخري باشا وأهل المدينة قد أدمنوا تناول التمر الطازج(١٠)؛ إذ يذكر قيجيمان أن:

(١) Kıcıman, s231.

(٢) a.g.e, s228.

(٣) بدر، ص٥٧.

(٤) Kıcıman, s271.

(٥) a.g.e, ss273- 274.

(٦) a.g.e, ss275- 277.

(٧) بدر، ص ص ٥٦- ٥٧. زيدان، ص٩٦. الحربي، فايز بن موسى. "فخري باشا. بطولة طمستها دعاية الحلفاء!" **الجزيرة**. س، ع١٣٣١٥ (١٦ ربيع الأول ١٤٣٠هـ)

(٨) بدر، ص٦٥.

(٩) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s230.

(١٠) a.g.e, s228.

التمر هو الطعام الوحيد لقوة الحملة، ولم يكن هناك من لزوم لتنوع التمور المعدة لإطعام المحاصرين. كما حرم من التمر القوات العسكرية التي كانت بعيدة عن حدائق النخيل، ولم يكن لها نصيب منه، في حين أن القوات العسكرية القريبة من حدائق النخيل كانت محظوظة من تلك الجهة، ولو قالوا هكذا لكان معهم الحق كل الحق؛ إذ إنه ليس ممكناً أن يملّ أحد من أكل التمر الطازج في كل يوم، وفي كل ساعة، وفي كل لحظة(١).

لكن في الآونة الأخيرة، عندما ضاعت الآمال في إمكانية رفع الحصار، منع جلب التمر من البساتين إلى داخل المدينة، أو إلى القوات العسكرية الأخرى(٢)، وصدرت الأوامر بمنع الإكثار من تناول التمر الطازج(٣)، وحمل التمر المضغوط إلى المخزن العسكري؛ لمنع الإسراف في تناوله؛ لمواجهة خطر انخفاض محصوله، وهو الذي كان يشكّل أساس غذاء الحامية(٤)، ووضع في مستودعات الجيش(٥). ويشير قيجيمان إلى صورة من ذلك الوضع قائلاً: "وكان الرطب الجاف الذي نحبه يجمع مع فاكهة الشتاء، ويخزن في مخازن خاصة"(٦).

وعلى الرغم من صدور أوامر فخري باشا بتخزين التمر، ومنع الإسراف في تناوله، إلا أن أهل المدينة وحاميتها كانوا يتحايلون على ذلك الحظر ببعض الوسائل، ويصلون إليه من دون أن يتركوا له الفرصة حتى يصبح رطباً؛ فعلى سبيل المثال: كان الضباط والجنود ممن كانوا أبناء مدينة واحدة يمضون إلى بساتين النخيل لسبب من الأسباب لقضاء وقت طيب تحت ظلال النخيل، وفي أثناء جولات الاستراحة تلك ينساحون في بساتين النخيل بحثاً عن الرطب لأكله، وتعدى الأمر ذلك إلى العاملين في مقر قوات الحملة المركزي الذين كانوا يهرعون إلى بساتين النخيل لأكل الرطب(٧).

وكان أهل المدينة أنفسهم في تلك الفترة يعملون على إخفاء ما يحصلون عليه من التمر في بيوتهم(٨).

ولمواجهة ذلك كان من ضمن المهام التي يقوم بها الجنود يومياً تفتيش المزارع؛ كي لا يهرب التمر منها، وكذلك منع التسلل إلى داخل المزارع، ومراقبة الأسواق والوافدين إلى المدينة على الرغم من

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s228.

(٢) زيدان، ص٨٨.

(٣) Kıcıman, s229.

(٤) زيدان، ص٨٨.

(٥) بدر، ص٦٥.

(٦) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s230.

(٧) a.g.e, s229.

(٨) زيدان، ص١٠١.

قلتهم، والاستمرار في صنع الخبز المنشف وقوالب التمر المضغوط(١).

وكانت دوريات الجيش تطوف الأسواق والبساتين، وأعطيت لجان البلدية الحق -بأمر فخري باشا إلى رئيس البلدية أحمد صافي- في الدخول إلى المنازل للتفتيش عن المؤن(٢).

كان فخري باشا يعالج الوضع في تلك الفترة بكل ما عرف عنه من حزم وصرامة وشدة؛ فكان يراقب رجاله مراقبة شديدة، ويبطش بمن يظهر عليه أي خلل في نزاهته، بل إنه أعدم بعض الجنود الذين ثبت أنهم سرقوا شيئاً من المخازن وباعوها لبعض الأهالي، فكان إعدامهم عبرة لبقية الجنود(٣). وكان فخري باشا يطوف في الليل على المستودعات، ويراجع سجلات الإدخال والإخراج، ويعاقب بشدة من يثبت إخراجه شيئاً من المخزون من دون إذن مسبق، كما كان يراقب الدوريات، وقد عرف عنه ذلك فأصبح الجميع يرهبونه، ويحسبون له ألف حساب(٤).

ومع امتداد فترة الحصار، وشح المواد الغذائية، دخل التمر في طعام قوة الحملة؛ إذ كان التمر يضاف إلى الأرز المصنوع بالحليب، وكان يخلط مع مقدار من الحلوى والدقيق، وكان هناك من صنعوا منه العسل، واستخرجوا منه الخل(٥)، ومن الواضح أن فخري باشا كان يوزع التمر على الجنود بكميات ضئيلة حتى يضمن كفايته، حتى إنه بعد خروجه من المدينة كانت المستودعات لا تزال تحوي كميات كبيرة من التمر(٦)، يقول قيجيمان: "ولم يكن حماة المدينة ليجحدوا النعمة التي أنعم الله عليهم ا؛ فلولا التمر ما ملأت الردود السلبية الدائمة لأنور باشا بطون الحماة وأطعمتهم من جوع، ولا ينسى في أي وقت من الأوقات أن قوة الحملة مدينة للتمر بقسط مهم من مجدها وشرفها في ملحمة الدفاع عن المدينة"(٧).

رابعاً: إقامة مستودعات للذخائر

اهتم فخري باشا بإقامة مؤسسة عسكرية كبيرة، وظّف فيها كل طاقات المدينة(٨)؛ إذ أقام

---

(١) بدر، ص ص٦٦- ٦٧.

(٢) السابق، ص٦٧.

(٣) السابق.

(٤) السابق، ص ص٦٦- ٦٧.

(٥) Kıcıman, s230.

(٦) زيدان، ص١٠٠.

(٧) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s230.

(٨) بدر، ص١٢٨.

ترسانة من الأسلحة والذخائر[١]؛ مثل البنادق والمسدسات والقنابل[٢]، وخز ا في مواقع كثيرة، أهمها: القلعة العسكرية الكبيرة عند باب الكومة عند أحضان جبل سلع، وبعضها الآخر في المخازن والمساجد المنتشرة في أطراف المدينة[٣].

وكانت تلك الذخائر كثيرة، حتى إنه بعد خروج العثمانيين تسلم الأشراف تلك المواقع، وأفرغوا المخازن الفرعية والمساجد من الأسلحة والذخائر، ونقلوها إلى القلعة الكبيرة، فتكدست قنابل المدفعيـة وصناديق الرصاص في المخازن، وضاقت ا، فوضعت البقية في الساحة الخارجية عند جدران القلعـة، وغطيت ببعض القش والقماش[٤].

ولم يكتفِ فخري باشا بذلك، بل أوجد التنظيمات المناسبة للحفاظ على تلك الذخائر؛ لأنه في أثناء فصل الصيف تزداد الحرارة، ويزيد من وطأ ا حجارة سلع السوداء التي تختز ا وتفيض ا عنـد الظهيرة، فتزيد الجو حرارة، وتجعله أشبه باللهيب؛ لذا اهتم فخـري باشـا بتبريـد تلـك المخـازن و ويتها[٥]؛ فرتب المسؤولون عن المخازن في جيش فخري باشا مزية التبريد، فأوجدوا سراديب بجانبها ينساب فيها ماء دائم مع التهوية اللازمة[٦].

إلى جانب ذلك، أقام فخري باشا مخازن للذخائر في المحطات المهمة بين المدينـة وتبـوك، وفي أحواض الماء، وأقام عليها حراسة[٧].

خامساً: هيئة الاستخبارات:

قصر فخري باشا عند بدء دخوله المدينة في جانب شديد الأهمية بالنسبة إلى الأحداث آنذاك؛ فلم ينشئ هيئة استخبارات تأتيه بحقيقة ما يجري في المدينة، وتراقب الصحف وا لات التي تأتي من خارج المدينة.[٨]

لذا بدأ فخري باشا يتخذ وسيلة دفاعية جديدة قائمة على أساس فرض رقابة على مـا يـدخل

---

(١) السابق، ص١٢٠.
(٢) السابق، ص١٢٠ ـ ص١٢٣.
(٣) السابق، ص١٢٠.
(٤) السابق.
(٥) بعد دخول قوات الحسين أخرجوا تلك الأسلحة وبسبب الحرارة حدث انفجار عنيف هز المدينة بأرجائها. لمزيد من التفاصيل عن ذلك الانفجار راجع: بدر، ص ص١٢١- ١٢٧.
(٦) بدر، ص ص١٢٠- ١٢١.
(٧) Kandemir, s39.
(٨) بدر، ص ص٤٨- ٤٩.

المدينة وما يخرج منها؛ لما لذلك من أهمية كبيرة في قلعة محاصرة كتلك. وقد جسد ذلك إنشاء هيئة استخبارات تتولى مسؤولية مراقبة الصحف والمجلات والمنشورات والمطبوعات والبريد؛ حتى لا تقلل من عزيمة جنوده على الدفاع من خلال ما يكتب فيها وينشر من شائعات وأمور غرضها إضعاف الدفاع عن المدينة(١).

وبناءً عليه، عين فخري باشا ضباط استخبارات لتلك الهيئة(٢)، لكن يبدو أن عمل أولئك الضباط لم يكن بالدقة المطلوبة؛ فقد حدث أن تسلّم قيجيمان كثيراً من الصحف والمجلات من إستانبول، وسمح لاثنين من أقرب أصدقائه بقراءة تلك الصحف في حجرة الاستخبارات الخاصة بقيجيمان، فنقل واحد من الشخصين لفخري باشا حالة البؤس والفاقة التي كانت تعانيها إستانبول، وعندما سأله فخري باشا عن مصدر معلوماته، أجاب بأنه علم ذلك من الصحف التي قدمت إليه(٣).

ومن هنا شعر فخري باشا أن تلك الصحف قد تؤدي إلى إحباط معنويات الحامية، وإضعاف عزائم رجالها؛ لذا استدعى فخري باشا قيجيمان، ووجه إليه عدداً من الأسئلة لامه من خلالها على تقصيره في مراقبة البريد والصحف، فشرح قيجيمان حقيقة الوضع لفخري باشا، وأوضح له أن الصحف الصادرة من إستانبول تتم مراقبتها رقابةً صارمةً، وأن الصحف التي وصلت إليه لم يطّلع عليها سوى ضابط أو اثنين ممن حازوا على ثقته، فقبل عذره، لكنه أصر على وجهة نظره، وأمره أن يأمر رجال البريد بالبحث عن الصحف التي وزعوها وإحضارها. وبعد ساعة تم تجميع تلك الصحف والمجلات التي كانت كثيرة في حجرة الاستخبارات، وتم تصفحها للتأكد مما ورد فيها من معلومات، وبعد التأكد تم إعيدت إلى مكانها مرة أخرى(٤).

ولم يكن فخري باشا يسمح بتداول الأفكار؛ إذ يقول قيجيمان: "لم يكن مسموحاً بتداول أتفه الأفكار التي من شأنها بثّ اليأس أو الحزن في نفوس حماة المدينة، وكانت الصحف، بل وحرية الفكر أيضاً، أمراً غير مسموح به إلا في أضيق الحدود، وكل ذلك بالطبع كان لمصلحة الدفاع عن المدينة"(٥).

وفي إطار ذلك كان فخري باشا يشدد المراقبة على الأشخاص الخارجين من المدينة والداخلين إليها؛ ففي ١٦ صفر ١٣٣٧هـ/ ٢١ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م أرسل علي الذي كان في بئر درويش ضابطاً كان قد هرب من الجيش العثماني ودخل في خدمة قوات الحسين إلى فخري باشا بمهمة

---

(١) a.g.e, s332.

(٢) a.g.e.

(٣) a.g.e.

(٤) a.g.e.

(٥) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s332.

خاصة، وقدم ذلك الضابط محطة بواط الواقعة على أقرب نقطة إلى المدينة، فحمل من هناك إلى المدينـة "كي لا يختلط بأي شخص"، واستقبل فخري باشا ذلك الضابط في مقر قيادة الم ل لقربه من المحطـة، وهذا يجسد لنا مدى حرص فخري باشا في تلك الفترة الحرجة(١).

وعلى الرغم من أن فخري باشا وضع رقابةً على الصحف إلا أنه لم يتمكن من مراقبة المنشورات التي كانت تلقيها حكومة الحسين على السكة الحديدية؛ إذ يقول قيجيمان: "ألقى العصاة -يقصد قوات الحسين- المنشورات على مواقع مختلفة من السكة الحديدية، وكان رؤساء العصاة يرمون من وراء ذلك إلى زعزعة معنويات حماة المدينة بتلك الأخبار التي دونوها في هذه المنشورات"(٢).

كما كانت حكومة الحسين تقوم ببعض المحاولات من أجل استغفال قوات العثمانيين وخداعهم بإجراء مسيرات دينية على جبهة العثمانيين، وقد تم إبلاغ ذلك بمعرفة وكالة القيادة الكبرى نقلاً عـن إخبارية مركز الاستخبارات العمومية(٣)، وهو السبب الذي حدا بفخري باشا إلى نشر بيان نبه فيـه الجنود على حقيقة تلك المسيرات؛ ليكونوا متيقظين لذلك(٤).

ولم تقتصر مهمة الدفاع على ما سبق ذكره، وإنما كان للأدباء في تلك الفترة دور في الدفاع عن المدينة بأقلامهم؛ إذ كتبوا منظومات عن قوة حملة الحجاز؛ مثل ما كتبه صلاح الدين بك لرفع معنويات قوة الحملة:

لا تقف حارب، اضرب، قاتل
فالعدل قرين الشدة
إن رسولنا عليه السلام
ناصر الأمة
فقر عيناً وارض تمام الرضا
لتعش أنت.. لتعش طويلاً(٥)

ومن ثَم فقد اتخذ فخري باشا كل الاستعدادات التنظيمية، سواء أكانت عسكرية أم إداريـة أم غيرها، وأسهمت جميعها في تخفيف الضغط على المدينة، وحفظ كيا ا مدةً.

---

(١) a.g.e, s391.

(٢) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s190.

(٣) Kıcıman, s198.

(٤) a.g.e, ss199- 203.

(٥) a.g.e, ss97- 98.

الفصل الثالث

انعكاسات الحصار الداخلية وسبل التغلب عليها

أولاً: ا اعة وتوقف النشاط التجاري (منع قوافل التجارة):

١- نفاد التموين والإعاشة.

٢- ارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة العملة الشرائية.

ثانياً: سبل التغلب على ا اعة

١- تقنين استهلاك المؤن "تقنين الحصص الغذائية".

٢- تحقيق الارتباط مع الخارج.

٣- تأمين الاحتياجات الرئيسة بواسطة توفير الذهب.

أ- تشييد مطار في تبوك للطائرات التي تطير في جبهة فلسطين وتأتي إلى تبوك.

ب- طلب قرض داخلي.

٤- أكل الجراد.

٥- الهجرة والتهجير.

ثالثاً: إهمال الزراعة ومحاولات النهوض ا

رابعاً: انتشار الأمراض وآثارها

١- الأوضاع الصحية في أثناء الحصار.

٢- تدابير وقائية للمرضى.

خامساً: فرار الجنود

مع استمرار الحصار المفروض حول المدينة، وتضييق الخناق عليها، بدأت انعكاساته تظهر علـى نحو جاد بمضي الوقت، خصوصاً مع استغلال حكومة الحسين كل الوسائل الممكنة، بدءاً من الإرهـاق الجسدي حتى استخدام الإشاعة والحرب النفسية(١)، وتمثلت آثار الحصار فيما يأتي:

أولاً: ا اعة وتوقف النشاط التجاري (منع قوافل التجارة)

١- نفاد التموين والإعاشة:

عملت حكومة الحسين على إضعاف المحاصرين جسدياً من خلال محاولات دف إلى منع تزويد المدينة بالمؤن وسبل العيش والمتطلبات الأساسية للحياة والصمود؛ لأن حكومة الحسين كانت قد قدرت منذ البداية أ ا لن تستطيع اقتحام القلعة حرباً، واضطرت إلى التعلق بآمال تجويع المحاصرين كالشأن في كل حصار؛ ومن ثم خططوا لقطع طرق القوافل المحملة بالمؤن إلى المدينة التي كانت تتميز قبل الحـصار بنشاطها التجاري وازدهارها الاقتصادي(٢).

وكان فخري باشا يتوقع ذلك منذ بداية الحصار؛ ففي خطابه إلى الناس قال: "ومن المحتمـل أن يقطعوا مواصلاتنا من النواحي والأطراف؛ لتعجيزنا والتضييق علينا في العيش"(٣).

وبالفعل دأبت حكومة الحسين على منع قوافل التجارة(٤)، وظهرت بوادر ذلك بإقامة قاعدة لهم بجوار بحيرة عاقول(٥)؛ لقطع الطريق أمام قوافل المؤن الآتية إلى المدينة من جهة الشرق(٦)، وتمكنـت قوات الحسين بعد إقامة تلك القاعدة من إحكام حصار المدينة من تلك الناحية؛ إذ جاء في القبلـة: "إن

(١) Kiciman, s98.

(٢) Kandemir, s37.

(٣) Kiciman, s 107.

(٤) a. g. e, s98.

(٥) عاقول: جزء من وادي الخنق عند الحبس فيه سد كبير. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٦، ص٢٩.

(٦) Kiciman, s98.

طريق الشرق لا يصل منه... أي شيء إلى المدينة"(١)؛ مثل مهاجمتهم قوافل الأرزاق الآتية من الخليج العربي(٢).

ولم يقتصر الأمر على مهاجمة القوافل من الشرق، بل إنهم تمكنوا من الإغارة على قافلة للعثمانيين آتية من الشمال وفيها سبعون جملاً محملة بالمؤن الغذائية وذخائر حربية، وغنموها بكل ما فيها قبل أن تصل إلى المدينة(٣).

وفي الوقت الذي كانت فيه حكومة الحسين تعمل على منع قوافل التجارة من الوصول إلى المدينة كانت الصحف التابعة لهم تنشر أخباراً تلقي اللوم على العثمانيين، وتتهمهم بقطع الأرزاق عن المدينة، ومن نماذج ذلك خبر جاء فيه: "كان أفراد القبائل يفدون إلى المدينة المنورة بقليل من الأرز أو الدخن أو الذرة أو غير ذلك، فانتفع الناس بما يأتيهم على أيدي البدو نوعاً ما، ولكن التورانيين الظالمين - يقصدون العثمانيين- صاروا ينكلون بكل بدوي يأتي بشيء من أسباب المعيشة فيسلبونه ما بيده ويحبسونه، بل إنهم كانوا يقتلون أمثال هؤلاء، فنفر العربان، وحرمت المدينة المنورة من كل ما كانوا يأتون به"(٤).

أما ما يتعلق بقطع السكة الحديدية فقد استمرت قوات الحسين في السعي لمنع وصولها إلى المدينة، ومن ثم منع الاستفادة مما عليها من مؤن، فدأبوا على تدمير خطوطها، ووضع ألغام في بعض النقاط(٥) لقطع خط الرجعة عليها، وقد استخدموا لتنفيذ مسعاهم ذلك ثلاثة من جواسيس بريطانيا اتجه أحدهم إلى الجنوب، والثاني إلى الشرق، والآخر إلى الشمال، وكان أولئك الثلاثة مكلفين العمل في السكة الحديدية ليلاً ونهاراً حتى يقطعوا الجزء الذي كان في يد العثمانيين فينسفون الجسور ويضعون الديناميت تحت القطارات(٦).

وتأكيداً لضمان إحكام سيطرتهم على قوافل التجارة والإمداد تسللت قوات الحسين ثانية إلى خط السكة الحديدية، ووزعت الألغام على خط السكة الحديدية قبل مرور القطار الآتي من محطة أبو النعم

---

(١) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان " س١، ع٣٨ (٢٩ صفر ١٣٣٥هـ) ص٣.

(٢) Kandemir, s51.

(٣) "حول المدينة المنورة " **القبلة**. س١، ع٣٢ (٨ صفر ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٤) "جلسة تاريخية في الديوان الهاشمي العالي. خطبة مندوب المدينة" **القبلة**. س١، ع٥٦ (الاثنين ٤ جماد الأول ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٥) Kiciman, s112.

(٦) Kandemir, s67.

إلى محطة إسطبل عنتر، وفيما كان القطار في ٢٦ ذي القعدة ١٣٣٦هـ/ ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩١٨م ماراً من الكيلو ألف ومئة وثمانين انفجرت الألغام، وانقلب القطار وعرباته(١).

وكان عدد القطارات التي كانت تنقل المؤن وغيرها قبل إغلاق الطرق خمسة عشر قطاراً، كل قطار منها يتكون من ثماني عشرة شاحنة(٢) تنقل المؤن والقمح بمقابل مادي خفض من قرشين إلى قرش على أن يتم احتساب الفرق من مخصصات الحرب(٣).

وقد أدى الإضرار بالسكة الحديدية إلى بطء سيرها، وعدم تمكن التجار من نقل شيء عليها؛ مما أثر في وصول المؤن والبضائع التجارية إلى المدينة(٤).

ثم ترتب على تدمير خطوط السكة الحديدية أن فكر العثمانيون في تعويض خطوط السكة الحديدية المدمرة بالخشب (الحطب)، إلا أن ذلك كان يتطلب جهوداً إضافية فوق طاقتهم، فلم تبق هناك طاقة على السير في القطاعات، وتضاعف ذلك الإرهاق بجمع الخشب من الجبهة لضمان وصول المؤن من الشمال(٥).

فقد كانت عربات قطارات المؤن التي تقوم بمهمة حمل الخشب إلى الشمال، وتعود بالخشب الذي تحضره من معان، تعاني مشقة وخطورة؛ إذ كان عمال القطار الذين كانوا يعملون بفدائية يخافون من أن يكون قد وضع لغم في أي نقطة من نقاط العودة إلى المدينة. وتقديراً من فخري باشا لتلك المهمة الشاقة عمل على إكرام العاملين فيها، خصوصاً السائقين(٦) الذين يأتون بالقطار سالماً(٧).

---

(١) Kiciman, s344.

(٢) a. g. e, s183.

(٣) **الأرشيف العثماني،** مجلس **الوكلاء ٢٠٣/ ٣٨.** M.V. 203/38 . محضر **مجلس الوكلاء** في **١٩ ذي القعدة ١٣٣٤هـ/ ٤ أيلول ١٣٣٢ رومي** بخصوص **تخفيض سعر نقل القمح والمؤن.**

(٤) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان " **القبلة.** س١، ع٣٨، ص٣. "أخبار المعسكرات العربية. قطع السكة الحديدية " **القبلة.** س١، ع٦٠ (١٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢. الدعيس، هاشم محمد "وذكريات....أيام مضت" **المنهل.** ع٤٩٩، مج٥٤، ص٢٧٨.

(٥) Kiciman, s183.

(٦)كان يعقوب أفندي من طابور السكة الحديدية مكلفاً بسوق آخر قطارات المؤن . راجع: Kiciman, s183.

(**٧**) **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩.** DH. KMS. 39/31- 2 . **رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية** إلى **نظارة الداخلية** في **٩ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥مايس ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف** في **التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/**

=

وإلى جانب ذلك ساهم السيل الذي حدث في تلك الفترة في إضافة حصار على حصار، فقد قطع الطريق بين نقاط الشرطة ومركز الطابور في جبهة بئر الماشي، وكان يحول دون نقل المؤن(١).

وعلى الرغم من إجراءات حكومة الحسين لتقطيع الأوصال التجارية إلا أن بعض قطارات المؤن كانت تأتي محملة بالمؤن والقمح(٢)، كما كانت تصل إلى المدينة قوافل مؤن وقطعان من الماشية ترد إلى مخافر العثمانيين في بئر الماشي وجليجلة، وكانت تلك القوافل تهرب من ترصد قوات الحسين، وتتسرب إلى القوات العسكرية للحملة، فتساهم في تخفيف حدة أزمة المؤن التي كانت فوق طاقة فخري باشا ومن معه(٣).

لكن على الرغم من وصول بعض المؤن إلا أنه بعد أن اكتمل حصار المدينة اضمحل أمل العثمانيين في وصول إمدادات أخرى، ففي ١١ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ/ ٢٤ مارس (آذار) ١٩١٨م قدم قطار بريد من الشمال، وأحضر ذلك القطار الخطابات والصحف والمأكل والملبس وكان القطار الأخير(٤)، وبذلك أغلقت الطرق، ولم تعد المؤن تأتي من الشمال، وانقطع الاتصال التجاري مع الشمال تماماً(٥).

ومن ثم أصبح التزويد التجاري للمدينة سرياً بحكم الحصار، وتم استبدال القطارات بوسائل أقل تطوراً، فقد تم شراء كميات ضخمة من الأرز بواسطة الذهب(٦)، وكان الأرز يأتي مهرباً إلى المدينة من جهتي الشرق والغرب معبأ في غرائر(٧)، وكان أرزاً عادياً(٨).

وبدأ وضع المدينة يسوء يوماً بعد يوم، وأخذت سبل تموينها تضيق، وزادت الصعوبات من جميع

---

٣٩. DH. KMS. 39/31- 2 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في **١٠ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٦مايس ١٣٣٢ بشأن دفع أموال للقبائل لحماية السكة الحديدية.** Kiciman, s183.

(١) Kiciman, s137.

(٢) a. g. e, s107.

(٣) a. g. e, s269.

(٤) a. g. e, s177.

(٥) a. g. e, s203.

(٦) سيأتي الحديث عن الذهب لاحقاً

(٧) الغرائر: بكسر الغين الكيس الكبير من الصوف أو الشعر. الطالبة

(٨)"حول المدينة المنورة " س١، ع٣٢ (٨ صفر ١٣٣٥هـ) ص٢

الجهات(١).

ومما يؤكد صعوبة الوضع المعيشي الذي كان يعانيه فخري باشا وأتباعه في المدينة ما جاء في صحيفة القبلة؛ إذ ذكرت أن قوات الحسين كانت تجد في حقائب القتلى من العثمانيين مقادير قليلة من حب الذرة الحمراء؛ إذ لم يكن لدى الواحد منهم ما يتغذى به من الطعام غير ذلك(٢). ويروي أحد سكان المدينة أن بعض الناس في المدينة لجؤوا إلى ربط البطون، كما يذكر أن بعض الشباب من أهل المدينة كانوا يسيرون داخل الدبول(٣) من دون خوف من العقارب أو الحيات، ويخرجون خارج أسوار المدينة، ويضطرون إلى سرقة ما يحمله النخل من رطب، ثم يعودون من داخل الدبول ليلاً؛ ليؤمنوا لأهلهم كفاية يومهم(٤).

ويروي آخر أنه في أيام المجاعة قام أحد سكان إفريقيا المقيمين بالمدينة بالإمساك بقط واعترضه اثنان من أهل المدينة واشترياه بثلاث جنيهات واتجها إلى أحد الجزارين الأتراك فوق كوبري المدرج لذبحه، وعند استفسارهما عن ثمن الذبح قال لهم الجزار أنه سيقوم بذبحه وسلخه في مقابل أن يشركاه معهما في أكله فذبحه وأكلوه(٥)، ووصلت معاناة السكان أن بعضهم لم يكن يجد ما يتسحر به في شهر رمضان(٦).

وكانت واقعة أكل الموتى من أجل عدم الموت من المجاعة التي ظهرت في ١٠ ربيع الآخر ١٣٣٦هـ/ ٢٣ يناير (كانون الآخر) ١٩١٨م دافعاً لفخري باشا لإصدار قرار يقنن فيه المواد الغذائية، جاء فيه:

> لقد تلقينا خبر هذه الواقعة شديدة الغرابة في الثالث والعشرين من شهر كانون الآخر، حيث قام رجل من المقيمين في الأكواخ المصنوعة من الصفيح حول المدينة بإخراج جسد سيدة حديثة العهد بالدفن وقطع ذراعيها وأجزاء من أفخاذها، ولفها في أحد الأكياس المصنوعة من الخيش، وبينما هو قادم بها إلى كوخه أمسكت به دوريات الشرطة، ونتيجة للتحقيقات التي تمت ثبت أنه ما أقدم على هذا الصنيع إلا خوفاً من الهلاك بسبب

---

(١) Kiciman, s46.

(٢) "حالة عساكر الترك حول المدينة المنورة"ع٨، س١ (١٠ ذي القعدة ١٣٣٤هـ) ص٣ .

(٣) الدبول: أو ماتسمى بالخرزة وهي عبارة عن أماكن أو نقاط تمر من خلالها المياه لتغذية عيون حارات المدينة. الطالبة.

(٤) مرشد،ج١، ص ص ١٦٦- ١٦٩.

(٥) السابق، ص ص ١٨٢- ١٨٤.

(٦) السابق، ص ص ٢٢٤- ٢٢٥.

ا اعة حتى إنه اعترف أنه طهى هذا اللحم في قدور وباعه في السوق(١).

وهذه الحادثة تبين بوضوح الحالة السيئة التي وصلت إليها الحامية العثمانية في المدينة وما حولهـا، كما توضح الوضع القاسي والصعوبات التي كانت تواجه القوة المدافعة عن المدينة.

وفي الوقت الذي ذكر فيه المعاصرون أن حكومة الحسين عملت على قطع طرق التجارة وما ترتب عليها من مجاعة كما أشير إليه سابقاً نجد صحيفة القبلة تتهم العثمانيين بأ م السبب في تلك ا اعة؛ إذ جاء فيها: إن العثمانيين "كانوا يمنعون البدو من إدخال القوت إلى أسواق المدينة المنورة، أدرك الأمـراء حينئذ أن المتغلبة يريدون أن يجوعوا جيران النبي صلى الله عليه وسلم كما جوعوا قبل ذلك أهل الـشام والعراق، وهما من أخصب بلاد الله تربة، وأكثرها خيراً وميراً"(٢). وتقول أيضاً:

إن تجويع إخواننا سكان المدينة المنورة لم يكن لضرورة عسكرية؛ لأن المظالم كانت واقعة بالفعل مـن قبـل تشديد الحصار، وأن أولئك الظالمين الذين عرفوا كيف يسفرون أعيان المدينة المنورة بقطارات السكة الحديدية إلى بلاد البلغار يعرفون أيضاً أن قطارات هذه السكة تستطيع أن تأتيهم بما يغنيهم عن اغتصاب مـؤن النـاس وأقوا م ظلماً وعدواناً... وعلى فرض احتياجهم لقمة الخبز يغتصبو ا من فم الفقير، وإردب القمح يـسلبونه من بيت الغني، فإلى متى يكفيهم ما يأخذونه من هذا الطريق المحرم. دعه يكفي جيوشهم أياماً أو أسابيع، فهل هذا ليس له آخر؟ إنه سينتهي لا محالة، وسيضطرون للخروج من هذه البقاع المقدسة التي لا يستحقون الإقامة فيها، وهم يعلمون أ م خارجون منها سواء جوعوا أهلها أو لم يجوعوهم(٣).

كما برروا موقفهم في موضع آخر، وذكروا أن خطتهم كانت قائمة على أساس التضييق علـى قوة العثمانيين من الجهة الجنوبية؛ لأن سكان المدينة منذ أنشئت السكة الحديدية لا يستوردون حاجيا م لا من جهة الجنوب ولا من جهة البحر، بل من جهة الشام بواسطة السكة الحديدية، وأن اهتمـامهم كان مركزاً في منع وصول الجمال وما يخص الأمور الحربية، كما ذكروا أ م كانوا يعلمـون بتـردد القبائل على المدينة ببعض أسباب المعيشة فلا يتعرضون لهم شفقة على الأهالي(٤).

وبعد تشديد الحصار وتجويع أهل المدينة أخذت حكومة الحسين تنشر القصائد المـؤثرة في القبلـة يصورون فيها ما يعانيه أهل المدينة من مجاعة وقلة في المؤن(٥).

---

(١) **مذكرات** جمال **باشا**، ص ص٣١٥- ٣١٦.

(٢) "شكوى الحرم المتظلم للحرم المتألم" س١، ع٥٦ (الاثنين ٤ جماد الأول ١٣٣٥هـ) ص١.

(٣) السابق.

(٤) "أخبار المعسكرات العربية. أثمان الحاجيات" **القبلة**. س١، ع٥٧ (٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٥) راجع تلك القصائد في: "جلسة تاريخية في الـديوان الهـاشمي العـالي" س١، ع٥٦ (الاثـنين ٤ جمـاد الأول ١٣٣٥هـ) ص ص١- ٢.

٢- ارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة العملة الشرائية:

وبناء على تقطيع الأوصال التجارية، وقلة تدفق المؤن إلى المدينة التي لم تعد تأتي إلا مهربة، أغلـق كثير من المحال أبوابه، "ولم يبق في السوق الكبيرة أكثر من خمسة عشر حانوتاً مفتوحاً، وخلت الشوارع من المارة تماماً، كما أن بائعي الأكل والشرب قد اختفوا تماماً"(١). كما أن بعـض التجـار بـدؤوا باحتكار المواد الغذائية في بيو م، حتى إن بعض أولئك التجار خوفاً من السرقة أو التفتيش كانوا يعطون بعض الجنود الراغبين في الشراء نقوداً في مقابل إيصال الأرزاق والمؤن إلى منازلهم لاحتكارها(٢).

وبناء عليه ارتفعت الأسعار، وأصبح الحصول على تلك المواد الغذائية ضرباً من الخيال، كما يشير إلى ذلك قاندمير قائلاً: "وبعض الأشياء التي يمكن الاستفادة منها قد غلت أثما ا بحيث أصبح الاقتراب منها مستحيلاً، وما نستطيع أن نقول: إن التمر كان صعباً، ومع ذلك كانت أثمانه تضاعفت عدة مرات عن أثمان العام الماضي"(٣). ويؤكد ذلك ما جاء في صحيفة القبلة: "وبقيت الحاجيات ارتفعت أثما ـا إلى درجة عظيمة لندر ا وعدم ورود شيء منها لما هو معلوم من الحالة السيئة في الشام فضلاً عن انقطـاع السكة الحديدية في كثير من الأحيان وبطء سيرها وعدم تمكن التجار من نقل شيء عليها"(٤). ويشير خبر القبلة إلى أن مد الحنطة بلغ ثمنه خمسة ريالات مجيدية ونصف الريال، ومد الأرز تسعة مجيـديات، ومد الشعير أربعة مجيديات، ومد التمر ثلاثة مجيديات ونصف ا يد، ومد الملح مجيديين ونصف ا يـد، ومد السكر أربعة مجيديات، أما الخضار والحطب والفحم والحشيش فإ ا معدومـة ولا يوجـد منـه شيء(٥).

ولم يقتصر ارتفاع الأسعار على المحاصرين داخل المدينة، وإنما تعداه إلى من هم خارجها؛ إذ وجد ضابط ألماني كان مشغولاً بحفر الآبار الارتوازية للعثمانيين لما عرف أنه سيذهب إلى مكان آخر يتـوافر فيه السكر رخيصاً ذهب إليه(٦).

وقد ترتب على ارتفاع الأسعار انخفاض سعر العملة الشرائية وتدهور قيمتـها؛ إذ خفـض سـعر

---

(١) a. g. e, s48.

(٢) مرشد، ج١، ص ص٢٢٤- ٢٢٥.

(٣) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s48.

(٤) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان" س١، ع٣٨ (٢٩ صفر ١٣٣٥هـ) ص٣.

(٥) "أخبار المعسكرات العربية. أثمان الحاجيات" س١، ع٥٧، ص٢.

(٦) Kandemir, s62.

الأوراق النقدية فئة الخمسة وثلاثين قرشاً إلى خمسة وعشرين قرشاً(١)، وفي موضع آخـر ذكـر أنـها خفضت إلى ثلاثة وعشرين قرشاً أو خمسة وعشرين قرشاً على الأكثر(٢).

والمرجح أن الوضع الاقتصادي السيئ وخروج بعض أهل المدينة منها وفقر بقية السكان الذين لم يهاجروا ترتب عليه قلة في النقد المتداول بين الناس، وهو الأمر الذي دفع فخري باشا إلى تخفـيض قيمة العملة لضمان سير المعاملات بين الناس؛ مما أدى إلى تفاقم المشكلة؛ لأن فخري باشـا لم يحـدد أسعار صرف تلك العملات لعدم وجود مؤسسة مالية رسمية تشرف على شؤون النقد، ونتج من ذلك إلحاق الضرر بالسكان.

إن ذلك التغيير في العملات مع غياب عملة رسمية موحدة أدى إلى حدوث فوضى في التعامل، وأثر في العمل التجاري والرسمي وصرف الرواتب؛ بسبب قلة الذهب في المدينة؛ فالراتب الـشهري المقـرر للملازم من الذهب لم يكن يغطي مقدار الذهب المتعين عليه دفعه ثمناً للأرزاق(٣)، وهذا ما يشير إليـه قيجيمان قائلاً: "من المتعذر أن تغطي العملات الذهبية الخضراوات الموجودة أساساً بكميات قليلـة في السوق"(٤)؛ فالراتب الشهري المعين بالذهب صرف ليسد الحاجة من المواد الأساسية(٥).

وجدير بالذكر أن بعضاً من المقيمين في المدينة كانوا يتقاضون مئتين ليرة راتباً شهرياً مـن التكيـة المصرية المخصصة من أوقاف الحرمين في مصر، لكن تلك المخصصات لم تعد تصرف بسبب الأوضاع الحربية. وقد ترتب على ذلك أن أولئك المقيمين أصبحوا يعيشون في حالة من الضيق؛ لأن معيـشتهم كانت محصورة في ذلك الراتب فقط، وبناءً عليه طالب فخري باشا من الحكومة العثمانية دفع ذلـك المبلغ من خزينة نظارة المالية؛ لأنه في حالة تأمينه سيعمل على إيجاد تأثير إيجابي في أولئك المقيمين أسوة بالأشخاص الذين يعيشون في إستانبول، ولا يستطيعون الانتفاع من أمولهم وأملاكهـم الموجـودة في مصر(٦).

Kiciman, s379.(١)

a. g. e, s119. (٢)

a. g. e. (٣)

Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil, s119. (٤)

a. g. e. (٥)

(٦) الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بـصري باشا إلى نظارة الداخلية في ٢٤كانون الآخر ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقـيمين في المدينـة. الأرشـيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من ناظر الأوقاف إلى نظـارة الداخلية في ٢٠ ربيع الآخر١٣٣٤هـ، ١١شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة. الأرشـيف

=

لكن السلطة العثمانية ردت على ذلك بأنه لا يوجد في ميزانية المالية بند يقضي بتسوية مئتين ليرة شهرياً لهم، إلا أنه يمكن إخطار وزارة الحربية بتسوية ذلك المبلغ من خزينتها(١).

كما وجد في المدينة كثير من الأجانب الذين أتوا من أماكن مختلفة؛ كتونس والجزائر وجاوة وغيرها، واضطروا للإقامة في المدينة بسبب الحرب، ولأنهم لم يتمكنوا من جلب أموالهم معهم من بلادهم بسبب الأحوال الحربية فقد تدنت الحالة المعيشية لهم لدرجة أن الواحد منهم قد يموت من الجوع، وفي خطوة نحو مساعدتهم وتقديم العون لهم وجد أنه من الضروري التباحث في مجلس الوكلاء في مسألة تسوية مبلغ مناسب لهم من الحكومة من وزارة المالية أو البنك الزراعي على سبيل القرض، على أن يتم استيفاء ذلك المبلغ من أملاكهم وثرواتهم بعد الحرب، على أن يكون ذلك المبلغ ثمانية آلاف ليرة شهرياً أو خمسين ألف ليرة دفعة واحدة(٢).

كما أن قلة الأوراق النقدية وعدم وجود عملات معدنية أديا إلى عدم القدرة على دفع رواتب القبائل التي كانت تدفع نظير حماية السكة الحديدية(٣) والأيتام والأرامل في المدينة، وبسبب ذلك طلب

= العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4.رسالة إلى نظارة المالية في ١٤ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة. الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4.رسالة إلى نظارة الأوقاف الهمايونية في ٣٠ كانون الآخر ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة. الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4.رسالة إلى نظارة الأوقاف الهمايونية في ٧ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.

(١) الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من وكيل ناظر المالية إلى نظارة الداخلية في ١٧ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.

(٢) الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من ناظر الحربية إلى نظارة الداخلية في ٢٠ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة. الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من نظارة الداخلية إلى السلطة العثمانية في ٢١ شباط ١٣٣١ رومي بشأن تخصيص رواتب المقيمين في المدينة. الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٢٠٠/ ١٠٢. M.V. 200/102 . محضر مجلس الوكلاء في ٣ جمادى الأولى ١٣٣٤هـ/ ٢٤ شباط ١٣٣١ رومي بخصوص تخصيص رواتب.

(٣) الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 2 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥مايس ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل.

من الحكومة التكفل بدفع تلك الرواتب(١)، ولعدم دفع الرواتب بدأ بعض أفـراد القبائـل بـالتمرد وارتكاب السرقات، ومن ذلك قيام أحد أفراد عشيرة الشلاهبة(٢) بسرقة حقائب البريد القادمـة إلى المدينة من ينبع. وقد أوضح المذكور أنه سيستمر في تجاوزاته إذا لم تدفع له الحكومة راتبـاً(٣)، وقـام أفراد من قبيلة مطير الواقعة على مسافة سبع ساعات من المدينة بالتعرض للبريد الوارد من مكة وسـرقة ثلاث حقائب ولفافتين(٤).

ثانياً: سبل التغلب على ا اعة

بناء على تلك الأوضاع اتخذ فخري باشا عدة إجراءات للتخفيف من وطأ ا تمثلت في:

١- تقنين استهلاك المؤن "تقنين الحصص الغذائية":

أدت ا اعة إلى وضع فخري باشا سلسلة من القيود في استهلاك المؤن لصعوبة توفيرها للمدينـة وما حولها؛ إذ تطلب ذلك إجراء حسابات دقيقة للمؤن المتوافرة للاستفادة منها أكبر قدر ممكن خوفـاً من النفاد(٥).

---

(١) الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بـصري باشا إلى نظارة الداخلية في ١ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة. الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بصري باشـا إلى نظـارة الداخلية في ١١ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة. الأرشـيف العثمـاني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بصري باشا إلى نظارة الداخلية في ١٧ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة. الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من نظارة الداخلية إلى نظارة الماليـة في ٢٥ شـباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة.

(٢) الشلاهبة: النسبة إليهم شليهبي، من عروة أعلى ينبع النخل من بني مالك من جهينة. راجـع: الجاسـر، ج١، ص٣٥٤.

(٣) الأرشيف العثماني، داخلية/ شيفرة ٥٩/ ٧٤. DH. SFR. 59/74 . رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة في ٩ كانون الأول ١٣٣١ رومي بشأن قطع الطريق على البريد.

(٤) الأرشيف العثماني، داخلية/ شيفرة ٦٢/ ٦٠. DH. SFR. 62/60 . رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة في ٦ مارت ١٣٣٢ رومي بشأن قطع الطريق على البريد. الأرشيف العثماني، داخليـة/ شـيفرة ٦٣/ ١٨٣. DH. SFR. 63/183 . رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة في ٢٠ نيسان ١٣٣٢ رومي بشأن قطع الطريق على البريد.

(٥) Kandemir, s48.

وبناء على ذلك فقد تأثرت حصص الإعاشة للضباط والجنود وحتى الحيوانات، فقد تقلصت يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وكانت في ٢٥ صفر ١٣٣٦هـ/ ١٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٧م[(١)] على النحو الآتي[(٢)]:

النوع	كيلو	جرام
زيت		٢
سكر	١	
أرز	٢	
برغل	١	
فول	١	

وفي أواخر ربيع الآخر ١٣٣٦هـ/ أوائل فبراير (شباط) ١٩١٨م كانت المؤن الشهرية للضباط والجنود بالقدر الذي يحفظ عليهم حيا م كالآتي:

لكل ضابط في الشهر

النوع	كيلو	جرام	النوع	كيلو	جرام
أرز	-	٥٠٠	سكر	١	
برغل	٣	-	قهوة	١	
عدس	١		شاي		
فاصوليا	١		تمر		٥٠٠
بطاطس	١		قمر الدين	١	
زيت عادي	١		سجق		٥٠٠
زيت زيتون	١				

لكل جندي في الشهر

النوع	كيلو	جرام	النوع	كيلو	جرام

(١) a. g. e, s63.

(٢) Kiciman, s188.

خبز (دقيق)		٣٥٠	لحم مقلي		
سكر		١٠	زيت زيتون		
شاي		١	بطاطس		
قمر الدين		١٠٠	ملح		

وكان يوزع على الحيوانات كيلوجراماً ونصف الكيلوجرام قمحاً يومياً(١).

وكان لفخري باشا كتيبة تسمى كتيبة جمع العشب من أجل الحيوانات، مكونة من ستين شخصاً تعرضت في ١٤ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٢٥ مايو (آيار) ١٩١٨م لهجوم من قبل قوات الحسين بجوار محطة أبو النعم، وهو الأمر الذي اضطرها إلى الانسحاب والتراجع بعد أن سقط منها ستة قتلى واثنان وعشرون جريحاً، وقد غضب فخري باشا من ذلك الهجوم، واعتبر الملازم شكري أفندي قائد الكتيبة مقصراً، فأقاله من الجندية(٢).

وكانت القوات العسكرية تضمحل يوماً بعد يوم؛ بسبب ما كان يصيبها من الجوع والإرهاق والمرض الذي كان يؤثر فيها تأثيراً كبيراً، وكانت الوجبات اليومية في أواسط جمادى الأولى ١٣٣٦هـ/ أوائل مارس (آذار) ١٩١٨م كالآتي:

الوقت	النوع	كيلو	جرام
صباحاً	خبز (دقيق)		٣٥٠
	سكر		١٠
	شاي		١
ظهراً	برغل		٨٠
	زيت زيتون		٣
مساءً	برغل		٨٥
	أرز		١٥
	ملح		٣٠

وكان يصرف كيلوجرام ونصفالكيلوجرام قمحاً للحيوانات(٣).

وبعد فترة وجيزة خفضت الحصة المستحقة من الدقيق إلى مئتين جرام، وبفارق فترة زمنية

---

(١) a. g. e, ss138-139.

(٢) **A.T.A.S.E. Arsivi, Klasor ne43, Dosya nr202, Baskumandanliktan Yildinma 19- 5- 1918 tarihli sifre.**

(٣) Kiciman, s176.

مقدارها شهر ونصف الشهر؛ أي أنه كان يخصم خمسون جراماً من حصة الخبز كل نصف شهر(١).

وبعد ذلك أصبح يصرف للضباط والجنود مئة جرام دقيق، أو ما يتحصل من ذلـك خبـزاً، وكان متوسط التعيين اليومي للجنود كالآتي:

النوع	كيلو	جرام
دقيق	-	١٠٠
تمر بدلاً من النقص في الخبز		٢٥٠
تمر عوضاً عن السكر		١٠٠
تمر عوضاً عن الطعام		٢٢٥
برغل		٨٠
لحم		٣٠
ملح		٢٠

أما الحيوانات فلم يصرف لها أي مقدار من العلف(٢).

ونلاحظ من السابق أن التمر أصبح تقريباً هو الغذاء الأساسي لقوة الحملة.

وفي رمضان ١٣٣٦هـ/ يوليو (تموز) ١٩١٨م تم وضع إحصائية توضـح مقـدار المـؤن الموجودة في المستودعات، وكانت كما يأتي(٣):

النوع	المقدار بالكيلوجرام
ملح	٩٠٠٠٠
بقسماط	٨٠٠٠٠
عنب جاف	٣٣٠٠٠
قمر الدين	٣٩٠٠٠

(١) a. g. e, s263.
(٢) a. g. e, s213.
(٣) a. g. e, s269.

أرز	٥٠٠٠٠
سكر	٦٠٠٠
زيت عادي	١٦٠٠٠
زيت زيتون	١٥٠٠٠
تمر	٣٥٠٠٠٠
ماشية	٤ رؤوس

و لم يكن في مقدور قوة الحملة توفير الاحتياجات من اللحم، وكانت تتعرض لخسائر فادحـة بفعل هجمات مباغتة، ووصلت مشكلة الخبز إلى مستوى حاد؛ ففي ٢٠ ذي القعدة ١٣٣٦هـ/ ٢٧ أغسطس (آب) ١٩١٨م نزلت مستحقات القادة والضباط والموظفين والجنود من الخبز إلى مئة جـرام، وهنا يقول فيجميان: "ترى إلى أي مدى كان سيستمر هذا التخفيض، وياله من علاج إجبـاري لمـن يشتكون من سوء الهضم"(١)، غير أنه في اليوم نفسه أُذيع البيان التالي بشأن خبز مـسموم وجـد في نواحي بواطة: "وجد نوع من الخبز دسه العصاة في نواحي بواطة، ونتيجة للكشف والمعاينة تبين أنـه خبز مسموم، وإزاء احتمال أن يكون وزع من هذا الخبز المسموم على جهات أخرى أرجـو الحيطـة واليقظة، وإجراء التنبيهات اللازمة على الجند"(٢).

وفي ٣ المحرم ١٣٣٧هـ/ ٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨م، وبموجب أمر صادر، كان مـن المقرر صرف مئة جرام بقسماط بدلاً من الخبز لثلاثة أيام في الأسبوع، على أن يبادل بالخبز المقرر صرفه في الأيام الثلاثة الأخرى. وكان لا بد من تعويض النقص في الاحتياجات التي نجمت عن منـع قـوات الحسين لقوافل المؤن، وقطع شرايين المواصلات إلى المدينة، ومرابطة قوا م على طرق الحناكية الذي أثر في توفير اللحم؛ إذ كانت قوة الحملة تتعرض لخسائر فادحة بفعل الهجمات المتكررة(٣).

وكان نصيب الرجل من المؤن من أوائل شهر أكتوبر حتى الخامس عشر منه كالآتي(٤):

اليوم	النوع	جرام
١٠	تمر	من ٤٥٠

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s339.

(٢) a. g. e.

(٣) a. g. e, s364.

(٤) a. g. e, s272.

٢	فاكهة مجففة	من ٣٥٠
١	ثوم	من ٨٠
٢	لحم	من ٢٠٠
١٥	شاي	من ١
١٥	ملح	من ١٠
١٥	خبز بالتمر	من ٢٢٥
١٥	دقيق	من ١٠٠
١٥	أرز	من ١٠٠

وبموجب أمر صادر في يوم الجمعة ١٣ صفر ١٣٣٧/ ١٨ نوفمبر (تـشرين الآخـر) ١٩١٨م تم خصم ثمانين جراماً من حصة الدقيق اليومية التي كان يتلقاها الضباط والجنود والموظفين؛ أي أن هـذه الحصة خفضت لتصبح مئة وخمسة وعشرين جراماً. وكان من المنتظر أن يصرف هذا المقـدار خبـزاً ليومين، أما في بقية الأيام فيتم صرف تسعين جراماً من البقسماط، وكانت قائمة المؤن الـتي أذيعـت لتطبق خمسة عشر يوماً كالآتي(١):

اليوم	جرام	نوع المؤمن	الإجمالي
١١	٩٠	بقسماط	٩٩٠
١٤	٨٠	دقيق	٣٢٠
١٥		تمر	٢،٩٥٠
١٥		زيت عادي	٧٣
١٥		أرز	١،١٤٥
١٥		عنب	٢٢٠
١٥		ملح	٧٥
١٥		خل	٢٤
١٥		شاي	١٥
١٥		زيتون	٤٥

ويتضح من العرض السابق النقص الحاد في الطعام المخصص للفرد الواحد؛ إذ عانى الجنود والضباط هزالة الجسد، ولم تسلم الحيوانات من نفاد الغذاء والمؤن؛ لعدم وجود المرعى واضطرارهم لاسـتجلاب

(١) a. g. e, ss382-383.

الحشيش من الشام، وفي أكثر الأحوال لا يستطيعون الحصول عليه؛ لذلك جربوا في بعض الأيام إطعام الجمال نوى التمر حتى انتهى ما عندهم منه، وصار من الأمور الاعتيادية تلف الجمال يومياً(١).

كما أصبح الضباط والجنود يعدون أنفسهم مرضى؛ لأن وجبا م أصبحت بالجرام والسعر الحراري وكأ ا قسم من الأدوية تصرف لهم يومياً من الصيدلية(٢).

وقد واصلت حكومة الحسين النشر في صحيفة القبلة بما يفيد أن ا اعة سببها ما قام به فخري باشا من تقنين الحصص الغذائية، ومما نشر الخبر الآتي:

أما المعيشة في المدينة المنورة فإ ا في حالة محزنة جداً بسبب وضع المتغلبين أيديهم على المواد الغذائية، وتحكمهم في حياة الأهالي، وتسليط ا اعة عليهم، وإن الذي يخرج من م له في المدينة المنورة لابد أن يقع نظره يومياً على أشخاص يموتون من الجوع في داخل الحرم الشريف، أو على بعض أبوابه، أو على قارعة الطريق، وإن الحكومـة أعطت أصحاب البيوت أوراقاً يسمو ا وثائق فيها عدد أفراد كل م ل وبموجبها يباع لهم مقدار قليل من الخبز الأسود، وأحياناً يتأخرون عليهم في توزيعه، فترى آلام الجوع تقرض أجسام الأطفال وأهلهم(٣).

وفي خبر آخر ركزت في أن:

من جملة ظلمهم حجز أقوات خلق الله تعالى من حيوان عاقل وغير عاقل، وصاروا يقترون عيشة الآدميين، حتى انتهى م الحال إلى أن صاروا يعطون لكل نسمة في الأربعة والعشرين ساعة ثلاثين درهماً من الخبـز، وليتـهم يعطون القدر المذكور للناس يومياً، بل تارة يوماً بعد يوم، وتارة بعد يومين أو ثلاثة أيام، حتى آل الأمر ـم إلى أن قطعوه عن الناس بالكلية، وخرجنا من المدينة المنورة وهو مقطوع، والأسواق ليس فيها شيء يؤكل إلا التمر. ولم يلبث قليلاً حتى أخذوا التمر أيضاً لعسكرهم من التجار جبراً، وبقيت المدينة المنورة بلا شيء، وأشرف الناس على الموت جوعاً(٤).

وعلى الرغم من خطط توزيع الطعام التي اتبعها فخري باشا لضمان تمتين الجبهة الداخلية إلا أن كمية الغذاء بقيت محدودة في ظل تدني دخول المؤن إلى المدينة.

وهكذا يمكن القول: إن حكومة الحسين قد أفلحت بالتحكم في أهم مقومات الحياة وهو الطعام، وذلك بإحكام قبضتهم على المعابر الممكنة لتزويد المدينة به.

وإلى جانب قلة المؤن، فإن مياه الشرب لم تكن متوافرة في كل المحطات أو في نقـاط الـشرطة،

---

(١) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان، حالـة الجـيش التركـي" **القبلـة**. س١، ع٣٩ (٢٩ ربيـع الأول ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٢) Kiciman, s 231.

(٣) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان، حالة الأهالي" س١، ع٣٨ (٢٩ صفر ١٣٣٥هـ) ص٣.

(٤) "جلسة تاريخية في الديوان الهاشمي العالي. خطبة مندوب المدينة المنورة" **القبلة**. س١، ع٥٦ (الاثـنين ٤ جمـاد الأول ١٣٣٥هـ) ص٢.

وكانوا يدبرون احتياجا م من الماء من خلال خزانات الماء التي كانت تأتي ا القطارات في أيام محددة، وكان القطار يقف أمام كل نقطة شرطة ويوزع الماء على الذين انتظروا قدومه، وفي تقارير الوقائع التي كانت ترفع إلى قيادة الحملة يومياً كان يذكر مقدار ما تبقى من الماء في خزانات تلك القوات، وذلك لتوفير هذا الاحتياج الذي يرتبط بعلاقة تناسبية مع قسوة الشمس وارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها؛ إذ كُلف أحد ضباط أركان الحرب مراقبة ذلك الأمر وتدبيره(١).

٢- تحقيق الارتباط مع الخارج:

في عام ١٣٣٦هـ/ ١٩١٧م وقبل أن تشتد وطأة الحصار وا اعة طالب فخري باشا من الحكومة العثمانية تقديم المعونة لقوة حملة الحجاز، وبالفعل صدر أمر من القيادة العليا بتاريخ ٩ المحرم ١٣٣٦هـ/ ٢٥ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٧م ورقم ٣٨٧٢ بتقديم المعونة لقوة حملة الحجاز إلا أن ذلك الأمر لم يثمر عن أي نتيجة إيجابية؛ إذ يقول أحد المعاصرين: "لم تشبع بطوننا"(٢).

لذا سعى فخري باشا إلى إعادة تحقيق الارتباط مع الخارج بعد أن أغلق خط الحصار ائياً مثلما كان الشأن من قبل، ولم يترك فخري باشا أي قائد في معان وعمان ودرعا إلا وأخبره بسوء الأوضاع المعيشية داخل المدينة، ولم يبق موضع في دمشق أو إستانبول لم يسمع باستغاثة فخري باشا وأتباعه، ويقول أحد المعاصرين: "كانت البرقيات التي أبرقها قائدنا الفاضل مؤثرة وموجعة للقلوب إلى درجة أنه على الرغم من تدني إمكانية تقديم النجدة للمدينة إلا أنه كان هناك أمل أن تمتد إليها الأيادي، وأن يهرع إلى نجد ا. وليعلم الجميع أنني كنت متأثراً غاية التأثر من كتابتي لرسائل الاستغاثة، لكن ماذا فعلت إستانبول ودمشق إزاء تلك الاستغاثات المؤلمة إلى هذا الحد؟!"(٣).

وإزاء ذلك كتبت إستانبول إلى دمشق وأمر ا بالتحقيق في المسألة، لكن ذلك الأمر لم يأت بالتأثير الذي كان يأمله فخري باشا وأتباعه(٤)؛ إذ إن ما كان يوزع من أرزاق ومؤن في جبهة الشمال يحرم منه حماة الحجاز، وتركت قوة الحملة التي لاقت الإهمال الزائد(٥).

وعلى الرغم من صعوبة الوضع في المدينة كانت مخازن المؤن في تبوك تشتمل على مؤن بكميات

---

(١) Kiciman, s269.

(٢) Kandemir, s300 .

(٣) Kiciman, ss181-182.

(٤) a. g. e.

(٥) a. g. e, s270.

وفيرة، ولم يعلم عنها فخري باشا إلا بعد أن أقام مطاراً في تبوك(١). وقد أثار ذلك حنق فخري باشـا وغضبه فكان يقول: "ماذا يعني ذلك؟ إننا نصيح قدر طاقتنا، ونقول للجهات العليا إننا نموت جوعـاً، وأنتم تطعمون الضباط من خارج خط الحصار والذين سيعودون إلى مقر القيادة الذي طلبتم منه+ فتح طريق الحجاز بسبب ما نعانيه من جوع، وليس هناك خطأ أفدح من هذا الخطأ الذي ترتكبونـه"(٢). ومع ذلك عاشت قوة حملة الحجاز على شعلة إيمان قلو م(٣).

وتعتقد الباحثة أن جمال باشا لو لم يتخل عن جيشه وي وي معتزلاً الحياة من حوله لاستطاع إعادة إصلاح السكة الحديدية وفتح طريق المدينة مهما كلف الأمر، أما مجموعة قوات الصاعقة فقد كانـت تدار من قبل أركان حرب الألمان ببرود أعصاب؛ إذ إ م كانوا ينظرون إلى جبهـة الحجـاز نظـرة استخفاف، ولا يرون أدنى داع للدفاع عنها(٤).

لقد فرض واقع الحياة الحربية على جبهتي فلسطين وسيناء فكرة الاستعانة بـالقوات الموجـودة في الحجاز، وهو ما أدى إلى الاتفاق في النهاية على سحب القوات وترك عدد قليل منها كمـا أوضـحنا سابقاً(٥). ومن ناحية أخرى فإن ما كانت تقوم به القبائل من تكثيـف الهجمـات في بدايـة سـنة ١٣٣٦هـ/ اية ١٩١٧م- بداية ١٩١٨م على السكة الحديدية قد زاد من انقطاع الـصلة في ضـوء خطط لورانس الذي الذي كان يسعى إلى تكثيف الحصار على الجنود العثمـانيين في المدينـة ومنـع مساعد م لجبهتي فلسطين وسيناء اللتين كانتا بم لة الجبهات الرئيسة.

٣- تأمين الاحتياجات الرئيسة بواسطة توفير الذهب:

كانت الحاجة ماسة إلى الذهب بمقدار كبير لتوفير الاحتياجات الضرورية لقوه الحملة، وكان مـن اللازم توفيره لدفعه للبدو نظير المواد المهربة من سيطرة قوات الحسين من الشرق والغرب إلى داخل خط الحصار. وكانت تلك المواد المهربة تتكون من ماشية وجمال وسكر وبسكويت وأقمشة وأرز(٦)؛ فقد كان البدو يجلبون الأرز المصري، ويشترون من البريطانيين من الموانئ الساحلية أرزاً مستورداً من جاوة

---

(١) سيأتي الحديث عنه لاحقاً

(٢) Kiciman, s338.

(٣) a. g. e, s270.

(٤) a. g. e, ss181- 183.

(٥) راجع ص٩٩ من الفصل الثاني.

(٦) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,ss378- 379.

إلى خط السكة الحديدية(١)، وهي مواد لم يكن في الإمكان توفيرها ما لم يكن الذهب موجـوداً(٢)؛ لأن عملية الشراء لم تكن تتم إلا بالذهب(٣)؛ لأن البدو ما كانوا يقبلون التعامل بواسـطة العمـلات الورقية أو المعدنية، وكانوا يشترطون الذهب أو العملات الذهبية لذلك(٤)، وهم حـسب أفكـارهم كانوا محقين في ذلك(٥).

ولا شك أن ذلك أغرى التجار بتهريب ما تقع عليه أيديهم من عملات فضية أو ذهبية، وإرسالها إلى خارج البلاد، بدليل قول قيجيمان: "وعلى رغم أن العملة الذهبية كانت الأكثر شيوعاً وبإمكا ـا حل الكثير من المشكلات، بصرفها أو مقايضتها ببـضائع وأطعمـة، إلا أ ـا بـدأت في الانحـسار والضمور"(٦)؛ مما فاقم من الضائقة الاقتصادية؛ إذ أدى ذلك إلى ضائقة في التعامل بين الناس.

وبسبب عدم وجود الذهب فقد اتبع فخري باشا عدة إجراءات للحصول عليه:

أ- تشييد مطار في تبوك للطائرات التي تطير في جبهة فلسطين وتأتي إلى تبوك:

رأى فخري باشا ضرورة تشييد مطار في تبوك للطائرات التي تطير في جبهة فلـسطين وتـأتي إلى تبوك، وعرض وجهة نظره تلك على الجهات المعنية، وبالفعل تمكن من إقامته، ووصل الطيارون وقوبلوا بحفاوة وأحضروا في زيار م الأولى الخطابات والصحف والذهب الذي أسدى أجلّ خدمـة لحاميـة المدينة، واستطاع جلب الذهب بواسطة الطائرات الآتية من جبهة فلسطين إلى تبوك(٧).+

إذ تمكن فخري باشا وأتباعه من الحصول على لوازمهم التي كانت تتدفق عليهم من القبائل من كل

---

(١) Kiciman, s365.

(٢) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI, nci Cilt Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,ss378- 379.

(٣) Kiciman, s365.

(٤) **الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 2 . رسالة مـن وكيـل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٥/٢١/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي علـى الـسكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل. الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٣- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 3 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٥/٢٥/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل.**

(٥) Kiciman, s365.

(٦) a. g. e, s331.

(٧) a. g. e.

الجهات، سواء كانت ماشية أو أرزاً أو غيرها في مقابل دفع الذهب إلى تلك القبائل(١). ومن القبائل التي تعاملت مع فخري باشا في تلك الفترة قبيلة بني سالم(٢) الذين شرعوا في بيع الأطعمة التي أخذوها من البريطانيين(٣). وحتى عندما يأخذ أفراد القبائل ذلك الذهب لم يكونوا يثقون به فكانوا يضعون قطعة الذهب فوق محور، ويضربون حافة تلك القطعة بقطعة أخرى ذهبية، وإذا لم يسمعوا رنين الذهب الموسيقي لم يكونوا يأخذوه ويعيدونه، وكان السبب في ذلك أ م قد خدعوا عدة مرات من قبل بقطع ذهبية إنجليزية زائفة(٤).

وعلى الرغم من أن ذلك التدبير ظل مؤثراً فترة فإنه لم يتمكن من حل المشكلة بشكل كامل؛ إذ إن الذهب لم يكن يأت بكميات تسمح لحامية المدينة بالحصول على احتياجا م الضرورية(٥)، ولم يكن في خزانة قوة الحملة الذهب الممكن تخصيصه لابتياع الأرز بدرجة تكفي لإطعام الحملة(٦).

ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن الطيارين الألمان الذين كانوا يأتون بالذهب من الشمال إلى قوة الحملة كانوا يضطلعون بتلك المهمة تطوعاً؛ إذ كانوا يأتون ا مرة واحده في الأسبوع، وقد اتخذ فخري باشا إجراءات لتشجيعهم للمجيء أكثر من مرة، لكنه لم يتمكن من ذلك(٧)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتضح أنه كان يتم أخذ كميات من الذهب من قبل الضباط الآخرين في تبوك، وقد آثار ذلك حنق فخري باشا وغضبه(٨)؛ فقد كان لحامية المدينة أكثر من أربعين ألف قطعة ذهبية لدى إدارة الإمداد والتموين لجيش الصاعقة، لكن الطيارين الألمان كانوا يتقاعسون، ولم يكن في وسع الطيارين العثمانيين حمل الذهب في الهواء، وكان فخري باشا يريد ابتياع الأرز، وتوفير الحاجة من الذهب، وسد العجز الناجم من تأخر الطيارين؛ لذا لجأ إلى خطوة أخرى وهي الاقتراض من الضباط والأفراد في قوته(٩).

---

(١) a. g. e, ss366- 367.

(٢) بني سالم: من حرب ، يسكنون وادي الصفراء وما جاوره وفي القصيم. راجع: الجاسر، ج١، ص٢٨٥.

(٣) Kandemir, s40 .

(٤) Kiciman, s365.

(٥) a. g. e, ss366- 367.

(٦) a. g. e, s366.

(٧) a. g. e, ss366- 367.

(٨) a. g. e, s338.

(٩) a. g. e, s366.

ب- طلب قرض داخلي:

لم يتمكن فخري باشا من الحصول على النقود الذهبية الكافية بواسطة المطار، فاقترح عليه قيجيمان أن يقوم بإجراء اقتراض؛ إذ يطلب من الضباط على سبيل القرض ما تبقى في حـوز م مـن الذهب الذي كان قد أعطي لهم باسم مخصصات الممالك الحارة، وبتلك الصورة تستطيع قوة الحملة أن تشتري الأرز والمؤن بتلك النقود، فقبل فخري باشا ذلك(١)، وأصدر بلاغاً في ٤ المحرم ١٣٣٧هـ ـ/ ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨م أوضح فيه حقيقة الأمر، وناشدهم باسم حامية المدينة سد العجـز الناجم عن تأخر الطيارين بعمل قرض داخلي، ووعدهم بإعادة ما تم اقتراضه منهم في حياته، وبعد مماته سيترك وصية لإعادة حقوقهم، وجاء نص هذا البلاغ كالآتي:

إلى كافة القوات العسكرية والتشكيلات

مسابقة الحمية

المدينة المنورة

٤ المحرم ١٣٣٧هـ/ ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨م

إن الطيارين الألمان الذين يأتون بذهبنا من الشمال إلى قوة حملتنا يضطلعون ذه المهمة تطوعاً، ورغم أننا اتخـذنا اللازم من الإجراءات لتشجيعهم لم نستطع أن نحملهم على الطيران أكثر من مرة واحدة فحـسب في الأسـبوع، والواقع أنه بفضل التدبير الذي اتخذ من قبل كانت الماشية والأرز وغير ذلك من لوازمنا تتدفق علينـا مـن كـل الجهات، وكنا مضطرين إلى أن ندفع لهم، وكنت أود باسم حامية المدينة سد العجز الناجم من تأخر الطيـارين، وأريد رؤية حمية الأصدقاء في هذا الصدد. ليستأمنني كل شخص ادخر مالاً يزيد عن حاجته، وهو تحت كفالتي ما دمت حياً، وإذا ما مت فسوف أترك وصية أوصي فيها الحكومة بتقدير هذه الحمية، وإعادة حقوق الفدائيين كاملة غير منقوصة.

ويحدوني أمل قوي في أن يشترك الأمراء والضباط والجنود في إظهار هذه الحميـة الدينيـة والوطنيـة، ولتستبق القوات العسكرية والتشكيلات في ذلك.

قائد قوة حملة الحجاز

فخر الدين

وكان ذلك الاقتراض اقتراضاً بلا فوائد ربوية، وكان يعتمد على الثقة فحسب في شخص فخـري باشا، حيث علق إطار على مدخل مقر القيادة وبداخله وضع جدول كان يسجل فيه وحـدات مـن قدموا القرض وأسماؤهم ومقدار المال الذي سلموه إلى خزانة الإدارة(٢).

وفي مقابل ذلك كانوا يمنحون سندات مطبوعة خاصة بذلك البلاغ قام بطباعتها فتحي بـك ووقـع

---

(١) a. g. e, s476.

(٢) a. g. e, ss366- 368.

فخري باشا على السندات المعطاة لهم مقابل تلك الأموال(١)، وبتلك الصورة كان يعلن عن مقدار ما أقرضه كل شخص لبث روح المنافسة بينهم(٢).

وفي الوقت الذي كان بعضهم يقرض الذهب الذي لديه بأكمله كان هناك آخرون يقدمون مقداراً قليلاً منه خشية أن يسألوا عن مصدره، ومع ذلك اضطر المدخرون للمال الانتظار فترة، وكان الجنود بصفة خاصة يأتون مسرعين لتقديم أموالهم، وكان هناك فدائي يسمى محمد كان من أهالي إفريقيا الوسطى الذين لجؤوا إلى المدينة فارين من مقر علي بن الحسين، كان لديه تسع قطع ذهبية إنجليزية وخمس عثمانية وسبع عشرة قطعة مجيدية، فسلمها وهو في غاية السرور؛ لأنه دفع المال لشراء الأرز الذي سوف يشترى من أجل حامية المدينة، ولقد أحس بفيض من الحمية الدينية من ذلك(٣).

وفي إطار اقتراض الذهب أرسل فخري باشا وفداً إلى حسين بن مبيريك الذي حقق المركز الأول في مسابقة الحمية بإرساله مباشرة خمسة آلاف قطعة ذهبية عثمانية، وقد أرسل تلك الأموال مع عبد له وهجان، وفي النهاية فإنه لقاء المبلغ الذي أرسله ابن مبيريك أرسل إليه فخري باشا سندات مطبوعة ومختومة بختم الإدارة الرئيسة لقوة الحملة وقيادا(٤)، كما وصل قطار كان يحمل أربعين ألف كيلو جرام من الأرز تم شراؤها بالذهب الذي حصل عليه من القرض الداخلي ومسابقة الحمية والودائع المقدسة(٥).

وكان لا بد من إعادة الذهب الذي جمع كقرض داخلي إلى أصحابه بمجرد وصول الذهب الآتي بالطائرة إلى المدينة(٦).

وعلى الرغم من أن ذلك القرض كان اختيارياً إلا أنه لم يكن هناك شخص لم يساهم فيه.

وفضلاً عن ذلك كان فخري باشا قد فكر في الاستفادة من ربع الشمعدانات والسلاسل الفضية التي بقيت تحت أمر الخزانة النبوية في الحرم الشريف منذ زمن بعيد، والتي كانت بمثابة كنز خفي لم يستغلّ بعد. وكانت هذه الأشياء قد أرسلت من قبل الملوك وفاعلي الخير؛ إذ يتم تقييمها بالذهب لتوفير

---

(١) a. g. e, s476.

(٢) a. g. e, ss366- 368.

(٣) a. g. e

(٤) H. V. F. Winstone (Editor). **The Diaries Of Parker Pasha**.London, Quartet Books, 1983, p132. معلومة مستقاة من عبدالله الغانمي في يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ/ ٢٩ يناير ٢٠١٠م.

(٥) Kiciman, s379.

(٦) a. g. e, ss366- 368.

ثمن مؤن الحامية ا، وبعد أن وز ا الصاغة بدقة وتم تخمين قيمتها قسمت إلى صـ فوف ومنحـ ت إلى الجنود والضباط(١).

النوع	الوزن	قرش
سلسلتان من سلاسل قناديل الحجرة النبوية	٢٠ جراماً	١٠٠ قطعة ذهبية
رأس سلسلة ذات طغراء	٢٠ جراماً	١٠٠ قرش مجيدي

ومن ثم فإن عشرين جراماً من الفضة كانت تعادل ليرة ذهبية، وبتلك الصورة كان يـ تم إهـ داء التبريكات، وكانت ترسل إلى كل وحدة عسكرية بمعرفة موظفين خصوصيين(٢).

وأخذت حكومة الحسين تنشر من خلال صحيفتها القبلة أخباراً بأن العثمانيين سرقوا مجـ وهرات الحجرة النبوية، وأخذوا الأموال الموجودة معها في الخزينة النبوية، كما ذكرت أن قيمة تلك الأمـ وال بلغت ثلاثة عشر مليون قرش(٣).

وقد خصص فخري باشا ما استطاع الحصول عليه من أموال بالطرق والوسائل شتى لشراء المـ ؤن و ريبها إلى داخل المدينة المحاصرة؛ رغبةً في تمديد فترة الدفاع عن المدينة لأطول فترة ممكنة(٤).

وقد أعيد الذهب المقترض إلى أصحابه في ٢ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٥ يناير (كـ انون الآخـ ر) ١٩١٩م؛ إذ أصدر فخري باشا أمراً أعلن فيه أنه لم يعد هناك من حاجة إلى القطع الذهبية التي جمعت لشراء المؤن، وأنه سوف يعيد الذهب الذي جمع من الضباط والجنود كقرض وتبرعات الحرم الـ شريف إلى أصحا ا، وأن ذلك سيرسل إلى الحرم الشريف، وكلف هيئة مشتركة من إدارة الم ل وعبد الرحمن بك مدير شعبة المحاكم من أجل إعادة القطع الذهبية التي تم اقتراضـ ها مـ ن الـ ضباط والجنـ ود إلى أصحا ا(٥).

٤- أكل الجراد:

عندما رأى فخري باشا الأمراض تفتك بجنوده وضباطه بسبب قلة الغذاء بدأ يفكر في وسيلة لتوفير

---

(١) a. g. e.

(٢) a. g. e, ss366- 369.

(٣) "مجوهرات الحجرة النبوية وأموال خزينتها" س١، ع٤٩ (٨ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢. "حـ ول المنـ شور الهاشمي الشريف" س١، ع٥٨ (١١ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٤) Kiciman, ss366- 369.

(٥) a. g. e, s437.

السعرات الحرارية الناقصة في غذائهم، وسد حاجتهم من اللحم، فوجد في الجراد منقذاً، فأمر الأطباء بفحص الجراد وتحليله، وبعد تحاليلهم وبحوثهم وتدقيقا م أثنوا عليه ثناء عظيماً، وعجزوا عن تعداد خصائصه الغذائية والشفائية، فأصدر بلاغاً في ٢٧ شعبان ١٣٣٦هـ/ ٧ يونيو (حزيران) ١٩١٨م أوضح فيه أن لحم الجراد هو الغذاء الأساسي لقبائل الحجاز وعسير واليمن وإفريقيا، وهو غذاء صحي، وفيه من الخصائص العلاجية ما يكفي للقضاء على أمراض الضعف والهزال والبواسير وانحلال الركبتين، وأوضح ذلك قائلاً: "إنه مثل الإكسير للروماتيزم، وخصائصه العلاجية تتركز في بيضه، وتصادف أن كنا ندفنه في الحفر ونصب عليه الجص"(١). ويذكر فيجيمان أن بلاغ فخري باشا تضمن إشارة إلى أن الجراد:

يشكل غذاءً منقطع النظير للبدو في أوقات الغزوات، وحدث أن استولينا على جواليق من مسحوق الجراد هذا في بعض المعارك، ولكننا سكبناه وأضعناه؛ لأننا لم نكن نعرف قيمته... ولقد تم التحقق من خواصه الطبية في التجارب التي أوصيت بإجرائها بدقة وباهتمام...والحاصل انه بالأمس كنا نفكر في وسيلة لطرد الجراد من الحدائق والقضاء عليه، أما اليوم فنبحث عن وسيلة لجلبه، وأرجو من زملائي أن يرسلوا إليّ الجراد على سبيل الهدية، ويستفيدون منه بالوجه الذي شرحته(٢).

ويؤكد فخري باشا في نص آخر وزع على أتباعه أن الجراد إذا كان يضر بالمزروعات فإن "كثيراً من الطيور والحيوانات تتلف محاصيلنا، ومن ثم كل هذا العداء للجراد أهو بسبب المضار التي يلحقها بصحتنا. إن الجراد غذاء ودواء في آن واحد، وعلينا أن نستفيد منه كذلك مثلما نستفيد من لحوم الصيد، ولقد ثبت عمليا أنه أكثر فائدة من معظم الخضراوات التي نأكلها"(٣).

وكانت وجبة الجراد تعد بأربعة صور على النحو الآتي:

١. ينشر الجراد ا موع تحت الشمس مثل نوع من الأسماك، ويترك عدة أيام حتى يجف، وتقطع أرجله ورأسه ثم يقلى جسمه بقليل من السمن ويؤكل.
٢. يسلق في ماء حار، وينظف رأسه وأرجله، ثم يخلط بالأرز الذي على وشك الاستواء ويطبخ.
٣. يوضع الجراد المسلوق على طبق، ويضاف إليه الزيت والليمون.
٤. يوضع الجراد الجاف في الهاون، ويسحق حتى يسير مثل المسحوق، ثم يحفظ مثل مسحوق اللحم في العلب، وهذا النوع المقبول لدى العرب كان متاحاً على نحو دائم يستفاد منه لإشباع الجوع.

وفي إطار التشجيع على أكل الجراد قام فخري باشا نفسه بأكله كي يجعل من نفسه نموذجاً

---

(١) a. g. e, ss209- 212.

(٢) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, ss209- 212.

(٣) a. g. e.

لأتباعه، وكان يعبر لهم عن استمتاعه بلذة الجراد[١]، ومن شدة اهتمامه بصحة أتباعه فقد كان ينظـر إلى طبق كل ضابط وكأنه يراقبه؛ ليتأكد من تناولهم له، وكلما نقص طبق ضابط زاد عليه حتى يفيضه، بل إنه كان يأخذ من طبقه ليضع في بعض الأطباق الناقصة[٢].

٥- الهجرة والتهجير:

مع مرور الوقت، واشتداد الحصار، وشح المواد الغذائية، وارتفاع الأسعار، وتفشي الأمـراض، عاشت المدينة سنوات شديدة من القسوة، وهنا لم يكن أمام أهلها إلا خياران، هما: القبـول بـذلك الوضع، أو الهجرة خارجها.

وكان للخيار الآخر قبول أوسع، فبدأ أهل المدينة بالخروج منها مع مطلع سـنة ١٣٣٥هـ ـ/ أواخر ١٩١٦م عندما تأكد حصارها من قبل قوات الحسين[٣]، وأدرك بعض أهالي المدينـة وأسـرها خطورة الحياة فيها بعد أن تحولت إلى ثكنة عسكرية فقرروا مغادر ا[٤].

وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين: "بدأ أهل المدينة يخرجون منها عن طريق الجرف والعـوالي وقباء، ولم يكن جنود فخري باشا يمنعون العائلات الراحلة من الخروج ما داموا لا يحملون أحمالاً مـن المواد الغذائية"[٥].

وكانت وجهة أكثرهم نحو الشام؛ فقد استقر بعضهم في حمص في قرية تسمى تل الكلخ، وهاجر آخرون إلى تركيا ومكة وتبوك وينبع والأردن ولبنان[٦].

ومن الأسر التي هاجرت من المدينة اختيارياً عباس رضوان متجهة إلى مصر، وبيت أبو خضير إلى جدة، وعمر طه إلى جدة، وممن سافر إلى ينبع: محمد حسين زيدان، وبيت أبـو طربـوش، وإبـراهيم حسوبة، وعبد الغني مشرف، وإلى مكة رحل بيت الشربيني، وعبدالقدوس الأنصاري، وبيت آل طاهر،

---

(١) (يقول قيجميان، ص٢١٢): "ولكنني انتبهت إليه – يقصد فخري – جيداً فوجدت أنه برغم البـشاشة الـتي علت وجهه والابتسامات التي ارتسمت في عينيه، كان يبتلع مقلي الجراد بصعوبة ودعوت الله ألا يتبقى شيء قط في الطبق ريثما يأتي الدور علي، لكن الله لم يتقبل. ولم يكن من الممكن ألا أكل من لحم الجراد اللطيف"

(٢).Kandemir, ss 65-66

(٣) الحربي، فايز موسى. **فخري باشا وحصار المدينة.. قراءة جديدة.** ورقة في ثلوثية رشيد البيضاني، جدة، مساء الثلاثاء ٢٣ المحرم ١٤٣٠هـ/ ٢٠ يناير ٢٠٠٩م، ق٤.

(٤) مرشد، ج٢، ص٧٧.

(٥) بدر، ص٥٧.

(٦) وهيم، ص٥٦. مرشد، ج٥، ص٦٥.

والسيد أحمد صقر، وبيت شكري، وأسرة الصفرجي(١).

وبعد أن تفاقمت الأمور وازدادت الأوضاع الداخلية سوءاً لجأ فخري باشا إلى ضرورة تنبيه الناس لخطورة الوضع، وأنه يجب ألا يبقى في المدينة إلا من يعينهم على مواجهة الحصار، أما البقية فيجب أن يرحلوا عنها لسوء الأوضاع، فأصدر بياناً موجهاً إلى أهل المدينة في ٢١ شعبان ١٣٣٥هـ/ ١٢ يونيو ١٩١٧م جاء فيه:

أيها الناس، إن هؤلاء المتمردين قد تورطوا في عدد من الأعمال الخسيسة في هذه الحرب العالمية؛ تملقاً للإنجليز، ومثلما حلقت طائرة تحمل العلم الإنجليزي ذات مرة فوق المسجد النبوي فإن هؤلاء المتمردين لن يتورعوا عن نقب أسوار المدينة يوماً ما، وإطلاق مدافعهم تجاه قبر المصطفى، ومن المحتمل أن يقطعوا مواصلاتنا من النواحي والأطراف؛ لتعجيزنا والتضييق علينا في العيش، ومن ثم وللحيلولة بين المتمردين وتحقيق أهدافهم والدفاع عن المدينة بعون الله وعنايته اضطررت -مع الأسف- لأن أتقدم بالاقتراح الآتي:

إن الذين يعملون معنا ويشاركونا مصيرنا برضائهم يستطيعون البقاء في المدينة، شريطة ألا يطالبوني بالمؤن مدة عام، وغير هؤلاء ينبغي أن يرحلوا عن المدينة إلى حيث شاؤوا إلى موعد غايته شهر إبريل؛ حتى لا يتعرضوا لعواقب ملحمة كبرى محتملة الوقوع بسبب الحرب أو القحط على السواء(٢).

وجدير بالذكر أن المنتشر لدى العامة في الحجاز اتهام فخري باشا بتهجير أهل المدينة قسراً، ومن دون أسباب، وتشتيت العائلات، وجعل ذلك من المآخذ الكبيرة عليه؛ إذ تذكر القبلة أنهم:

أمروا الناس بأن يسافروا من المدينة المنورة، ويهاجروا من الديار الاسلامية إلى الديار الأجنبية... فأخرجوا الناس من المدينة المنورة جبراً، ودمائهم سائلة، وقلوبهم متفطرة، ولم يخلص منهم لا فاضل ولا مفضول، ولا عالم ولا جاهل، ولا صغير ولا كبير، ولا ذكر ولا أنثى، غير مبالين بحرمات الله، وكانت حالة المنفيين عن جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة سيئة، لا يعلم فظاعتها إلا الله تعالى. لقد كانوا يأخذون بعض أهل العلم من حلقات دروسهم في المسجد النبوي، وحملوا الناس على ترك الجمعات والجماعات، وما زالوا يأخذون الناس إلى محطة السكة الحديدية قبضاً من الأسواق، وأخذوا من بيوتهم في جوف الليل وهم نيام من غير مهلة ولا تمييز بين صاحب حرث أو نخيل أو دكان... وسواء كان مجاوراً من الأهالي وغنياً وفقيراً حتى انزعج الناس وانزووا، وهجرت المساجد(٣).

بل إن القبلة تعد سبب إغلاق المحلات التجارية وانقطاع المؤن من الأسواق والمجاعة هو التهجير الإجباري، فتقول: "عطلت الدروس العلمية، ووقفت الأشغال، وأقفلت الدكاكين، وانقطعت الخضر من الأسواق، وصار الناس من كرب عظيم لا يعلمه إلا الله تعالى، بل إن الناس ذاقوا الجوع والعدم

---

(١) مرشد، ج٥، ص٦٧.

(٢) الحربي، ق٤.

(٣) "جلسة تاريخية في الديوان الهاشمي العالي. خطبة مندوب المدينة المنورة" س١، ع٥٦، ص٢.

وكل مصيبة، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى"(١).

ويقول مرشد: إن فخري باشا "أمر جنوده بالقبض على كل من يخرج، وجهز فخري لهذه المهمة ٢٠٠٠ جندي... وبدأ الترحيل؛ فالمرأة التي تخرج للبحث عن ولدها أو زوجها ترحل، والطفل الذي خرج ليبحث عن أمه أو أبيه يرحل، والرجل يرحل، والشيخ يرحل"(٢).

كما شارك الشعراء بأقلامهم واتهموا فخري باشا بالتهجير القسري، ومن الأشعار التي قيلت في التهجير ما قاله أحد أبناء البادية:

يالله أسألك القبول لأهل المدينة العالية
فخري يسفر في الضعوف خلى المنازل خالية(٣)

وقصيدة للشاعر شكري البغدادي يصف فيها حال المدينة وأعمال فخري باشا:

بشرى فقد أعطى الأقواس باريها وأسكن الدار بالأمان بانيها
وخائن الدين ولى خائفاً وجلاً وحل في بلدة المختار حاميها
الناس أخرجها والدور هدمها والخلق غادرها تشكو لباريها
قد جوع الجند من بخل ومن حمق ويظهر الفقر والأرزاق يخفيها(٤)

ويصف محمد العمري المدرس بالمسجد النبوي حال المدينة خلال الترحيل قائلاً:

دار الهدى خف منك الأهل والوطن واستفرغت جهدها من ربعك المحن
عفا المصلي إلى سلع إلى جشم والحرتان ومرأى أرضها الحسن(٥)

وهنا لابد لنا من التوضيح أن سبب المجاعة وإغلاق المحلات التجارية وما ترتب عليه من تهجير إجباري هو الحصار الذي فرضه الحسين؛ فإذا وضعنا مسألة التهجير تحت المجهر نجد أن فخري باشا أراد حماية أهل المدينة بذلك التهجير والتخفيف من وطأة الحصار. حقيقةً أن التهجير كانت له آثار سلبية لكن ما قام به فخري في تلك الفترة كان لغرض واحد، هو حمايتهم من المجاعة التي فرضها الحسين؛ بمعنى أن حكومة الحسين كانت لها اليد الطولى في دفع فخري باشا إلى مثل ذلك الإجراء.

ويؤكد ذلك ما ذكره أحد الباحثين؛ إذ يقول: "فلولا هذا الترحيل لكانت المصيبة أعظم

---

(١) السابق.
(٢) **طيبة وذكريات الأحبة**، ج٥، ص٦٦.
(٣) السابق، ص ٦٨.
(٤) السابق، ص ص ٦٩- ٧٠.
(٥) السابق، ص ٧٠.

وأعظم"(١).

بل إن مرشد -مع تحامله الواضح على فخري باشا- يقول: "ووصلت الأخبار إلى فخري بذلك فكان تفكيره الأولي هو إنذار أهل المدينة بالرحيل عنها سلمياً؛ ليتمكن من مواجهة قوات الـشريف، ومن أجل ألا يتعرض أهل المدينة لأخطار الحرب والحصار أصدر فخري باشا إعلاناً لأهل المدينة بتركها لحين انتهاء المواجهة مع قوات الشريف"(٢).

ويوضح باحث آخر الأسباب التي دفعت فخري باشا إلى جير أهل المدينة، وهو ما شعر به من عدم كفاية المؤن لإطعام الأهالي، ومن ثم اتفق مع الحكومة العثمانية على توفير عمل لهم خارج المدينة. ومما يؤكد هجر م بسبب الأوضاع السيئة أ م بسبب قلة النقود كـانوا يبيعـون بيـو م وهـم في الشام"(٣). ويشير عمران محيي الدين بن عبد الرحيم الحسيني أن والده اضطر إلى بيع م له في المدينة في السحيمي وهو في الشام إلى عبدالحكيم الشامي بسبعمئة جنيه تسلم ثلاثمئة منها في الشام، وما تبقـى وعد بأن يدفعها المشتري في المدينة(٤).

واضطر فخري باشا إلى أن يهجر بعض أهل المدينة عن طريق السكة الحديدية إلى الشام وتركيا وغيرهما، وكان القطار الذي يهجرهم فيه فخري باشا يأتي من باب العنبرية، ويمـر خلـف مـسجد الغمامة(٥) وسوق الطباخة وسوق الحراج، ويقف أمام مبنى الخالدية "مركز الشرطة"(٦)؛ إذ رحل كل من ليس منه فائدة، وأبقى من له فائدة، فأبقى شخصاً يسمى حسن محمد بن أحمد سلكاوي، وهو أحد تجار الحبوب والتمور ؛ لأنه كان أحد المتعهدين الذين التزموا بتأمين الأغذية للجنود؛ إذ كـان يمـون الثكنات العسكرية العثمانية بالأغذية. وشدد فخري عليه وعلى غيره من المتعهدين المراقبـة، وألـزمهم بالاستمرار في مهمتهم بتأمين الحبوب والتمور؛ فقد كان فخري باشا حريصاً على تأمين الراحة لجنوده؛ إذ كان حسن يصنع شوابير من الدقيق كغذاء للجنود، وتسمى (القميطة)، ومارس ذلك العمل فتـرة الحصار(٧). كما أبقى شخصين يدعيان الكو وفران رفضا السفر، فأمرهما بالعمل بالبقيع لدفن من يتوفى من الجنود مقابل قرصين من العيش والتمر بعد مغرب كل يوم، فكانا يدفنان الجنود من دون غـسل أو

(١) وهيم، ص٥٦.
(٢) **طيبة وذكريات الأحبة**، ج٥ ، ص٦٢.
(٣) الحربي، ق٤.
(٤) السابق.
(٥) انظر خريطة رقم (٢)
(٦) مرشد، ج١، ص١٨٤.
(٧) مرشد، ج٢، ص٩٩.

كفن[١].

ورفض بعض السكان الهجرة؛ لأن التي جاؤوا منها كانت تعاني من الحروب[٢]، كما بقيت بعض العوائل التي نجت من الترحيل الجماعي؛ مثل: آل مصطفى صيرفي، وعثمان حلمي، والعيتاني، وإبراهيم خياري، وألفا هاشم، وحسين بن يحيى عقبي، وجعفر فقيه، وبركات أنصاري، وإبراهيم جراح، والحلواني، والمدني، والبرزنجي، وذياب ناصر، والخريجي، وبعض النساء من أهل المدينة[٣].

ومن تلك العوائل أيضاً حسن السلكاوي، وإبراهيم كعكي، وألفا هاشم الذي تقدم إلى فخري باشا بطلب لإبقائه في المدينة مع جماعته التكارنة الأفارقة، ووافق فخري باشا على أن يلتحق القادر منهم بالمدافعين عن المدينة[٤].

أما العوائل التي رحلت جبراً إلى تركيا والشام والأردن فكان منها البيوتات والأسر الآتية: عبدالحميد عنبر، وعلي بن حسين غزي، وعبدالحق نقشبندي، وعمران وأخوه أسعد الحسيني، والسيد محمود أحمد، والطرابيشي، والإسكندراني، والحواله، وسليمان مراد، وجعفر الكتاني، وجنيد (جنيد بن فيض)، وعبدالله جمل الليل، وهاشم خليفة، وإسماعيل حفظي، والسيد إدريس هاشم، والشيخ محمد الحبيب الجداوي الوهيبي[٥]، ومحمد سعيد مدرس، وأحمد عبدالله ثروت، والطوله[٦]، ويعقوب عفيفي، وأبو عوف، وعبدالستار عاشور[٧].

وفر بعض سكان المدينة في أثناء التهجير إلى الجرف[٨] باتجاه الغرب مروراً بمنطقة تسمى الجرسية حتى يصلوا إلى قوات الحسين في الفريش[٩]. وهناك من تحصن في بيته أو داخل الأحواش التي كانت

---

(١) السابق، ج١، ص ص١٨٢- ١٨٤.

(٢) **الأرشيف العثماني**، مجلس الوكلاء **٥٦/ ٢٠٢. M.V. 202/56** . **محضر** مجلس **الوكلاء** في **٣** جمادى **الأولى ١٣٣٤هـ/ ٢٤ شباط ١٣٣١ رومي** بخصوص **من بقي** في **المدينة**.

(٣) مرشد، ج٥، ص ٦٦.

(٤) السابق.

(٥) السابق، ص ص ٦٦- ٦٧.

(٦) السابق، ص ٦٧.

(٧) السابق، ص ص٦٦- ٦٧.

(٨) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج٢، ص ص١٤٠- ١٤١.

(٩) السابق، ج١، ص١٧٦.

تتميز بقفل أبوا ا المتينة(١).

ولم يبق بالمدينة بعد التهجير سوى مئة وأربعين شخصاً تقريباً(٢)، يقول عزيـز ضـياء: كـان اللصوص بعد خروج العثمانيين يقومون بسرقة ما كان في البيوت من أثاث ومقتنيات(٣).

ثالثاً: إهمال الزراعة ومحاولات النهوض ا:

أُهملت الزراعة في أثناء فترة الحصار؛ نظراً لسوء الأوضاع الأمنية والسياسية التي ترتب عليهـا قلـة الموارد اللازمة، ومن ثم انحدار إنتاجية المزارع؛ إذ تذكر القبلة أن كل البساتين التي كانت حول المدينـة خربت، ويبست أشجارها ومزارعها بسبب المعارك، فحرم الأهالي من أكل الخضراوات والفواكه(٤).

ونتيجة للحصار، وعدم دخول التموين إلى المدينة كسابق عهده، فإن التوجه الطبيعي كان تشجيع السكان على الزراعة؛ فقد أدرك فخري باشا نتيجة الكساد الاقتصادي الناتج من الحصار الذي أدى إلى تفاقم العجز الغذائي، والذي تسبب في قلة ما يحصل عليه الفرد من الغذاء المنوع والمناسب(٥)، وأدرك أن المخرج من الأزمة بالتشجيع على الزراعة، ومن ثم يجب التنبه لها والعناية ا؛ لذا سعى إلى مساعدة المزارعين على زيادة إنتاجيتهم، ليس فقط للمنافع الاقتصادية البديهية، وإنما للتأثيرات الاجتماعية الـتي ستنتج من الزراعة في تلك الفترة الحرجة، فأعلن أنه على استعداد لإيجار البساتين بأجرة رخيصة جـداً لمن لديه الرغبة في زراعتها، وأنه سيسقط عن المستأجرين الأموال الأميرية أربع سـنوات، ويعطـيهم البذور النباتية اللازمة(٦). ومع ذلك لم يتجرأ أحد من الأهالي على استئجار شيء منها، وقد بـررت صحيفة القبلة ذلك بقولها: "إ م كانوا في حالة من اليأس والخوف لاعتقادهم أن الحكومة ستغتـصب ثمرات أتعا م كما تفعل مع التجار، وكما تفعل في بساتين الشام، وكما فعلت بالعوالي"(٧).

---

(١) السابق، ج٥، ص ٧٢.

(٢) السابق، ص ٧٢.

(٣) ضياء، عزيز. **حياتي مع الجوع والحب والحرب**. ط١. جدة: دار البلاد، ج١، ص٢٦٣.

(٤) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان، حالة الجيش التركي" س١، ع٣٩، ص٢.

(٥) Kıcıman, s307.

(٦) "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان، حالة الجيش التركي" **القبلة**. س١، ع٣٩، ص٢.

(٧) السابق.

وللعناية بهذا الموضوع على نحو منظم خصص فخري باشا سرية سميت سرية الزراعة(١)، كانت موزعة على المأموريات الزراعية لقباء وقربان والعوالي وجمجوم وبركة وعيون وعين موسى والطيارية والسكرانية، وأسند قيادة كل قسم منها إلى ضابط، وكانت تلك المناطق قوامها مزارع النخيل والبساتين الواسعة المحيطة بالمدينة(٢).

وكانت مهمة السرية تنقسم إلى قسمين، أحدهما تنظيم المشاتل من أجل توفير الحاجة من الخضراوات، وكانوا يسمون كل واحد منها (حيف)، والحيف هو البستان الذي يروى من مصدر ماء واحد، وهي بساتين قباء وقربان والعوالي والداودية وبركة والطيارية والسكرانية والزهرة والحنبية وعين موسى. أما القسم الآخر، فيتمثل في استغلال المناطق القابلة لزراعة الحبوب، وهي حقول قربان والعوالي وبركة والمدافعية والجرابية والعباسية والزهرية والحيدرية والصديقية والمقبولية(٣).

وفي الوقت نفسه، كانت هناك أراض شديدة الخصوبة بين البساتين ومزارع النخيل كان في الإمكان زراعتها بالنخيل والشعير، وكان كل ضابط وكل جندي يعلم أنه قد تم تخصيص آلاف الكيلوجرامات من بذور القمح والشعير لبذرها في الأرض، لكن على الرغم مما كانت تعانيه الحامية من أزمات في الأرزاق والمؤن لم يتعرضوا لها(٤)، ويوضح قيجيمان ما كانت تفعله الحامية في تلك الفترة قائلاً: "وقد اهتمت كثيراً بالزراعة حتى يشغل الناس بها، وإن كانت الأراضي الصالحة قليلة جداً في المدينة، وقد لجأت إلى تدابير مثل جمع حبات القمح والشعير التي وقعت في المعسكرات والمحطات ونوى التمر الملقاه على الأرض حبة حبة من قبل أفراد الجيش، وجمع بعض الأعشاب التي نبتت في الحقول بين الحجارة من بعد أداء صلاة الفجر حتى المساء، كانوا ينتزعونها انتزاعاً"(٥)، ويقول في موضع آخر: "وقد تم تعبئة كل أهالي قاسم حتى الأطفال في سن الثانية عشرة والعاملين في خدمة البساتين"(٦).

وكان علي وعبدالله ابنا الحسين يعلمان تلك الحقيقة، وكان الجميع يعلمون أنه لو تم بذر القمح والشعير في الخريف فإن ذلك يتطلب الانتظار ريثما يحل موسم الحصاد في شهر مارس أو إبريل من العام المقبل، أي أن أرزاق الحامية ومؤنها كانت كافية حتى ذلك الوقت، ولو كان هناك أدنى شك في عدم

---

(١) Kıcıman, ss308- 311.

(٢) a. g. e, ss307- 308.

(٣) a. g. e, ss308- 311.

(٤) a. g. e, ss307- 308.

(**٥**) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s63.

(٦) a. g. e , s163.

كفايتها لظهر جلياً أنه ليس في الإمكان تخصيص ذلك الكم الهائل من الحبوب كبذور(١).

ونستخلص من ذلك أن القلعة استطاعت توفير وسيلة إعاشة من شأنها تحقيق الاكتفاء الذاتي من الداخل، واقتنعت قوة الحملة الموجودة بعيداً عن الوطن الأم أنها ستعيش معتمدة على نفسها، وبقدر ما كان ذلك الأمر ساراً بالنسبة إلى العثمانيين في المدينة كان في الوقت نفسه مسبباً للضيق والأسف بالنسبة إلى حكومة الحسين(٢).

وفي إطار التشجيع على الزراعة اهتم فخري باشا بالحفاظ على الأشجار من الجفاف؛ لأنه لا توجد أي طائفة لا تستفيد من النخيل؛ إذ يصنعون الحبال من أليافها، والسلال من فروعها، ويأكلون ثمارها، ويطعمون حيواناتهم نواها، إضافة إلى ذلك يخرجون لب أفرع النخيل الأخضر ويأكلونه ويسمونه (جمار)، وكان طعمه غير جيد. ولأن قطع الجريد يسبب جفاف الأشجار أخطر الذين يقدمون على ذلك من أجل أكل الجمار أنهم سوف يحكم عليهم بالإعدام؛ وذلك لمكافحة تيبس الأشجار(٣).

وعلى الرغم من جهود فخري باشا في هذا الجانب فإن الزراعة لم تنشط ولم تتحول إلى مصدر تمويل لغذاء السكان لعدة أسباب كانت وراء إهمال الزراعة وتدني الاهتمام بها(٤)، منها صعوبة إقناع الجنود بمثل تلك الحلول؛ إذ يقول فاندمير: "حدث اهتمام كبير بالزراعة... ولكن إشباع جيش بمثل هذه الحيل يعد أمراً مستحيلاً"(٥)، إضافةً إلى أسباب أخرى تمثلت في الري والجراد والبرد وما يصاحبه من ثلج.

ففيما يتعلق بمشكلة الري فعلى الرغم من أن تلك البيئة كانت على درجة عالية من الخصوبة، إلا أنه كان من اللازم ري الحقول يومياً لإنقاذها من شدة حرارة الشمس، لكن كان هناك شح في المياه(٦). وفي ذلك يقول فيجيمان: "الواقع أنه لو كانت مزارع النخيل الموجودة في العوالي وفي أطراف المدينة تروى بصورة جيدة لكان الناتج آلاف من الكيلوجرامات من التمر التي ينتظر أن تجنى مما كان سوف يساعد على إطالة أمد الصمود والدفاع عن المدينة. وفي الوقت ذاته كانت هناك أراضي شديدة

---

(١) a. g. e, ss307- 308.

(٢) a. g. e.

(٣) a. g. e, ss308- 311.

(٤) a. g. e, s307.

(٥) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s63.

(٦) a. g. e, ss308- 311.

الخصوبة بين البساتين ومزارع النخيل كان في الإمكان زراعتها بالقمح والشعير"(١).

أما ما يتعلق بالجراد ففي الوقت الذي كان الأهالي وجنود حامية المدينة ينتظرونه بفـارغ الـصبر كبديل لنقص الغذاء كان المزارعون يخشو ا كثيراً؛ لأ ا تأكل الزرع؛ لذا تم وضع أخيلة لإبعادها، كما خصص حراس في مواضع مختلفة، وكان أهم أولئك الحراس هم صبيان المزارعين، وكان أولئك الصبيان يلتقطون الحجارة في أيديهم ويقذفون ا الجراد قائلين:

يا طير يا أبو الغناس

لا تأكل زرع الناس

لا تحسـبه بـلاش

ترى حـق الدولـة

ترى حـق المـلة

وكان الجنود يشتركون معهم في ذلك بإحداث ضوضاء من قرع الصفيح(٢).

أما ما يتعلق بالبرد، فقد كان فصل الشتاء مع الأسف يصادف غالباً موسم الحصاد، وكانت قطـع الثلج التي يراوح حجمها بين حبة البندق والبيضة تطمس الخضراوات في التـراب وتطـرح النباتـات أرضاً(٣).

وقد تعاد أسباب فشل الزراعة في أثناء الحصار إلى أ ا كانت تحتاج إلى استـصلاح للأراضـي في البداية، وهذا لم يكن محط اهتمام الحملة؛ مما أدى إلى صغر مساحة الأرض المخصصة للزراعة، إضـافة إلى ذلك فإن شح المياه وارتفاع درجة الحرارة ساهما في انخفاض معدل إنتاج محصول كاف يشبع أفواه المحاصرين. كما أن إنتاج الزراعة لا يكون في اليوم التالي للزراعة، وإنما قد يستغرق أياماً وشهوراً وسنين حتى يثمر، ويصبح محصولاً يعتمد عليه، أو قد لا تكون هناك ثمار أصلاً بفعل عوامل مثل الحرارة أو الماء أو السماد أو تعرضها للتخريب.

ومن هنا، فقد أخفق موضوع استخدام الزراعة من قبل المدافعين عن المدينة في خططهم الدفاعيـة بشكل إستراتيجي يستطيعون التغلب به على أزمة نقص البضائع التجارية.

رابعاً: انتشار الأمراض وآثارها

١- الأوضاع الصحية في أثناء الحصار:

---

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil,** s307.

(٢) a. g. e.

(٣) a. g. e.

كانت قوة الحملة الحجازية قبل اكتمال الحصار توفّر أهم الاحتياجات الصحية المطلوبة بمستشفى الجرحى التي بقيت ميراثاً من محافظة المدينة، ومستشفى الداخلية الذي أسسته قوة الحملة لنفسها وكان على درجة كبيرة من التنظيم معداً لاستقبال خمسمئة مريض، وقد أدى ذلك المستشفى خدمات جليلة في المدينة، وإضافة إلى المستشفيين المشار إليهما سابقاً كانت هناك دار النقاهة التي بنيت مـن أجـل المرضى الذين بلغوا مرحلة النقاهة، وكانت لها أهمية كبيرة، لكنها في حقيقة الأمر لم تؤد المطلوب منها؛ لعدم مناسبة شكلها والمكان الذي وجدت فيه، وكان اسمها فحسب: دار النقاهة. وامتـدت أيـادي الهلال الأحمر لأولئك المرضى؛ إذ ظل ذلك المستشفى حتى بداية الحصار غنياً سواء من حيث الأدوية أو من حيث المؤن، ولم يكن يضن بشيء على نزلائه"(١).

ومع ازدياد وتيرة الحصار، وتدني الاهتمام الحتمي بنقص المواد الدوائية، تأثرت الأوضاع الصحية؛ إذ ترتب على سوء الأوضاع المعيشية داخل المدينة انتشار عدد من الأمراض، وازداد عدد المرضى ممـا دفع بالعثمانيين إلى استخدام منازل البشناق في باب ا يدي كمصحة لمعالجة الجنود الغثمانيين(٢).

وكانت الأمراض التي تعالجها مستشفيات القوة العمومية الأساسية هي:

١- الحمى.

٢- الإسقربوط.

٣- حالات إسهال البلاد الحارة.

٤- وباء الأنفلونزا الإسبانية.

٥- الطفح الجلدي.

وكانت الحمى هي أكثر الأمراض انتشاراً بين صفوف قوة الحملة(٣)، وكانت الإصابة ا تقل في فصل الشتاء، وتكثر في فصل الصيف. وكان المصابون بالحمى يمثلون نحو تسعين أو خمسة وتسعين من نزلاء المستشفيات. وفي خلال العامين الأولين قبل إغلاق طريق الشام كان يوزع المصل على القوات، ثم أصبح المقدار الموزع قرب اية المدافعة لا يكفي نسبياً المرضى بسبب إغلاق الطرق والحصار المفروض، وهو الأمر الذي نتج منه تفشي الحمى المزمنة التي ظهرت بين الجنود والضباط، وبدأت تظهر أشـكال منها، مثل: الحمى الخبيثة، وحمى الطحال، وقد أودت تلك الحالات بحياة كثير من الأشخاص(٤).

أما الإسقربوط، فمعظم حالات الإصابة به ظهرت في نواحي تبوك ومدائن صـالح في صـفوف

---

(١) a. g. e, ss171-172.

(٢) مرشد، ج١، ص١٦٨.

(٣) a. g. e, s118- s172.

(٤) a. g. e, ss172-176.

الحملة المرابطة على خط السكة الحديدية، وصار ذلك المرض سبباً في كثير من الوفيات بدرجة مهمة في البداية؛ إذ يذكر قيجيمان أن الطابور كان يرسل مئة وخمسين من جنوده شهرياً إلى المستشفى مصابين بذلك المرض(١)، ويقول فاندمير: إن الجنود وقعت أسنا م وفكوكهم من الإسقربوط(٢).

أما ما يتعلق بحالات الإسهال، فقد كان تظهر في صفوف القوات على نحو مفاجئ حـالات التهاب في الأمعاء، بعضها كان يأخذ شكلاً مزمناً ويؤدي إلى حالة (الاستقاء) المميت(٣).

وقد تفشى وباء الأنفلونزا بواسطة الهجانة الذين كانوا يأتون بالسكر والأرز من الساحل لقـوة الحملة، وفي غضون أسبوع تفشى على نطاق واسع، وظهر بين جميع صفوف القوات العسكرية الـتي كانت في الأصل مرهقة وخائرة القوة، وفقدت جانباً عظيماً من المناعة ضد الأمراض؛ لذلك الـسبب أحدثت الأنفلونزا إصابات واسعة النطاق(٤)؛ إذ كانت الأنفلونزا الإسبانية مستمرة في صـورة وبـاء مخيف، وكانت تعصف بالضباط والجنود و لكهم، ولم تكن هناك وسيلة أو علاج لمكافحتها، ويصور قيجيمان أثر ذلك المرض في الجنود بقوله: "إن أفراد الكتائب والسرايا تمددوا جميعاً على الأرض، وكان الجميع يعانون من آلام مبرحة"(٥).

ويقول في موضع آخر: "وفي تلك الأيام كان وباء الأنفلونزا الإسبانية الذي لم تأخذه رحمة بحاميـة المدينة يفتك بأفرادها فتكاً ذريعاً، فكان المصابون به من ضعاف الأبدان أساساً ينتقلون إلى رحمـة الله تعالى في غضون يومين أو ثلاثة، ولم يكن الباشا يجد الدواء الذي يعطيه إلى الجند"(٦).

ويقول: "ولم يبد أي من الأمراض الفيروسية والمعدية بين قوة حملة الحجاز في صورة وبـاء باسـتثناء نزلات البرد المعدية الأخيرة"(٧).

وقد تأثرت معنويات فخري باشا من تفشي الأوبئة، وعدم القدرة على مقاومتها؛ مما دفع بـه إلى الاستفسار عن الأسباب قائلاً: "وضحوا لنا أسباب كثرة حالات الوفاة إلى هذا الحد"(٨).

وأوضحت المستشفيات في ردودها أن ذلك المرض إنما كان نتيجة للضعف الناجم عن نقص المؤن،

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, ss172- 176.

(٢) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s75.

(٣) Kiciman, ss172-176.

(٤) a. g. e.

(٥) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s393.

(٦) a. g. e, s405.

(٧) a. g. e, ss172-176.

(٨) a. g. e.

وهو أقوى عامل في حالات الوفاة، وأنه نشأ من الاختلاطات المختلفة، وأن بعض من أصيبوا بوباء الأنفلونزا كان قسم منهم يموت في أثناء نقلهم إلى المستشفى، وقسم آخر وهو أهم قسم كان يموت في المستشفى(١)، وقد توفي عدد لا يستهان به من المرضى، ورأى أمين بك أنه من الأنسب الجلاء عن القلعة وتسليمها اكتفاء بأمر وزارة الحربية، خصوصاً أن هناك مئة وخمسين شخصاً يموتون يومياً من المرض(٢).

وعانى المحاصرون مرضاً خطيراً آخر هو الطفح الجلدي الناشئ عن العطش؛ "لأن الإحساس بالعطش الذي يتبع أكل الرطب كان لا يحتمل، وكان إذا شرب الماء ظهرت الفقاقيع الجلدية (الطفح الجلدي) المسمى تمرية مغطية كل جزء من الجسد، ولم يكن باستطاعة أحد من ضباط وجنود حامية المدينة منع نفسه من الهرش في المواضع المصابة بالتمرية"(٣).

وكثيراً ما كان يتصادف وجود دمامل في أيدي الجنود ووجوههم وسيقانهم، وكان ذلك ناتجاً من عدم القيام بنظافة البدن، وتراكم الأوساخ فوق سطح الجلد، ودخول الميكروب تحت الجلد عن طريق الهرش(٤).

أما التيفوئيد والدوسنطاريا، فكانت نادراً ما تظهر، ولم تسر تلك الأمراض إلى جهات أخرى. ونتيجة للأبحاث الطبية التي أجريت تم التأكد من أن من أصيبوا بأمراض كتلك كانوا من العساكر الآتين من الشمال(٥).

إضافة إلى ذلك، فإن إهمال النظافة سبب أمراضاً أخرى؛ لأن إهمال الجنود نظافة أبدانهم، خصوصاً نظافة أفواههم أدت إلى تكون الجروح والدمامل في أرجلهم وفي كل موضع من أجسادهم،+ خصوصاً في أفواههم، وفي حالة الإصابة بجروح الفم تتهتك اللثة، وتسقط الأسنان، ولا يمضغ الطعام بالشكل الأمثل، وتظهر أمراض المعدة والأمعاء وعسر الهضم والإسهال، ويضعف الجسم ويهزل ويفقد مناعته ضد الأمراض(٦).

ولمحاولة التخفيف من وطأة تلك الأمراض سعى سيف الدين بك وكيل كبير الأطباء بعد فترة من

---

(١) a. g. e.

(٢) a. g. e, s404.

(٣) a. g. e, s229.

(٤) a. g. e, ss243- 244.

(٥) a. g. e, ss172-176.

(٦) a. g. e, s260.

الحصار إلى العمل على إعادة المستشفى إل سابق عهده في توفير العلاج والإعاشة، غير أن ذلك كـان مستحيلاً، وقد ظل الهلال الأحمر يؤدي دوره الطبي في تلك الظروف في أيام الحصار المريرة؛ مما تـرك آثاراً عميقة في ذاكرة المدافعين.

وإضافةً إلى المؤسسات الصحية التي أنشئت داخل المدينة فقد أقيم مستشفى متنقل في بئـر علـي، وكان مجهزاً بالشّرف(١) المصنوعة من جريد النخيل المنقول على الجمال، وكانت الشرف مغطاة بأغطية بيضاء. ولاقت هذه الوسائل التي استخدمت من أجل نقل المرضى الذين اشتد عليهم مرضهم إلى المركز استحساناً كبيراً.

وكانت هناك أقسام صحية تكفي ما بين عشرة إلى عشرين فرداً في مركز كل طابور، بداخلـها خيام أو مظللة بنباتات صحراوية(٢).

كما كانت هناك صيدلية تتوافر فيها أنواع من بعض الأدوية لمن في المدينة، وكان الموجود فيها من الكثرة بمكان فيما يخص بعض أنواع الأدوية؛ إذ إن حكومة الحسين استفادت منه بشكل كبير حتى بعد استسلام حامية المدينة، وأنقذت مرضاها بتلك الأدوية(٣).

وظهر في أثناء الحصار وبشكل كبير ومرير عجز في الصيدلية الصحية في أنواع أخرى من الأدوية، ولم يكن هذا العجز بسيطاً؛ بمعنى أنه في حين كانت هناك وفرة أكثر من اللازم في بعض أقسام الأدوية كان هناك قسم آخر منها لم يبق منه شيء(٤).

ونتج من نقص بعض أنواع الأدوية الضرورية تفاقم في الأمراض، ويوضح ذلك فيجيمـان قـائلاً: "عندما تفقدت المستشفيات رأيت كثيراً من المحمومين، بعضاً منهم كان يشكو من أنه لم يصرف لـه السلفات"(٥).

وقد كان الوضع بالنسبة إلى المرضى وضعاً مؤلماً؛ لأنه مهما اجتهدت المستشفيات والصيدليات فلن تتمكن مع الحصار من توفير الأدوية المناسبة لمرضاها(٦)، وفي ذلك يقول فيجيمان: "وحق على حمـاة المدينة القول بأن ما بذله كمال بك وكيل كبير أطباء قوة الحملة، ومعاونه الطبيب شوكت بك، مـن

(١) الشرف: جمع شرفْة وتعني أعلى الشيء، وهو بناء يستشرف منه على ما حوله. الطالبة

(٢) a. g. e, ss172-176.

(٣) a. g. e.

(٤) a. g. e.

(٥) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s243.

(٦) a. g. e, s365.

جهد كان يفوق طاقة البشر"(١)، وفي موضع آخر يقول: "ولم يكن بإمكان أي أحد من المرضى طيلة فترة العلاج والنقاهة أن يجد ما تمس إليه حاجته من الطعام، واضطر المرضى إلى الاستسلام للفور منتظرين الموت، وكان جملة منهم يموتون فعلياً، وينقلون إلى مقابر البقيع يومياً، وكان السل من الأمراض التي تفشت بين الجنود القادمين من المناطق الباردة"(٢).

٢- تدابير وقائية للمرضى:

اتخذ فخري باشا عدة تدابير للوقاية من الأمراض، سواء أكانت ضربات الشمس أم أمراض اللثة أم الأمراض الجلدية أم المفاصل والروماتيزم؛ فقد كون فخري باشا رؤية تخص المصابين بضربات الشمس؛ إذ وجد نتيجة للمتابعة أن كثيراً من المصابين بالحمى لا تصرف لهم السلفات بناء على شكوى بعض المرضى؛ لذا أمر بإعطاء السلفات بانتظام للضباط والجنود، وفرض شر ا عليهم.كما نبه إلى ضرورة تحري الدقة في معرفة ما إذا كان الجنود يبلعون السلفات التي تقدم إليهم أم لا؛ إذ إن بعضهم كان يبصقها بعد أن يتجرعها(٣).

وبلغ من اهتمام فخري باشا بالأمور الصحية في تلك الفترة أنه كان يصدر أوامر يومية عن كيفية علاج المحمومين وطرق الوقاية من الحمى.

كما أصدر تعميماً تضمن أهمية إشعاره يومياً بكل ما تقوم به المستشفيات، وكيف تم لها علاج المصابين بضربات الشمس، وأهمية الانضباط في علاج الجنود، وإرسالهم إلى المستشفى في الصباح الباكر أو قبيل الغروب، كما شدد على أهمية إشعاره بالأوقات التي أدخل فيها المصاب، وعن قدرات الممرضين في علاج المصابين.

وأخذت مشكلة ضربات الشمس التي كانت تنتشر بين الجنود بعداً خاصاً لدى فخري باشا؛ مما دفع به إلى إصدار تعميم مطول هو كما يأتي:

١- لوقوع ضربة الشمس في أماكن نوبة الحراسة تقرر تخفيف نوبات الحراسة النهارية نصف ساعة، وينبغي على المتناوبين دوماً الاحتفاظ بقرب الماء بجانبهم، والانتظار ريثما يحلّ دورهم في الظل. كما يجب توفير المظلات للمتناوبين على الحراسة، وينبغي على المتناوبين ودوريات الشرطة على السواء فتح صدرية قميصهم وياقته، وينبغي على الجالسين في الظل خلع قمصا م من أجل إنعاشهم.

ولمعرفة مدى انعكاس الشبع أو الجوع على الجنود عند تسلم نوبة الحراسة تقوم القوات العسكرية بتجربة على هذا الأمر، وستعلن النتيجة، وفي رأيه ينبغي ألا تكون المعدة ممتلئة تماماً أو خاوية تماماً.

---

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, ss172-176.

(٢) a. g. e, s365.

(٣) a. g. e, ss243- 244.

٢- بما أنه قد ثبت بالتجربة أن الخارجين لتوهم من المستشفى والجنود المحمومين لديهم قابلية غير عادية للإصابة بضربة الشمس لا يجوز قطعياً إخراج مثل هؤلاء الجنود إلى نوبـات الحراسـة أو الـدوريات النهارية أو إرسالهم فترات طويلة في الصحراء، ويجب منحهم الفرصة للراحة، وتعويدهم على الخدمـة تدريجياً.

٣- لما كان الجنود المضطلعون بمهمة الدورية ماراً على طريق السكة الحديديـة يحتـاجون إلى قطـع مسافات طويلة وليس معهم إلا قربة ماء واحدة؛ مما يؤدي إلى تعرضهم لضربات الشمس، فإنه ينبغـي من بعد ذلك تعيين جندي سقاء إلى جوار الأفراد الخارجين إلى الدورية، وسوف يحمل هذا الجندي قربة الماء على ظهره بدلاً من البندقية، ويمنح هؤلاء السقاؤون زجاجة خل أو ليمـون لاسـتعمالها عنـد الضرورة.

إضافة إلى ذلك يجب على الجنود الخارجين إلى الدورية أن يحمل كل منهم مئة خرطوش ناري فقط من أجل تخفيف الحمل عنهم، وينبغي ألا يحملوا في حقائبهم المواد المخدرة المحظورة، ويجب أن يأخذوا معهم خياماً سهلة الحمل من أجل عمل مظلات تقيهم حر الشمس.

٤- إذا كان احتمال إصابة الدورية بضربات الشمس كبيراً يجب أن يرافقهم جندي (حمال) للأسـلحة التي في ثقل البندقية.

٥- يعتقد أنه من المفيد استغلال جرار التمر كشمسية، وإعطائها الدوريات، وسوف تجرب القوات التي على طول خط السكة الحديدية هذا وتعلن النتيجة.

٦- بسبب فائدة النظارة في حماية العين ينبغي على الأفراد المكلفين بنوبة حراسة أو دورية خلال النهار وضعها على أعينهم، وإن كان هناك عجز في توفير النظارات يجب العمل على تأمينها.

٧- تخفض حركة الذهاب والإياب غير المهم وغير العاجل بين التلال ونقاط الشرطة تحت الـشمس ماراً والخدمات الأخرى التي لا بأس من تأخيرها إلى أدنى حد، وهو ما يعني منع غسيل الملابس ـ ماراً تحت الشمس، وتأجيل ذلك إلى المساء بالشكل الذي لا يؤثر في ساعات نـوم الجنـود أو شـعورهم بالنعاس صباحاً.

٨- يجب بذل أكبر جهد لتوزيع الماء على النحو الذي يضمن توفير خمس قرب منه في اليـوم للأفـراد الموجودين في المخافر في هذه المواسم الحارة.

٩- يمنع سير الجنود وهم حفاة على الصخر أو الرمل الساخن، وإن كان هناك جندي حافٍ فينبغي أن يشترى له (مداس).

١٠- أوصي بإعادة النظر في التدابير الصحية التي تم نشرها في يوم ٢٠ شعبان ١٣٣٥هـ/ ١١ يونيـو (حزيران) ١٩١٧م بشأن ضربة الشمس.

١١- ينبغي أن يصرف الإفطار للجنود مع الشفق، والغداء في الساعة التاسعة، والعشاء من بعد الساعة

الخامسة.

١٢- ينبغي أن يحاط فخري باشا علماً بما يحدث في القوات من وقوع حالات الإصابة بضربات الشمس ببرقية موجزة أو بالهاتف، ثم ينبغي أن يرسل إليه ما يوضح الوقت والمكان الذي أصيب فيه الشخص بضربة الشمس، وهل كان محموماً أم أنه كان في طور النقاهة؟ ومن أي مكان كان قادماً منه؟ وإلى أين كان ذاهباً؟ ولأي أمر خرج؟ وهل أخذ معه ماء فيما هو خارج أم لم يأخذ؟ وما مقدار ما كان يحمله من أثقال؟(١).

أما ما يتعلق بالإسقربوط فقد شكّل فخري باشا لجنة طبية للتحقيق في أسباب تفشي ذلك المرض، وكان يوصي بالبصل والخل والثوم علاجاً له، فصار أكل البصل الأخضر عادة منتشرة في مركز قيادة قوة الحملة. وبفضل ما اتخذ من تدابير وقرارات تم مكافحة ذلك المرض إلى حد ما؛ إذ لم يظهر في الآونة الأخيرة من الحصار(٢).

أما ما يتعلق بأمراض اللثة، فقد أمر فخري باشا بأن يقوم أطباء الوحدات بفحص الجنود أسبوعياً، وتوعيتهم بأضرار إصابة الفم واللثة(٣)، وأن يقوم الجنود المصابون بذلك المرض باستعمال مضمضة قاتلة للميكروب ثلاث مرات يومياً، ويدهن الأطباء أفواه الجنود المصابة بالمراهم والأدوية القاتلة للميكروبات(٤).

كما أمر فخري باشا بأن يتولى قادة السرايا والطوابير والألوية وأطباؤها أداء مهامهم بالحديث عن النظافة وأمراض الفم، والتفتيش على أفواه الجنود في كل اجتماع، وتحذيرهم يومياً عن إصابات الفم، ويسجل في دفاتر الوقائع الصحية كم شخص أصيب بإصابات الفم، وكم شخص يقوم بتنظيف جسمه وأسنانه، وأي دواء تم استعماله(٥).

أما ما يتعلق بالأمراض الجلدية، فقد أمر فخري باشا بأن يستحم الأفراد والجنود في كل المناطق مرة على الأقل أسبوعياً، وينبغي ألا ينس أن الملابس القذرة المتسخة التي لا تغسل جيداً تسبب الأمراض الجلدية أيضاً(٦).

---

(١) Kiciman, ss244- 246.

(٢) a. g. e, ss172-176.

(٣) a. g. e, ss260- 261.

(٤) a. g. e.

(٥) a. g. e.

(٦) a. g. e, ss243- 244.

وينبغي أخذ الجنود بالتناوب كل يومين إلى الماء، ويقوم الجنود بعد أن يخلعوا قمصا م وستر م بتدليك أجسامهم بطمي البحيرة أو طمي الأرض، ثم يزيلون هذا الطمي بصب الماء على أجسامهم، ثم يلبسون قمصا م وسترهم، ثم ينظفون أقدامهم بالطريقة نفسها(١).

أما ما يتعلق بأمراض المفاصل والهزال، فقد اكتشف أن الجراد علاج لمن حالت أربطة ركبته ومفاصلها وتعرض للهزال والأمراض البدنية، لاسيما الروماتيزم، خصوصاً بعد أن وقف فخري باشا على رأي الأطباء في ذلك الذين نصحوا به(٢).

ولم يكن فخري باشا يجد الدواء الذي يعطيه الجنود، فكان يزيد من حصصهم من الأرز، وكان يأمر أن يعوضهم عن العلاج بعدة سعرات حرارية يضيفها إلى غذائهم، كما كانت الفرقة الزراعية تقوم بتوفير الخضراوات من البساتين التابعة لهم، وأن تتولى توزيعها على الجنود لوقايتهم من المرض(٣)، غير أن الأمر لم يكن كذلك؛ لأن المرض كان متفشياً على نحو كبير على الرغم مما بذله المسؤولون من جهود كبيرة(٤)؛ إذ يقول عنهم قيجيمان: إ م قاموا "بجهود خارقه تفوق طاقة البشر"(٥)، لكن على الرغم من ذلك إلا أن تلك المستشفيات لم تعد قادرة على تقديم خدمات صحية ملائمة؛ بسبب نقص الغذاء وبعض أنواع الدواء، وازدحام المستشفيات، فاستمرت حالات الوفاة(٦)؛ إذ كان كثير من المرضى يموتون ويدفنون في البقيع(٧).

خامساً: فرار الجنود:

كان للحصار أثر قاسٍ ومؤلم، خصوصاً في ضعاف النفوس من الجنود، وأصبح حب الحياة مطلباً لهم، فانتشرت ظاهرة الفرار، ويشير إلى ذلك قيجيمان؛ إذ يقول: "كان هناك مرض يسحق في قوة حملة

---

(١) a. g. e.

(٢) Kandemir, s66.

(٣) Kiciman, s119.

(٤) وقد وجد في مستودع الخدمات الطبية الكثير من علب اللبن والتي قدرت بسبعمائة علبة لبن مسحوق، وسائر أطعمة المرضى وكذلك بطاطين وفرش أسرة وقمصان قطنية غير مستغلة، وتم توزيعها في التو والحال وفي الوقت ذاته، نقلت آلاف من أكياس الرمل الموجودة في مخازن المنول إلى الورش لتصنيعها وتحويلها إلى قمصان قطنية.راجع: Kiciman, s604.

(**٥**) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s405.

(٦) a. g. e.

(٧) a. g. e, s119.

الحجاز من الأعماق، ألا وهو الفرار"(١).

ولم يقتصر الفرار على الجنود العرب، وإنما تعداهم إلى الجنود العثمانيين(٢)؛ فقد تعددت الأسباب التي أدت إلى ذلك الفرار؛ ففي الواقع أن ما كان ينتشر من شائعات حول إغلاق الطرق كان يـؤثر في الجنود، لاسيما العرب منهم، وسبب ذلك التأثير هو تزايد حالات الفرار يوماً بعد يوم(٣)؛ إذ بـدأت حوادث الفرار الفردية من المواضع المختلفة للجبهة ومن داخل المدينة(٤).

وكان الفرار يبدأ بالجنود العرب(٥)، ثم يسري منهم إلى صفوف العثمـانيين، وفي ذلـك يقـول فيجيمان: "لماذا كان يبدأ الفرار بالجند العرب، وعلى مر الأيام يسري منهم إلى صفوف الجند الأتراك؛ فالفرار بالنسبة إلى العرب كان من الممكن تأويله إلى حد ما، لكن بالنسبة إلى الأتراك كان يعـد مـن الأحداث المخجلة"(٦).

وكان هناك سبب ثانٍ لفرار الجنود، وهو المعاملة السيئة التي كانوا يتعرضون لها على يد الضباط في الجهات. ومن الأسباب أيضاً تعرض الفارين من قوة الحملة لخطر عدم العودة إلى أوطا م الأصلية(٧).

لكن في ـاية المطاف وجد سب آخر لفرار الجنود، وهو أنه تم اكتشاف جمعية سرية لحض من في داخل المدينة من جنود العرب ومن يخالطهم من جنود الأكراد والأتراك والجراكسة على الفرار(٨).

ولم يتوقف الأمر على مسألة الفرار، وإنما وصل إلى درجة الأزمة والتفكير في الانضمام إلى صفوف قوات الحسين(٩)؛ إذ أصبح قسم من الجنود العرب الموجودين في صفوف القوات العثمانية يقتنعون بأنه قد جاء الوقت للانضمام إلى الجهة المعادية، وكانوا ينحازون إلى قوات الحـسين بأسـلحتهم ومـن استطاعوا إقناعهم من زملائهم(١٠)، وفي ذلك يقول فيجيمان:

ومن جهة أخرى كانت تتوارد الأنباء تباعاً عن الفارين، وأن هؤلاء قد صادفوا العصاة في الطريق، وسلموا لهـم

---

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s433.

(٢) a. g. e.

(٣) a. g. e, s195.

(٤) a. g. e, s176.

(٥) a. g. e.

(٦) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil** , s195.

(٧) a. g. e, s433.

(٨) a. g. e.

(٩) a. g. e.

(١٠) a. g. e, s133.

أسلحتهم وأموالهم صاغرين، وتخلوا عن أكثر من نصف زملائهم في الطريق في أشد حالات الإعياء والـضعف، وكانوا يخافون الخوف كله من أن يتعقبهم أحد ويقبض عليهم، وطالما كانوا يتخيلون أ م بعد أن يحاكموا أمام ديوان الحرب سوف يعدمون رمياً بالرصاص بمراسم خاصة كان يطيش صوا م، حتى إن هذه الفكرة أطاحـت بعقل قائد الفوج الذي فر من رابية العاص، وجعلته يلقى جزاء خيانته مبكراً(١).

ويقول فاندمير: "وأخذ الذاهبون إلى العمل في الا يار على قارعة الطريق، كما أخذ بعض أفـراد الجيش غير الأوفياء يفرون إلى الثوار، وقد فر في خلال ثلاثة أشهر مئة وأربعة وستون جندياً"(٢).

وقد جاء في صحيفة القبلة أنه لجأ إلى قوات الحسين ما ينيف على مئتين واثنا عشر جندياً،+ وقـد صرحوا بأن حالة الجيش العثماني أصبحت سيئة(٣)، وتذكر أنه لجأ إلى قوات الحسين فيما بعد ثلاثـة ضباط آخرون(٤).

وفي ٢٣ جمادى الأولى ١٣٣٦هـ/ ٦ مارس (آذار) ١٩١٨م احتشد قسم كبير من القوات المرابطة بجوار المدينة أمام (الحصن الأحمر)، وحضر فخري باشا ذلك الحشد بنفسه، وبذل النصائح لهم، وشرح لهم سوء عاقبة الفرار(٥)، إلا أن تلك النصائح جاءت بنتائج عكسية؛ إذ ازدادت ظاهرة الفـرار الـتي عدها قيجيمان ظاهرة مرضية؛ مما دفع فخري باشا إلى إصدار أمر في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ ـ/ ٧ إبريل (نيسان) ١٩١٨م جاء فيه:

١- من يقبض عليه من الفارين يعدم رمياً بالرصاص.

٢- تمنح مكافأة قدرها خمس عشرة قطعة ذهبية لمن يقبض على جندي في حالة فرار، وخمس قطع لمن يرشد على حالة شروع في فرار، وعشر لمن يقبض عليه.

٣- ينبغي ألا يبقى شخص ليس لديه علم ذا الأمر في القوات والمؤسسات العسكرية(٦).

وكالشأن بالنسبة إلى أي تدبير فقد أحدث ذلك الأمر تأثيراً شديداً في الأيام الأولى، وأدى ذلـك القرار مفعولاً طيباً؛ إذ أخذ البعض يفكر في العقوبة، وآخرون طمعوا في المكافأة المخصصة لمن يقـبض على أي جندي فار، ومن ثم أخذ بعضهم يراقب بعضاً(٧).

---

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**, s444.

(٢) **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**, s63.

(٣) "أخبار المعسكرات العربية.اللاجئون للجيش العربي" س١، ع٦٤ (٣ جمادى الآخره ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٤) "أخبار المعسكرات العربية.حركة اليأس" س١، ع٧٤ (٥ رجب ١٣٣٥هـ) ص٢.

(٥) Kiciman, s176.

(٦) a. g. e, ss188- 189.

(٧) a. g. e.

وفي ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٣٦هـ/ ٩ إبريل (نيسان) ١٩١٨م نشر فخري باشا بياناً أخذ فيه العهد على الجنود والضباط البقاء في منطقة قوة الحملة حتى ااية حركة الحجاز، وأعلن أن من قبلوا ذلك العهد سوف يحظون بشرف التسجيل في السجل الذي فتح باسم (أحباء الحجاز). وجدير بالذكر أن كثيراً من أولئك الضباط والجنود لم يكن لديهم علم بأن خط السكة الحديدية قد أغلق في ذلك الوقت، وآخرون منهم كان لديهم علم، لكنهم كانوا يأملون في أنه من المحتمل أن يفتح الطريق من جديد، وكانوا يلتزمون الصمت لكيلا يفتحوا جراحاً في قلوب من يتلقون ذلك الخبر المؤلم. وبالفعل تم فتح سجل أحباء الحجاز، وأبدى كثير من الضباط والجنود رغبتهم في نيل ذلك الشرف، ومما يسترعي النظر فيه هو توقيع فخري باشا بالحبر الأحمر في أوله، كما أنه ارتدى في إصبعه أحد خواتم الجهادية، وكان مصنوعاً من النيكل، وهو الأمر الذي كان له وقع حسن بين جنود حامية المدينة وضباطها(١).

ويشير فيجيمان في هذا الصدد إلى أن الوعد بالبقاء في منطقة قوة الحملة حتى ااية عملية الدفاع عن الحجاز كانت مسألة على جانب من الأهمية، فمن جهة تأتى لفخري باشا الوقوف على مدى إمكانية أن يثق برفاق سلاحه، ومن جهة أخرى الوقوف على مدى تقبل جنود الحملة فكرة جيش المتطوعين من حيث الهدف. وكانت التجربة تجري بنجاح، وكان الضباط والجنود يتعجلون بالانضواء تحت راية التطوع التي رفعها فخري باشا، وتسابقوا فيما بينهم لتسجيل أسمائهم في السجل(٢).

لكن استمرار فرار الجنود كان يعني وجود سبب آخر لفرارهم، وتم تحري ذلك العامل المهم، وعثر عليه في النهاية؛ إذ تم اكتشاف جمعية سرية لحض من في داخل المدينة من الجنود العرب ومن يخالطهم من جنود الأكراد والأتراك والجراكسة على الفرار(٣).

وقد أحيل أعضاء تلك الجمعية السرية على ديوان الحرب، وحوكموا وأدينوا، وحكم بالإعدام على بعض منهم في يوم الثلاثاء ١٩ رجب ١٣٣٦ه/ ٣٠ إبريل (نيسان) ١٩١٨م، وغصت ساحة الإعدام بالجنود وكثير من المدنيين، وسيق المحكوم عليهم بالإعدام مقيدي الأيدي إلى الساحة الواقعة على حافة محطة مكة، وتم إعدامهم رمياً بالرصاص(٤).

ومع تعدد أسباب فرار الجنود كان هناك عامل آخر يضاف إلى فرار الجنود، أديا معاً إلى قلة عدد الجنود والضباط في حملة الحجاز، وهو أن فخري باشا كان يعطي تصاريح غياب لبعض أفراد جيشه بالتناوب ممن كانوا يستأذنونه في ذلك؛ إذ يقول فيجيمان: "لم يكن من الممكن أن يطير طائر أو تمر

(١) a. g. e, ss178- 188.

(٢) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil** , ss178- 188.

(٣) a. g. e, ss195- 196.

(٤) a. g. e, s196.

قافلة دون الاستئذان من الباشا، لكن من عاد أدراجه ممن استأذنوا الباشا ومضوا إلى الشمال كانوا قلة"(١).

وقد أدى ذلك الإجراء -منح تصاريح الغياب- إلى أن فخري باشا خسر كثيراً من قادة وحداته الأقوياء؛ لذا عمد إلى إجراء أكثر حزماً للتخفيف من وطأة تلك الأزمة، وهو أنه عمل على إلغاء تصاريح الغياب التي كانت تمنح لهم، وحاول إحضار أولئك الذين منحت لهم تلك التصاريح؛ لأن فخري باشا:

كان يضغط بشدة على ميزانية الاستئذان في الغياب، وكان يعمل على تحقيق موازنة دائمة، وأي عجز يسير في ميزانية القيادة كان من الممكن أن يكون خطيراً، ولم يكن من المتصور التفريط في أي شخص في الخدمة، وكان ينتظر من كل أحد أداء مهام فوق طاقته حتى وفوق طاقته البشرية، والسبب هو أنه قد ألغيت تصاريح الغياب التي كانت تمنح بالتناوب للضباط والجنود في الجبهات الأخرى مثل العراق وفلسطين وقفقاسيا في الآونة الأخيرة(٢).

وكان فخري باشا محقاً في ذلك الإجراء من جهة تجربته التي دامت عامين في حركة الحجاز؛ لأن مستقبل المدينة كان واضحاً، وكان من المؤكد أن يبدأ الحصار لكن الوقت المحدد له لم يكن معلوماً؛ لذلك السبب كان لا يريد للشدائد التي كانوا يقاسونها أن تتضاعف بشدائد أخرى(٣).

وبالفعل استطاع فخري باشا إحضار من ذهبوا مستأذنين ولم يعودوا إلى المدينة، وذلك بالبرقيات التي أرسلها إلى دمشق، وقد ضغط فخري باشا على كل المواضع في الشمال في ذلك الخصوص، حتى إنه توعدهم بأنهم لن يفلتوا من عقابه(٤). ومن نماذج ما كان يعمله لمتابعة أمر المتخاذلين ما أشار إليه في برقية إلى الجيش الرابع من أجل ضابط ذهب لقضاء فترة نقاهة، جاء في تلك البرقية: "بذهابك هذا لن تترك شخصاً في المدينة سواي"(٥).

وكان ذلك الضابط قد أحضر إلى معان مع غيره ممن حصلوا على إذن لقضاء فترة نقاهة في دمشق، ولم يعد أولئك الضباط بنفع على المدينة؛ لأن الطريق كان قد أغلق وبدأ الحصار، فعهد إلى أولئك بعدد من المهام تحت إمرة القوة النظامية الأولى المرابطة في معان، وعملوا هناك حتى الأيام الأخيرة لسقوط

(١) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil** ,s186.
(٢) a. g. e.
(٣) a. g. e, s187.
(٤) a. g. e.
(٥) a. g. e, ss178- 188.

معان(١).

لذا فإن حكومة الحسين اتبعت حصاراً مادياً ونفسياً على العثمانيين، هادفة إلى إحداث هزيمة مـن داخل المدينة لا من خارجها. لكن مهما كانت الأوضاع المادية مترديـة فإ ا مع عزيمة ثابتـة لا تظهـر تأثيراً، ومن هنا فقد كانت الحرب النفسية هي السلاح الأقوى لدى حكومة الحسين، متمثلاً في إضعاف نفوس جنود الحامية؛ لذلك فقد بدأ ضعاف النفس في الفرار، متحججين بالرغبة في العودة إلى أوطا م، أو سد حاجا م من الطعام والشراب، أو المداواة من مرض أصا م، وهم لا يعلمون أ م استبدلوا مرضاً بمرض آخر أكثر فتكاً وشراسة.

إن فرار الجنود أدى إلى إضعاف معنويات الجنود الآخرين، وزعزعة عزائمهم، وترك مجالاً للتفكير في الحياة، والحفاظ عليها، وعدم الإقدام على العمل العسكري.

---

(١) a. g. e.

الفصل الرابع

استسلام الحامية العثمانية و إخلاء المدينة

أولاً: عقد هدنة موندروس وموقف فخري باشا منها

ثانياً: موقف بريطانيا من رفض فخري باشا الاستسلام

١ ـ إعطاء مهلة لفخري باشا لتسليم لمدينة

٢ ـ سفراء التفاوض

ثالثاً: تسليم المدينة

١- ظهور معارضة داخلية ضد فخري باش

٢- موقف فخري باشا من تلك المعارضة

٣ _ استسلام فخري باشا

٤ _ دخول قوات الحسين وإخلاء المدينة

أولاً: عقد هدنة موندروس[١] وموقف فخري باشا منها:

بدأت قوات فخري باشا تفقد ارتباطها واتصالها بسوريا، خصوصاً أن حركات الانسحاب التي قامت ا فرق الجيش الرابع جعلت المدينة في حالة خطيرة[٢]، وقد أظهرت قوات الحسين وبريطانيـا المتحالفة تفوقاً مستمراً، حتى إن سورية احتلت بعد فترة قصيرة، وأصبحوا على مشارف الأناضول[٣]، وفي سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م أدركت الدولة العثمانية أ ا لن تستطيع الصمود في الحـرب العالميـة الأولى، فاضطرت للجلوس على مائدة مفاوضات الهدنة مع دول الحلفاء، وانتهى الأمر بتوقيعها هدنـة موندروس[٤] بشروط، وذلك في ٢٤ المحرم ١٣٣٧هـ/ ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٨م، وكانت المادة السادسة عشرة من الهدنة المتعلقة بالحجاز تنص على ما يأتي: "سيتم تسليم كل وحدات المحافظين الموجودة في الحجاز وعسير واليمن وسورية إلى أقرب قائد من دول الحلفاء، وبخلاف القوة اللازمة من أجل الحفاظ على انتظام القوات كتلك الموجودة في كيلكيا سيتم الانسحاب بالوجه المقرر في شـرائط المادة الخامسة"[٥].

وفي اليوم نفسه الذي وقّعت فيه الهدنة تم إبلاغ كل المناطق المعنية بتلك الهدنة ببرقية لاسـلكية

---

(١) موندروس: في جزيرة ليمنوس Limnos الواقعة في بحر إيجة بين البرين التركي واليوناني. راجع: المحامي، محمـد فريد بك. **تاريخ الدولة العثمانية**. تحقيق إحسان حقي. بيروت: دار النفائس، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، من الملحق الذي أضافه المحقق في اية الكتاب، ص٧٢٢.

(٢) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s4

(٣) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, ss526-531.

(٤) الحربي، دلال بنت مخلد. **علاقة سلطنة لحج ببريطانيا (١٣٣٧ - ١٣٧٨هـ/ ١٩١٨ - ١٩٥٩م**. الريـاض: مكتبة العبيكان. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ص٧٥- ٧٨.

(٥) **Türk istiklal Harbi(Mondros Mütarekesi ve tatbikatı),1,Ankara**,1962,ss 43- 120.

عاجلة موقعة بتوقيع أحمد عزت باشا(١) الصدر الأعظم ووزير الحربية(٢).

وكان فخري باشامن الذين تلقوا تلك البرقية؛ مما زاد من آلامه، وقد وزع فخري باشا ذلك الخبر على كل من قيجيمان، وإدريس بيج بك(٣) ضابط الشفرة(٤).

كان فخري باشا لا يريد نشر خبر تلك الهدنة في المدينة، لكنه اضطر إلى نشره على القوات الموجودة فيها بعدها بثلاثة أيام بهذا الشكل: "لقد تم تعطيل كافة العمليات العسكرية على كافة الجبهات اعتباراً من ١ نوفمبر ١٩١٨م بسبب عقد الهدنة"(٥)، ومن ثم فإن فخري باشا لم يشر إلى أمر الانسحاب.

ولعدم تنفيذ أمر الانسحاب اعتقدت إستانبول أن البرقية لم تصل إلى فخري باشا؛ لذا رأت ضرورة التخابر مرة أخرى مع الحجاز واليمن وعسير(٦)؛ لذلك تم إخطار مصطفى كمال باشا(٧) - قائد جيوش الصاعقة المرتبطة بالقوات الموجودة في المنطقة- بإخطار القيادات المعنية بأمر الهدنة، وعلى الرغم من أن مصطفى كمال باشا سعى إلى أن يؤسس قاعدة اتصال بالقيادات المذكورة لإخطارها برقياً إلا أنه لم ينجح؛ لذلك طلب من إستانبول بأن تقوم هي بتلك المهمة(٨).

ولم يكن لدى حكومة إستانبول وسائل تجعلها تتصل بفخري باشا بشكل مباشر، وهو الأمر

---

(١) **أحمد عزت باشا(صدر أعظم) (١٢٨٠- ١٣٥٦هـ/ ١٨٦٤- ١٩٣٧م):** ولد في مناستير بالبلقان، التحق بالثانوية العسكرية سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م، ثم بالكلية الحربية سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م، ثم عين بعد التخرج سنة ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م نقيباً في الأركان الحربية، وابتعث إلى ألمانيا بعد سنتين، وبعد عودته عمل في عدة دول، ثم كلف في سنة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٤م بالتوجه إلى اليمن لإخماد الثورة التي نشبت هناك. وحصل في تلك الأثناء على عدد من الرتب العسكرية إلى أن رقي إلى رتبة فريق سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧م، وعين رئيساً عاماً للأركان الحربية في سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م، ثم ابتعث ثانية إلى اليمن لإخماد تمردها سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م، ونجح في ذلك، وعقد معاهدة مع الإمام يحيى والإدريسي. وقد عين صدراً أعظم للدولة العثمانية في سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وأخذ مناصب وزارية أخرى. له مذكرات نشرت كاملة باللغة التركية، وبعض تصانيف أخرى. راجع: صابان، ص١٣.

(٢) Kiciman,ss 376-377 . Kandemir,s172 .

(٣) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٤) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,,Nin Tahliyesi**,s5

(٥) Kıcıman,ss375-379. Kedourie,Elie"The Surrender of Medine"**Middle EasternStudy** January 1919 ,Vol 13, ss 124-143 .

(٦) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s5.

(٧) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٨) Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi,s5.

الذي جعلها تراجع بريطانيا في الأمر، فقام أمير الأسطول (الأميرال) سومرست آرثر كوج كـالثورب Admiral Arthur Koc Kalthorb(١) -المندوب السامي البريطاني في إستانبول في ذلك الوقت، والذي وقّع الهدنة باسم الحكومة البريطانية وبدأ بتطبيقها- بإخطار بريطانيا بأن هناك مخاوف من عدم استسلام قيادات الوحدات المذكورة في الهدنة مادامت القيادات لا تعلم بأمر الهدنة من الحكومة العثمانية؛ لذلك طلب أن يرسل الخبر برقياً من مصر، وعلى ذلك قام النقيب (اليوزباشي) البريطاني جارلانـد Garland بإخطار فخري باشا بمواد الهدنة برقاً من مكتب البرق اللاسلكي البريطاني الموجود في ينبع البحر، وذلك في ٢٩ المحرم ١٣٣٧هـ/ ٤ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م(٢).

ولم يعطِ فخري باشا الأمر أهمية، وكان يتشكك في بريطانيا، وقد انتبه أحمد عزت باشا لـذلك الأمر فكتب أمراً بتوقيعه في ١ صفر ١٣٣٧هـ/ ٦ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م، وبلغ ذلك الخـبر إلى لاسلكي المدينة بواسطة ينبع البحر، جاء فيه:

> لقد اضطرت دولتنا العثمانية لعمل هدنة مع دول الحلفاء، وذلك لما ظهرت آثار الهزيمة علينـا بعـد إبـراز تضحيات تحير العقول في سبيل الدين والشرف لمدة تزيد عن أربع سنوات. وقد ورد في إحدى مـواد الهدنـة تسليم كافة القطاعات العثمانية الموجودة في اليمن وعسير والحجاز إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء، ونحن على يقين بأن هذا الأمر سيكون صعباً على رفقائنا في العسكرية الذين ظلوا يخدمون لحماية الشرف، إلا أن هـذا كان بمثابة حماية الوطن من الموت المحقق، ونحن نقدر لكم بالتأكيد موقفكم هذا الذي هو بالتأكيد نابع مـن حبكم للوطن، وأنا متأكد بأنك ستتحمل هذا الحمل الثقيل بالطاعة وكمال الصلابة، وأرجو من الله العزيـز القدير أن تعودوا في أقرب وقت إلى أوطانكم سالمين(٣).

وصل ذلك الخبر من بور سعيد في مصر إلى المدينة في ٣ صفر ١٣٣٧هـ/ ٨ نوفمبر (تـشرين الآخر) ١٩١٨م، وعلى الرغم من كل تلك البرقيات اللاسلكية، استمر فخري باشا في مقاومته وكأن

---

(١) الأميرال سومرست آرثر كوج كالثورب (....- .....هـ/ ١٨٦٤- ١٩٣٩م): ولد في لندن، وهو ابن البارون كالثورب السابع، دخل القوات البحرية البريطانية في سنة ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وبعد توليه عدة وظـائف شـغل منصب مستشار وزارة البحرية سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، وفي سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م عين قائداً على أسـطول البحر الأبيض المتوسط، وفي سنتي ١٣٣٦- ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨-١٩١٩م عين مندوباً بريطانياً سامياً في إسـتانبول. راجع: **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s6.

(٢) Kandemir,ss 532-534 . Kedourei,ss 126-127 .

(٣) Kandemir,ss173-174. şimşir,Bilal. **Malta sürgünleri**. Istanbul,1976,s28. tansel,Selahettin. **Mondrosdan modanyaya kadar**. 1,Ankara,1977,s57. الحربي، فايز بن موسى. **فخري باشا وحصار المدينة.. قراءة جديدة**. محاضرة في ثلوثية رشيد البيضاني، جدة، مساء الثلاثاء ٢٣ المحرم ١٤٣٠هـ، ق٥.

تلك البرقيات لم تصل إليه(١).

كان فخري باشا لا يريد قبول فكرة تسليم المدينة أصلاً؛ ولهذا فإن ذلك الخبر الذي تلقاه زاد من ألمه وغمه(٢)، وهو الأمر الذي جعله لا يخطر إستانبول بأنه تلقى تلك البرقيات، إلا أن القائمقام أمين بك(٣) -وكيل رئيس الأركان الحربية- أخطر إستانبول بتلقي تلك البرقيات من دون أن يحصل على إذن من فخري باشا، فعاقبه فخري باشا على ذلك التصرف(٤)، وقد فسر فخري باشا الأمر الواصل إليه من أحمد عزت باشا على هذا النحو:

ما معنى أن نضيف كلمة الطاعة بعد أن نذكر تعبير كمال الصلابة الوارد في الأمر، ألا يعد هذا تضاداً؟ وبينما كان لازماً إطاعة الأوامر الصادرة من القادة، ما فائدة تكرار الكلمة نفسها؟ أم أن هذا يشكل استثناءً؟ والجملة التي تقول بعودتنا إلى أوطاننا سالمين أليست غريبة؟ لأن هذه القلعة التي ندافع عنها منذ سنوات إن لم تكن هي وطننا فلماذا ندافع عنها بهذا الشكل، ونضحي بأنفسنا في سبيلها؟ ألا نعترف بها كقطعة من وطننا؟(٥).

وترى الطالبة أن فخري باشا كانت لديه القدرة على استيعاب الحدث وأبعاده المستقبلية، ومن ثم كان دقيقاً في تفسير أمر أحمد عزت باشا بما يخدم إصراره على الدفاع عن المدينة، بوصفها جزءاً من وطنه.

ومن هذا المنطلق كان فخري باشا يتشكك في موضوع التسليم، وفي شكل وصوله، لكنه لم يكن محقاً في ذلك كثيراً، فقد ذُكر ذلك الأمر في وثيقة أخرى على هذا النحو:

لقد وصلت صورة الأمر الخاص بعقد الهدنة في ٨ تشرين الآخر ١٣٣٤ على شكل شفرة موقعة بتوقيع رئيس القيادة العامة للأركان الحربية أحمد عزت باشا، وجاء فيه أنه تم عقد الهدنة فجأة، وضرورة التسليم، وبعدها مباشرة وصلت صورة الأمر من الجانب البريطاني، وقد انتقل مفتاح تلك الشفرة من قبل إلى العدو، ونظراً لأن نظارة الداخلية أرسلت مذكرة أخطرت فيها بعدم استعمال المفتاح المذكور كان من الطبيعي أن يحدث لدى الباشا تشكك من صحة الأمر الوارد إليه(٦).

وعندما أرسل الباب العالي الأوامر إلى المدينة من أجل تسليم المدينة دعا فخري باشا بعض الضباط والجنود إلى الحرم النبوي الشريف، وأخطرهم بأنه أخطر بشروط الهدنة، وذلك بعد أن لخّص

---

(١) Yatak,s130.

(٢) **Türk istiklal harbi,**s 47 .

(٣) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٤) Kiciman,ss381-383 .

(٥) a. g. e, ss381-382.

(٦) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, s7.

لهم وضع الحرب، ودعاهم إلى الدفاع حتى وصول الإرادة السنية[١]، وكان مما قاله لهم:

لقد اقترح علينا الألمان عدة مرات أن نخلي المدينة؛ لأننا لن نستطيع الدفاع عنها، وقد رفضت هذا الاقتراح، وحتى هذا اليوم دافعت عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم بشجاعتكم. حقيقة لقد قضينا أياما فقدنا فيها الأمل، ولكننا لم نحنِ أعناقنا للعدو بفضل الله ثم روحانية وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ولن نحنيها أبداً إن شـاء الله، وسنرى مكافأتنا على تلك المتاعب والمشقة التي واجهناها، وبالرغم من هذا لم تنته كل المعاناة، ولهذا فإن مهمتنا مهمة للغاية، وسنصبر ونثبت، وسنعمل من أجل تأمين سيادة حكم سلطاننا في الأراضي المقدسة، حتى وإن ضحينا بأنفسنا كلنا في هذا السبيل... والآن لقد أوضحت لكم الوضع وما يجب عليكم، وأطلب مـنكم الصبر والثبات ودوام المقاومة، وأسأل الله الهداية والشفاعة من رسوله صلى الله عليه وسلم[٢]. تعليق+

ويفهم من ذلك أن فخري باشا رفض الاستسلام، وبدأ في اتخاذ الإجراءات التي تعمـل علـى استمرار المقاومة، فعمل على تعطيل الـ اعات الموجودة حول المدينة، وأمر بإخلاء الساحة الممتدة لمسافة مئتين كيلومتر على طول خط السكة الحديدية، وأمر بجلب كل الجنود الموجودين في تلك الأماكن إلى المدينة[٣].

وقد تشككت بريطانيا نسبياً في عدم إطاعة فخري باشا للأوامر، وأوصى المنـدوب الـسامي لبريطانيا بالقاهرة فرانشيس وينجت Francis Wingate[٤] حكومته في ذلك الموضوع ـذا الشكل: "يجب إخطار فخرى باشا بالأمر مجدداً، وأن عليه تسليم المدينة إلى الأمير علـي"[٥]، أمـا جـورج كيدستون George Kidston -السكرتير الأول للخارجية- فقـد أخـبر حكومتـه في ١١ صـفر ١٣٣٧هـ/ ١٦ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م بأنه لن يتم التمكن من اتخاذ أي إجراء عـسكري في المدينة، وزعم أن فخري باشا كان قد حصل أو ينتظر المساعدة من الإمام عبد العزيز بن سـعود، وفي حقيقة الأمر فإن فخري باشا بعث رسالة إلى الإمام عبد العزيز بن سعود، وطلب منه المساعدة بإرسال

---

(١) Kıcıman,ss394-399. Sonyle,Salehi. "Ingliz Belgelnie Ciore Medine Mudfee Fahnddin Pasa" **Belleten** 141 – 144 –1972, s343.

(٢) Kıcıman,ss394-399 .

(٣) Kandemir,s175. şimşir,s28 .

(٤) فرانشيس وينجت (١٢٧٧- ١٣٧٢هـ/ ١٨٦١- ١٩٥٣م): لواء بريطاني، اشتغل نائبـاً لـوالي الـسودان البريطاني في الفترة من ١٣١٦- ١٣٣٤هـ/ ١٨٩٩-١٩١٦م، ثم مندوباً سامياً، وأحيل علـى التقاعـد في سـنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، وقد نشرت مذكراته في سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، وكانت باسم وينجات السوادن. راجع: **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s9.

(٥) Tibawi,A.L. **The last Knight of the last Caliphs,Arabic and Islamic mes**. London,1976,ss154-158 .

قواته إلى المدينة للقضاء على ثورة الحسين، لكن الإمام عبدالعزيز بن سعود رد على فخري باشا بأنه لن يأتي بقواته إلا في حالة واحدة وهي قيام إمبراطور ألمانيا والنمسا بالتصديق على حدود إمارته. وجد فخري باشا رد الإمام عبدالعزيز بن سعود غير مناسب، فأرسل له خطاباً يخطره بأنه يجب عليه أولاً أن يؤدي الخدمة المطلوبة منه، ثم ينتظر المكافأة بعدها، ولم يرد الملك عبد العزيز على ذلك الخطاب الأخير(١)، وقد تشككت بريطانيا من تلك العلاقة بدرجة كبيرة، حتى إنه عندما وقعت تلك المكاتبات في أيديهم تسلم العقيد بسات(٢) من وينجات وظيفته(٣).

ومما يلفت الانتباه أن عدد الفارين من العسكرية منذ توقيع الهدنة كان يزداد؛ لذا أصدر فخري باشا أمراً في ١٢ صفر ١٣٣٧هـ/ ١٧ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م باتخاذ الإجراءات الصارمة تجاه الفارين، وقد استفاد في تلك الفترة من الأموال التي جمعها بالصكوك من الجنود الموجودين حوله في خط الحصار، وخصصها كلها للمؤن، كما تمكّن من تأمين مساعدات تقدر بخمسة آلاف قطعة ذهبية من حسين بن مبيريك، وبينما كان فخري باشا مستمراً في موقفه ذلك أمر في ١٣ صفر ١٣٣٧هـ/ ١٨ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م بتقليل الرواتب التي تعطى للجنود والموظفين الموجودين في المدينة(٤)، ويفهم من هذا أنه كان على الأقل سيدافع عن المدينة فترة أخرى.

ثانياً: موقف بريطانيا من رفض فخري باشا الاستسلام

١- إعطاء مهلة لفخري باشا لتسليم المدينة:

كانت محاولات فخري باشا المختلفة من أجل عدم تنفيذ شروط الهدنة قد دفعت بريطانيا إلى اتخاذ إجراءات أكثر تأثيراً، ومن ثم أخذت بريطانيا في الضغط على الباب العالي بواسطة الجنرال إدموند هنري هاينمان اللمبي Edmund Henry Hynman Allenby (٥)، ومما لا شك فيه أن عدم تسليم

---

(١) Kıcıman,ss383-384 . Kandemir,ss540-543 .

(٢) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٣) Kandemir,s175 . şimşir,s28.

(٤) Kiciman,ss367 -370 , ss382-383 .

(٥) الجنرال إدموند هنري هاينمان اللمبي (١٢٧٧- ١٣٥٤هـ/ ١٨٦١- ١٩٣٦م): ضابط وإداري بريطاني تخرج في الكلية العسكرية الملكية في ساند هيرست سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، وانضم إلى فرقة فرسان إنكسلينج السادس المتواجدة في إفريقيا، ثم التحق بكلية الأركان في كامبرلي ببريطانيا، وبعدها إلى إفريقيا ليشارك في حرب البوير، كان يعمل مندوباً سامياً في مصر، وكان له دور في الحرب العالمية الأولى سنتي ١٣٣٥ و١٣٣٦هـ/ ١٩١٧و١٩١٨م، وبعد تقاعده عن العمل عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م عاد إلى بريطانيا وقضى فترة وجيزة رئيس جامعة أدنبرة، توفي عن عمر ناهز ٧٥ عاماً.

المدينة أفاد دول الحلفاء؛ لأنه أعطاهم الفرصة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وهـو مـا فعلته بريطانيا على أفضل شكل، واتخذت من تراخي فخري باشا في تسليم المدينة وعدم تنفيذ شـروط الهدنة حجة لها، وأمنت بذلك تأسيس علاقة لها مع أحمد توفيق باشا الذي كان منحازاً لدول الحلفـاء في إستانبول.

كان عدم تسليم المدينة قد جعل موقف بريطانيا يزداد قوة ضد الدولة العثمانية، خصوصاً أ ـا أرسلت مذكرة إلى حكومة الدولة العثمانية في ١٤ صفر ١٣٣٧هـ/ ١٩ نوفمبر (تـشرين الآخـر) ١٩١٨م كانت تحمل سمة التهديد؛ إذ أوردت فيها أ ا ستعلن الحرب مرة أخرى، وأ ا لن تبقي مكاناً مستقلاً في الدولة العثمانية، وعلى هذا كان عناد فخري باشا سبباً في تغيير الحكومة، وزيادة الـضغط على الدولة(١).

وبينما كانت الأحوال على ذلك في إستانبول إذا بضابط من الذين فروا من المدينة يصل إلى محطة بواط، ويحضر رسالة إلى فخري باشا من علي، أورد فيها أنه يجب عليه أن يسلم المدينة بسبب توقيـع الهدنة(٢)، فرد فخري باشا عليه برفض اقتراحه بالتسليم، وطرده من المدينة(٣).

وبدأ فخري باشا يوضح لأتباعه أن حكومة الحسين كانت تستغل بعض الأقوال الإيجابية، كـأن تقول: إ ا لن تطلق عليهم النار رغبة منها في خداع قوات فخري باشا والمكر ا. وكان غرض فخري باشا من تنبيه قواته لمثل ذلك هو تحريضهم على مواصلة الدفاع عن المدينة(٤).

وفي ١٧ صفر ١٣٣٧هـ/ ٢٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م أخطر وينجات بأن فخري باشا في المدينة والولاة في اليمن وعسير ما زالوا يتشككون في شروط الهدنة، وأن العرب لا يعترفون بقائـد قوات التحالف(٥)، واستفسر من حكومته عن الإجراء الذي سيتم اتخاذه مع الحكومة العثمانية، فأرسل وزير الخارجية البريطاني رداً في اليوم نفسه بواسطة مكتب البرق اللاسلكي الموجود في مصر أورد فيـه أنه لن يتم صرف أي تعويضات في اليمن وعسير والحجاز، وأوضح ضرورة تسليم القواعد الموجـودة ا، وذلك عطفاً على ما أورده كالثورب(٦).

كان صبر بريطانيا قد نفد، ولهذا هدد كالثورب في المذكرة التي أرسـلها إلى وزارة الخارجيـة

---

(١) Akşin, Sina . **Istanbul hükümetleri ve milli mücadele**. Istanbul,1983,s108 .

(٢) Kiciman,s391 .

(٣) a. g. e.

(٤) a. g. e.

(٥) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, s11.

(٦) a. g. e,ss10- 11.

العثمانية بأنه إن لم يتم تسليم المدينة حتى ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م فإنه سيتم ضرب كل الاستحكامات الموجودة في المضيق، وقد رد مصطفى رشيد باشا -وزير الخارجية العثماني- على ذلك التهديد، وألمح إلى أن فخري باشا في حالة تمرد وعصيان على الدولة، فضلاً عن أنه زعم أن ضرر سلطة الحكومة لن يمتد حتى عسير واليمن والحجاز، إلا أن بريطانيا زعمت أن كل الأعضاء الذين وقعوا على الهدنة مضطرون لتطبيق موادها، وفي النهاية قبلت بريطانيا مسألة عدم امتداد سلطة الباب العالى إلى الحجاز بسبب استمرار فخري باشا في عناده على الرغم من كل التهديدات(١)، وأرسل جورج كيدستون رسالة إلى وزارة الخارجية في ٢٢ صفر ١٣٣٧هـ/ ٢٧ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م يشير فيها إلى انحياز فخري باشا إلى الاتحاد والترقي، وأن هناك احتمالية أن تكون المقاومة الموجودة في الحجاز واليمن والقوقاز إنما هي من جانب تلك الفرقة بشكل مستقل عن الحكومة العثمانية؛ إذ أورد المذكور في خطابه ما يأتي: "إن فخري باشا يمكن أن يفتح جبهات كثيرة علينا، ويمكن أن يقاوم لفترة أطول، وإنه لو حرض ابن سعود والوهابيين على الحسين سيكون الحسين في موقف صعب"(٢).

وقد أكّد وينجات لحكومته أنه وصله تقرير من ينبع يفيد بأن فخري باشا تسلم أمر الحكومة العثمانية المرسل إليه في ٢٥ صفر ١٣٣٧هـ/ ٣٠ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩١٨م الخاص بتسليم المدينة، وأنه رد على حكومته بأنه لن يستطيع الموافقة على الشروط المرسلة إليه برقياً، وأنه لن يسلم المدينة مادام لم يأتيه أمر مصدق ومكتوب من الحكومة العثمانية، وقد بذل أمراء العرب جهوداً كبيرة من أجل السيطرة على البدو الذين كانوا يريدون القيام بتصرفات تخالف تلك الاتفاقية، وإن لم يتم تسليم المدينة كما ينبغي فإن هذا قد يؤثر بالسلب بشكل كبير في موضوع أمن أسرى الحرب في أثناء إخلاء المدينة، ولأنه من الصعوبة بمكان فهم ما يرمو إليه فخرى باشا فإني أقترح أن تقوم الحكومة العثمانية بإرسال ضابطا عثماني بأوامر مكتوبة ومصدقة من الحكومة إلى فخري باشا ليسلمها له، وذلك قبل الدخول في أي مخاصمات جديدة قبل حلول موعد ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م الذي أعطته بريطانيا مهلة لتسليم المدينة(٣).

وفي ٢٨ صفر ١٣٣٧هـ/ ٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م أخطر وينجات فخري باشا وإستانبول بأن بريطانيا كانت تريد الوصول إلى حلّ قاطع في تلك المسألة؛ لذا فقد أمهلت فخري باشا في تسليم المدينة إلى ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، وإن لم يتم

---

(١) Sina akşin ,s108.

(٢) tibawi,ss156-158 . kedourie ,s132.

(٣) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s12.

تسليم المدينة حتى ذلك التاريخ فإن بريطانيا لن تقوم بأي تدخل من جانبها من أجل إيقاف هجمات قوات الحسين.

وبناءً على ذلك الاقتراح قامت وزارة الخارجية البريطانية بإرسال رسالة إلى أمير الأسطول (الأميرال) ويب الموجود في إستانبول في ٥ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م ليطلب من الحكومة العثمانية التحرك لتنفيذ مطالب وينجات(١)، وسيتم إرسال السفراء إلى فخري باشا بعد ذلك.

٢- سفراء التفاوض:

لما تبين للحكومة البريطانية أن فخري باشا لن يطيع الأوامر الواردة إليه برقياً من القواعد البريطانية طلبت بريطانيا من الدولة العثمانية بواسطة اقتراح تقدم به وينجات على شكل اتفاقية أشعرها حكومة إستانبول من قبل كالثورب في ٢ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م أن ترسل إرادة إلى المدينة تكون تلك الإرادة مكتوبة بشكل يتفق مع مطالب بريطانيا التي فقدت صبرها من تصرفات فخري باشا(٢)، وبعد مشاورات وافقت الحكومة العثمانية على مطالب وينجات التي تقدم بها كالثورب، وقد تكفلت بريطانيا بمسألة وصول الضابط المرسل إلى المدينة سالماً وبسرعة، وكانت هناك تخمينات أن يصل ذلك الضابط إلى المدينة في عشرة أيام(٣).

ولتنفيذ ذلك اختير النقيب (اليوزباشي) ضياء بك ياور لتلك المهمة، وأن يسافر إلى بورسعيد، ومن هناك إلى المدينة بالطائرة البحرية، وحالما تسلم ضياء بك الأمر من الحكومة تحرك من إستانبول إلى الإسكندرية في ٥ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، ومن ناحية أخرى كانت بريطانيا تريد تسليم المدينة قبل انتهاء المهلة المحددة حتى ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م(٤).

واستقل ضياء بك زورقاً بريطانياً في ٥ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، وكان هدفه الوصول إلى المدينة قبل انتهاء الفترة التي حددتها بريطانيا، ووصل إلى الإسكندرية في يومين، ولعدم وجود طائرة بحرية هناك ذهب إلى السويس بالقطار في ست ساعات، ومن هناك ركب الزورق ووصل ينبع البحر، وفي كل مرحلة من مراحل رحلته كان يستقبله ضابط بريطاني، وفي

---

(١) kürkçüoğlu, Ömer. **osmalnlıdevletine karşı arap bağımsızlık hareketi (1908-1918)**. Ankara,1982,s241.

(٢) Kedourie, ss133-134.

(٣) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s12.

(٤) a. g. e.

٩ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م أخطر ضياء بك بأن فخري باشا إن لم يسلم المدينة ستقوم بريطانيا بضرب كل القلاع الموجودة على المضيق بالقنابل، ولهذا أخر ضياء بك حركته حتى مساء يوم ١١ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، وقد أخطرت حكومة إستانبول أيضاً بالتهديد نفسه، وعلى الرغم من أن المهلة التي حددتها بريطانيا لتسليم المدينة انتهت فإن بريطانيا قررت مد المهلة اثنتين وسبعين ساعة أخرى حتى يجد السفير المرسل إلى فخري باشا متسعاً من الوقت، وإلى جانب ذلك أمن وينجات عملية إيقاف المصادمات الدائرة بين القوات العربية حول المدينة حتى يتم تسليمها(١).

خرج ضياء بك يرافقه ضابط بريطاني من ينبع البحر على ظهور الإبل، ووصلا إلى بئر درويش الذي كانت تعسكر فيه قوات الحسين، وذلك بعد رحلة استمرت ستاً وخمسين ساعة، وبينما كان ضياء بك هناك أخطر بأن الحكومة البريطانية مدت المهلة أيضاً إلى ١٩ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، فتحرك ضياء بك من بئر درويش ووصل إلى جليجلة في ١٤ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م(٢).

وفور وصوله أخطر الجنود بأنهم سيعودون إلى وطنهم الأم في أقرب وقت، ووزع عليهم الخطابات التي أرسلها لهم ذويهم، وفي تلك الأثناء أخطر فخري باشا بوصول ضياء بك، فاستقبله فخري باشا في منتصف الليل في ١٥ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، وقام ضياء بك بإبلاغ قيادة المدينة تحيات وزير الحربية عبد الله باشا، وأمر الحكومة بتسليم المدينة، وأوضح ضياء بك لفخري باشا وضع الدولة في المباحثات التي تمت بينهما حتى الساعة السادسة صباحاً. ولأن ضياء بك أدرك من كلام فخري باشا أنه لن يسلم المدينة أوضح له أنه إن لم يقُم بتسليم المدينة فإن الدولة ستتعرض لمتاعب كبيرة، كما سيتعرض الجنود لمصاعب أكبر، وكان مما قاله لفخري باشا: "أنت ليس لك الحق في أن ترسل الجنود والضباط الموجودين تحت قيادتك إلى المذبحة، وذلك منذ أول يوم تسلمت فيه هذا الأمر"(٣).

لكن فخري باشا لم يهتم كثيراً بما قاله ضياء بك؛ لأنه كان عازماً على عدم تسليم المدينة، وكانت هناك أسباب من وجهة نظر فخري باشا لعدم تسليمه المدينة واستسلامه، وهي:

١- تمسكه بالدين، ومن ثم رفضه ترك المدينة بسهولة، بل إنه كان عازماً على الموت فيها إذا

---

(١) **islam Mecmuası**, sayı 15, 8 kasım 1984, ss 10-12 . "Fahr eddin paşa ve cihadı" **Cihad önderleri,** 1, Istanbul, 1987, ss103-104 .

(٢) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s13.

(٣) a. g. e, ss13-14.

اقتضى الأمر.

٢- إيمانه بقدسية المدينة، ومن ثم فإنه لم يرض بأي شكل من الأشكال إخلاء المدينة مهما كانت الأسباب العسكرية.

٣- رفضه تسليم نفسه أو جنوده لحكومة الحسين أو لبريطانيا، وضرورة تمكينهم من العودة إلى إستانبول، وهذا ما اقترحه بعد ذلك.

٤- احتمالية إعلان استقلال المدينة وما حولها.

٥- استمرار المقاومة حتى معاهدة السلام، وذلك لوجود مؤن وذخائر في المدينة تكفـي فتـرة طويلة.

٦- كان يدرك أن السلطان نفسه كان يقع تحت الضغط البريطاني؛ لذلك لم يرغب في إطاعـة الأمر.

٧- احتمالية ترك المدينة للإمام عبد العزيز، وليس للحسين الذي كان بمثابة الثائر ضد الدولة.

٨- كسب الوقت لتقييم الفرص التي يمكن أن يخرج بها (كتغيير الحكومة مثلاً).

٩- اعتقاده أن المادة السادسة عشرة من الهدنة كانت ستضم أيضاً الحجاز، وأن يـتم إحـلال قوات للحفاظ على الأمن والنظام به مثلما اشترطوا ذلك في كليكيا.

١٠- عدم وجود قائد من دول الحلفاء في رتبته يمكن أن يسلمه المدينة.

١١- شعوره بأن استسلامه سيؤدي إلى تعرض القوات العثمانية حتى ينبـع للـهجوم في كـل وقت(١).

لذا فإن فخري باشا بمجرد أن قرأ الأمر الذي أحضره ضياء بك، وكإجراء مضاد، أصدر في ١٦ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م أمراً إلى كل الوحدات والتشكيلات كان محتواه كما يأتي:

إنني أرجو منكم أن تكونوا منتبهين متيقظين في أداء مهماتكم، مستندين في ذلك على عون المولى عـز وجـل، مستمدين القوة من روحانية رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن تبذلوا كل ما في وسـعكم وتـضحوا بالغـالي والنفيس لتتصدوا لأي عملية من شأنها أن تنال من المهام التي وكلتكم بها أيا كان من يقوم بهذه العمليات، سواء أكانوا أفراداً أو جماعات، فأرجو الاهتمام في التو والحال بأداء ما عليكم من واجب ديني وعسكري(٢).

وكان ذلك الأمر من فخري باشا بمثابة نصيحة وتنبيه، وبتعبير أكثر دقة كان إخطاراً، وقد كتب

(١) a. g. e, ss18- 19.

(٢) Sonyel,s 351.Kıcıman,s 403.

على أمل مكافحة الفهم أو التفسير الخاطئ، و ـدف دعوة الذين قد يتسببون في إثارة الجدل في ذلـك الشأن إلى واجبهم الذي يحتم عليهم أن ينصتوا إليه(١).

إلا أنه لا يمكن القول: إن ما شرحه ضياء بك كان أكثر تأثيراً في فخري باشا؛ لـذلك أوضـح فخري باشا لضياء بك موضوع تسليم المدينة قائلاً: "إن قلعة المدينة لا تشبه أي قلعة أخرى، ونظراً لأ ا مشرفة بالمرقد النبوي، وأ ا ركيزة الخلافة، وكان الدفاع عنها يتم لعدة عصور باسم الخليفة، فإنـه لا يمكن إخلاء هذا المكان المقدس إلا بإرادة سنية من الخليفة نفسه"(٢).

كان فخري باشا يرى أنه لا يمكن تسليم المدينة لأحد من البريطانيين أو لحكومة الحسين الـذين كان يراهم عصابة من اللصوص ثائرة ضد الخليفة، وأنه لا يقبل أي أمر سوى أمر الخليفة. وعلى الرغم من أنه كان يفكر بذلك الشكل إلا أنه قام بجمع كبار ضباطه، وقرأ عليهم أمر ضياء بك بتسليم المدينة، وأوضح لهم أنه توصل إلى قراره بأنه لن يقبل تسليم المدينة إلا بقرار من الخليفة يكون مصدقاً من مجلس المبعوثان، وطلب منهم إعطاءه رأيهم في هذا، خصوصاً أنه أوضح لضباطه أيضا أنه لو سلّم المدينة فإن القبائل ستهجم عليه بمجرد وصوله إلى ينبع. لم يعط الضباط ا تمعون قراراً محدداً في ذلك الاجتماع إلا أن أمين بك أحد ضباطه اعترض على ذلك، وكان أول عمل قام به فخري باشا بعد الاجتماع مباشرة عزل أمين بك من رئاسة الأركان العامة(٣)، ثم نشر تعميماً وزعه على كل الوحدات بضرورة الاتحـاد والسعي إلى الاتصال بإستانبول وزيادة المؤن اليومية، وأوصاهم بالتحلي بالصبر(٤).

أعطى فخري باشا رداً إلى إستانبول أوصله ضياء بك جاء فيه: "إنه لن يسلم المدينة طالما لم يأته أمر من السلطان بذلك"(٥). تحرك ضياء بك من المدينة في ٢٠ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٤ ديـسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، ووصل إلى بئر درويش، ومن هناك أرسل رسالة سرية إلى إستانبول، وصلت تلك الرسالة في ١١ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٤ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م، وقد ذكر فيها ضـياء بك فعاليات رحلته، وركّز في نقاط منها:

١- فخري باشا لن يسلم المدينة ويتركها بكل الجنود والضباط إلا بإرادة سلطانية ترسل إليه.

---

(١) Kıcıman,s 403.

(٢) a. g. e, s404.

(٣) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, ss378- 379.

(٤) Kandemir,ss182 -183 . Kiciman,s 404.

(٥) söylemezoğlu,Galip Kemali. **başımıza gelenler(1918- 1922)**.Istanbul,1939,ss47-52-54 . tansel,ss63-64,s133.

٢- في المدينة مؤن تكفي ستة أشهر أو سنة، وتجهيزات عسكرية تكفي سنتين أو ثلاث سنوات.
٣- الجنود في حالة سيئة جداً؛ فالجندي الواحد يأخذ يومياً ثمانين جراماً مـن الخبـز، وبعـض تمرات، وأرزاً، وأحياناً مقداراً قليلاً من اللحم، كما أن حالة الطقس غير مناسبة للجنود؛ مما أدى إلى انتشار الأمراض بينهم، وهذا الأمر يجعلهم في حالة لا تؤهلهم للحرب، كمـا أن الجنود يعانون الأنفلونزا الإسبانية، والمستشفيات تكتظ م.
٤- فخري باشا تمكن من إنعاش الحالة المعنوية للجنود بفضل قر م من النبي صـلى الله عليـه وسلم.
٥- فخري باشا جعل آخر خط دفاع له هو قبر النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد ادخـر هنـاك كميات كبيرة من المؤن والمهمات، وحل مشكلة المياه هناك بحفر بئر في الروضة المطهـرة، وقرر المكوث في الجبهة بدلاً من تسليم المدينة لحكومة الحسين.
٦- فخري باشا رجل متدين جداً، فكلما تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو قبره فاضـت عيناه بالدمع، ولهذا يجب أن يتم التصرف معه بلطف.

وبناءً عليه أوصى ضياء بك الحكومة العثمانية بما يأتي:

أ- يجب أن تكون عودة فخري باشا وجنوده إلى إستانبول برضاء من بريطانيا.

ب- لأن العلاقات بين الأشراف والقبائل سيئة فإنه من الممكن الاستفادة من الإمام عبدالعزيز بـن سعود في بعض الموضوعات.

ج- يؤخذ في الحسبان مسألة نجاح التوصيتين السابقتين أو فشلهما؛ لذا يجـب إرسـال إرادة سلطانية إلى فخري باشا.

د- في حالة رفض فخري باشا ما طرح يجب عزله وتعيين والٍ وقائد جديد، وأن يكون الـوالي الجديد مصدقاً بإرادة سلطانية؛ لأن كل الضباط الكبار الموجودين في المدينة تحت تأثير فخري باشا(١).

ولما علم وينجات من ضياء بك أن فخري باشا لن يسلم المدينة أخطر حكومته بـالأمر في ١٩ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٣ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م؛ لذا بدأت بريطانيـا تـشك في نوايـا العثمانيين. ولأ ا تراجعت عن القيام بحركة عسكرية قررت إرسال سفير آخر إلى فخري باشـا مـن الضباط العثمانيين برتبة كبيرة؛ لأنه عند الضرورة سيحلّ ذلك الضابط محل فخري باشا، كما سيكون ذلك الضابط السفير الجديد مصدقاً بإرادة من السلطان، وسيكون الجنرال كالثورب مراقباً على الرسالة التي سيتم إرسالها معه.

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت قد قررت إرسال سفير جديد إلا أ ا كانت تدرك أن إرسال

(١) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, ss14- 15.

السفراء إلى فخري باشا من دون جدوى وليس له معنى. ولأن المهلة التي كانوا قد منحوها لتسليم المدينة قد انتهت فإن هذا كان يعني أن الحرب قد بدأت في الحجاز، وعلى حد زعم بريطانيا فإن الحكومة العثمانية كانت تريد الإفلات من المسؤولية(١).

وفي ٢٢ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م شددت الحكومة البريطانية على الحكومة العثمانية بضرورة إرسال سفير جديد إلى المدينة، ورضخت الحكومة العثمانية لذلك المطلب، وقررت إرسال هيئة مكونة من حيدر مولا -وزير العدل- وأحمد لطفي بك -قائد فرقة الحجاز سابقاً- من أجل تلك المهمة، وتحسباً لأي موقف تم تعيينه قائداً لجيش الحجاز بدلاً من فخري باشا(٢)، وكان الهدف الأساسي إسداء النصح لفخري باشا، وأبحرت الهيئة على متن سفينة حربية سريعة إلى ينبع(٣).

وفي تلك الأثناء كانت الخارجية البريطانية تتباحث أيضاً في مسألة تخريب أحد الاستحكامات العثمانية الموجودة على المضيق بسبب عدم تسليم فخري باشا المدينة، وتم إخطار ممثلي دول الحلفاء الآخرين، إلا أن المباحثات أسفرت عن قرار بإرجاء ذلك الأمر إلى حين ذهاب الهيئة الأخيرة إلى المدينة والنظر في نتائجها. وفي تلك الأثناء كانت هناك مسألتان تقلقان بريطانيا: الأولى مسألة احتمالية قيام فخري باشا بتفجير الذخيرة الموجودة في قلعة المدينة، والأخرى احتمالية قيامه بالاتحاد مع الإمام عبدالعزيز بن سعود ضد الحسين؛ لذلك قطعوا الاتصال بين المدينة وإستانبول(٤)، وعلى الرغم من أن الإجراءات التي اتخذ ا الحكومة العثمانية كانت قد قوبلت برد فعل طيب إلى حد ما لدى بريطانيا إلا أ ا لم تزل شكوكهم كلية.

تحركت الهيئة من ينبع، وعندما اقتربت من المدينة قام فخري باشا بتسليم المدينة بناءً على الاتفاق الذي عقده مع عبد الله وعلي كما سيأتي ذكره(٥). وعلى الرغم من أنه لم يكن أمام الهيئة أي عمل سيقومون به تجاه ذلك الوضع الجديد إلا أ م ذهبوا إلى المدينة بقصد الزيارة البحتة في ١١ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٤ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م(٦)؛ إذ قال حيدر مولا: "لقد سلّم فخر الدين باشا

---

(١). Kedourie,ss133-135

(٢) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, s16.

(٣) Ayni,Mehmed Ali. **Milliyetçilik**,Istanbul,1943,s240. **Türk istiklal harbi**,s47.

(٤) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s16.

(٥) a. g. e,ss16- 17.

(٦) Kiciman,ss487-491. Bayur,Hikmet. **XX. Yüzyılda türklüğü tarih ve Acun siyasası üzerindeki etkiler**,Ankara,1974,s164.

بالشروط التي كانت معلومة قبل وصولنا إلى المدينة؛ ولهذا فإني ذهبت إلى المدينة بقصد الزيارة البحتة لا أكثر، وقد تركني فخري باشا في السويس"(١).

ثم عادوا إلى إستانبول بسفينة بريطانية في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١ فبراير (شباط) ١٩١٩م(٢).

ثالثاً: تسليم المدينة

١- ظهور معارضة داخلية ضد فخري باشا:

على الرغم من موقف فخري باشا إلا أنه حدث نوع من عدم الرضا وعدم الارتياح بين الجنود، خصوصاً بعد وصول ضياء بك؛ إذ بدأ جنود فخري باشا يفكرون في عدم جدوى المقاومة؛ فقد قاتلوا نحو أربع سنوات، وبلغوا من التعب ما بلغوا، ولهذا كانوا يريدون العودة إلى أوطانهم واللحاق بأهلهم وذويهم في أسرع وقت، وكانوا لا يجدون تفسيرا أو معنى لعدم تسليم القادة، وفي الوقت نفسه كان عناد فخري باشا وعدم تطبيقه أحكام الهدنة يقلق بريطانيا جداً، وكذلك استمروا في الضغط على حكومة الدولة العثمانية وعلى فخري باشا(٣).

بدأت المعارضة ضده منذ قدوم أول مبعوث إليه، وكان أول من رفع لواء المعارضة ضده هو أمين بك(٤)، وكان أمين بك يقوم بعمل دعاية لحكومة الحسين منذ قيام فخري باشا بالدفاع عن المدينة، وأكثر من تأثر بتلك الدعاية هم الجنود والضباط العرب الموجودون في القلعة مع فخري باشا؛ فقد كان أولئك الجنود والضباط العرب لا يستطيعون التفوه أو التحدث بأي شيء من قبل، لكنهم بعد ذلك أصبحت لديهم القدرة على التكلم والاعتراض، خصوصاً بعد أن بدأ الاعتراض يظهر بين العثمانيين أنفسهم. وبوصول ضياء بك إلى المدينة ازدادت حركة المعارضة ضد فخري باشا، وقد وصف قيجيمان وصول ضياء بك إلى المدينة بقوله: "كأنه ميكروب سام دخل القلعة"(٥). كان ضياء بك يتجول في المدينة براحته، وكان ينشر صحفاً وشائعات لزعزعة معنويات حماة المدينة، وهو الأمر الذي جعله يزيد من المعارضة ضد القائد(٦).

---

(١) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s17.

(٢) a. g. e.

(٣) a. g. e.

(٤) Emin, Mehmed. "Harb – I Umumide Osmanlı Cepheleri Vekayii" **Askeri Mecmua,** sayı 33 e ek, istanbul, 1138, ss58-59 .

(٥) **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**,ss 403-404 .

(٦) a. g. e,s 401 .

وكإجراء مضاد أبلغ فخري باشا جنوده في ١٦ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م بأن يكونوا متيقظين في أداء مهامهم(١).

وعلى الرغم من ذلك إلا أن شائعات ضياء بك هزت حامية المدينة، ونالت من عزمها وإيمانها، لكن فخري باشا لم يبال بأي واحدة منها(٢).

وفي الاجتماع الذي عقده فخري باشا مع كبار ضباطه أعلن أمين بك معارضته فخري باشا صراحة(٣)؛ إذ يذكر أمين بك أن فخري باشا سأله هو ونجيب بك والنقيب إبراهيم نقيب الأركان ومدير الشعبة الأولى بالأركان عن رأيهم، فأجاب أمين بك ونجيب بك بضرورة تنفيذ ما ورد بتلك الهدنة من مادة متعلقة بالوضع في المدينة بشكل فوري؛ لأنه لم يكن هناك حل آخر سوى ذلك. أما فخري باشا وإبراهيم فقد قالا: "فليكن الموت فرضاً بدلاً من الاستسلام"، فعارضهما أمين بك ونجيب بك، وذكر فخري باشا أن تلك مشكلة السلطان العثماني، وقال بشكل قاطع: إنه سيبقى حتى حلول السلام. وبناء عليه رضي نجيب بك وحده فقط بانتظار فرمان سلطاني، أما أمين بك فقد حاول ساعات إفهامهم أن أفكارهم تلك خاطئة، بل إنها بمثابة لعبة شديدة الخطورة، ولفت في حديثه الانتباه إلى الأمر المفتوح المشفر الذي أرسله أحمد عزت باشا بواسطة اللاسلكي، وإلى الأمر المكتوب الذي أرسله عبد الله، وهما أمران تم الحديث فيهما عن الخطر الذي وقعت فيه الدولة العثمانية، ثم قال أمين: "إنه يجب ألا نلقي بأنفسنا في مواقف أكثر صعوبة"(٤).

أغضب ذلك فخري باشا، فعزله من رئاسة الأركان العامة؛ مما دفع أمين بك إلى فتح جبهة معارضة ضد فخري باشا، فأخذ يعمل على توعية الرأي العام، ورأى أن ذلك بمثابة مهمة مقدسة، وادعى أنه تلقى خبراً من إستانبول بضرورة تسليم المدينة. وكإجراء مضاد سعى فخري باشا إلى كسب الرأي العام من خلال أنصاره، وعمل على جمع كل الرتب العليا، وأخذ يوضح لهم ما كان يراه هو في هذا الموقف، ثم انصرف أولئك وقد انقادوا له تمام الانقياد. وبعد عدة أيام قام بجمع قادة الكتائب، ثم بعد ذلك جمع قادة السرايا، وحاول إقناعهم. وفي الوقت الذي كان فيه فخري باشا يشجع أتباعه بتلك الصورة كان الجنود ينامون طريحي الفراش بسبب الأنفلونزا الإسبانية، ناهيك عما كانوا يعانوه من وهن وضعف بسبب سوء التغذية، وما كان ينعكس عليهم من ظروف مناخية قاسية؛ ففي اليوم الواحد

---

(١) راجع ص١٩١ من هذه الدراسة.

(٢) Kiciman,s 404.

(٣) راجع ص١٩٢ من هذه الدراسة.

(٤) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s377.

كانت تموت نسبة منهم تراوح بين خمسين فرداً ومئة فرد، وكان الأطباء في تقاريرهم الطبية يناشـدون بلسان طلق فصيح بزيادة المؤن من أجل أمة محمد التي قُتلت بسبب الجوع وحده(١).

زاد فخري باشا من كمية الطعام الذي يمنح لجنوده في اليوم، لكنه على الرغم من ذلك لم يكن كافياً، ولم يتوانَ فخري باشا ولو للحظة عن الإعلان عن أن الأغذية الموجودة تكفي ستة أشهر كاملة، ومن ثم لم يقترب بأي حال من الأحوال من زيادة المؤن، بل كان يأمر بزرع القمح، لكن كان وهن الجنود وضعفهم يزداد بشكل تدريجي(٢).

وفي تلك الأثناء قام أمين بك بتحرك سريع، فعقد مع المنحازين لفكرة تسليم المدينة اجتماعاً في ليلة ٢٣ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، وقرروا في ذلـك الاجتمـاع ترتيب ثورة ضد فخري باشا بأن يهاجموا معسكره بالقوات التي ستأتي من اللواء الثاني والأربعين واللواء الثاني والخمسين، وتقرر أنه في حالة عدم استجابة القائد فخري باشا لخوض مباحثات تسليم المدينة فإنه سيتم سحب صلاحيات القيادة منه، وسيتم تعيين أكبر الضباط رتبة مكانه ليقوم بـإجراء المباحثـات المذكورة مع ممثلي الحلفاء، وفي ذلك الاجتماع تم إعداد منشور بتوقيع الهيئة المركزية احتوى على نقـد لفخري باشا بشدة، ومما جاء فيه: "لنستيقظ الآن، إن الشخص الوحيد الذي عارض الوثائق الواردة من إستانبول بواسطة ضياء بك هو قائد الفرقة الحجازية، وهو المسؤول عن تلك الأحداث"(٣). وصل ذلك المنشور السري إلى فخري باشا بواسطة عثمان بك قائد الطابور الأول باللواء الثاني والأربعين، كما أنه انتشر بين الجنود الموجودين مع فخري باشا، فأدى ذلك إلى إضعاف حالتهم المعنوية، وضـاعف مـن الحالة السيئة المتدنية التي كانوا يعيشو ا(٤).

لم يتراجع فخري باشا عن قراره في عزل أمين بك؛ لذا ترك أمين بك في اية المطاف المدينة في ٢٦ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م وبرفقته كتيبة مشاة، ولجأ إلى مقر قيادة علي في ٣٠ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٣ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م. وبناء على ذلك قام فخري باشا بإصدار تصريح للوحدات ذكر فيه أن "رئيس الأركان قد هرب خوفاً من أن يقال عنا بأننا نعصي الأوامر، وخوفاً مما سنلاقيه من إهانة من العدو"(٥).

---

(١) a. g. e, ss377- 378.

(٢) a. g. e, s378.

(٣) Kiciman,ss409-415 . Kandemir,ss188-196.

(٤) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, ss19- 20.

(٥) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,ss378- 379.

اجتمع الثائرون ضد فخري باشا، وعلى رأسهم أمين بك، في محطة العيون في ٢٧ ربيـع الأول ١٣٣٧هـ/ ٣١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٨م، وكان هدفهم تحريض الجنود ضده لإنقاذ أشخاص لم تعد لديهم المقدرة على التحمل، ولتنفيذ قرارات الحكومة في أسرع وقت، وقد احتمت الفرقة الثانية التابعة للواء الثاني والخمسين بمعسكر علي الموجود في بئر درويش، وقد كانوا في حقيقة الأمر يخـشون عقاب فخري باشا؛ لذلك قاموا بإفساد البنادق الآلية والمدافع حتى لا يقوم فخري باشا بإطلاق النيران عليهم من خلفهم، وأخطر أمين بك وزارة الحربية بأن فخري باشا ومعه من خمسة إلى عشرة أشخاص ممن يثقون فيه ظلوا في المدينة(١). ولما علم فخري باشا بما قام به أمين بك حزن جداً(٢)، ثم ساق مـن بقي من الجنود إلى الأماكن التي فر منها الجنود الآخرون، ولم يكن في يديه ما يقوم به(٣).

كان تسليم أمين قد مهد لتسليم بعض الطوابير العسكرية لحكومة الحسين؛ إذ التجـأت بعـض القوات إلى حكومة الحسين، وأرسلت فرقة من الهجانة إلى المنطقة، إلا أ ا لم تكن كافية، ومن ثم اضطر الدفاع إلى الانكماش والانسحاب قليلاً، وأدى ذلك أيضاً إلى الإسراع في إخلاء منطقة العلا، فأخليت في ٢٨ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م؛ ليتمكن من الدفاع بشكل أفضل(٤)، وتم ذلك في ٢٩ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م. كما تم إخلاء الوحـدات الموجودة في بئر الماشي، وعلى الرغم من إنه انسحب إلى العلاوة انتقلت فرقة إلى ناحية قوات الحسين، وبحلول منتصف الليل كان قد انتقل إلى منطقة قوات الحسين كل من الفرقة الثانية مـشاة والمدفعيـة، وكذلك كل الوحدات الموجودة في هضبة العاصي والهضبة الحمراء وسائر الجهات الأخـرى، و ـذه الصورة لم تكن هناك قوة من أجل احتلال الوحدات التي أخليت، وقد وصلت في تلك الأثناء لتوها قوة من منطقة العلا، وعلى هذا تم ترك خط الدفاع الأول، وتقرر أن ينسحب لواء الهجانة وفرقة من اللواء الثاني والأربعين واللواء الثاني والخمسين والطابور الثاني من الفرقة المئة وثمانٍ وسبعون إلى خط دفـاع آخر باتساع ثمانية كيلومتر(٥).

وكانت تلك الحادثة سبباً في تجرؤ العرب على فخري باشا نسبياً، فقامت كتيبة من البدو تتكون من ستين فرداً في ٢٩ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٢ يناير (كانون الآخـر) ١٩١٩م بـاحتلال بـساتين

---

(١) Özkök,Hidayet. **çanakkaleden Hicaza**. Kayseri,1992 , ss48-49.

(٢) büyüktuğrul,Afif. **Osmanlı debiz harb tarihi ve cumhuriyet donanması**. IV,Istanbul,1948,ss44-45.

(٣) Kiciman,s419.

(٤) a. g. e.

(٥) Emin, "Harb –I Umumide Osmanlı Cepheleri Vekayii" s59.

شكرانية ومقبولية وصادقية ومدورة الواقعة شمال العيون، إلا أن قوات فخري باشا أطلقـت علـيهم قذائف المدفعية من تبة المهد فاضطرهم إلى الفرار(١).

٢- موقف فخري باشا من تلك المعارضة:

انتابت فخري باشا المخاوف من لجوء أفراد آخرين للفرار كما فعلت كتيبة أمين بك، ومن ثم ظل يصدر باستمرار بيانات ويوزع منشورات متوالية؛ إذ لم يجد وسيلة لاستعادة تلك القوات التي انضمت إلى قوات الحسين(٢)؛ لذلك أصدر ثلاثة بيانات على المنحازين للتسليم، أوضح في بيانه الأول في ٣٠ ربيع الأول ١٣٣٧هـ/ ٣ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م سبب عدم استسلامه(٣)، وفي اليوم نفسه نشر بيانه الثاني الذي ا م فيه أمين بك ومن معه بالدناءة والخسة؛ إذ جاء فيه: "إن جلاءنا عن المدينة واستسلامنا دون قيد أو شرط مسألة عظيمة للغاية أعظم من أن تحل برسالة وزير، وما دام لنا قائد أعلى وخادم للحرمين فإنه من المحتم علينا بكل تأكيد أن نطلب فرماناً من الخليفة والخاقان"(٤)، ثم قال: "أعلن أمين بك... أننا لسنا في حاجة إلى فرمان السلطان"(٥)، ثم برر موقفه بمشروطية تلقي الأمر من السلطان بقوله: "لو كان -يقصد أمين- قرأ في المادة السابعة الفقرات الخاصة بقيادة القوات البرية والبحرية وإعلان الحرب وعقد الصلح لكان قد شعر بالضرورة الوجدانية لتلقي الأمر والفرمان من السلطنة والخلافة"(٦).

وفي البيان الأخير في ٤ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٧ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م أوصى الجنود الذين معه بالصبر ومواصلة الدفاع عن المدينة قائلاً:

انظروا إلى هؤلاء الرجال اللذين ناوشهم القتال منذ عامين ونصف، إ م لم يتخلوا عن جرحاهم، ولا حتى عن قتلاهم في أي وقت من الأوقات وهم يلوذون بالفرار، أنسقط فريسة للهم والحزن؟ أنرحل؟ إلى أيـن نرحـل ونترك مرضانا المساكين؟ لمن نتركهم أمانة؟ ألم نأت إلى هنا سوياً؟ أليس من الواجب أن نمضي كذلك معـاً؟ لقد أكلنا لزمن طويل من مائدة واحدة، وحاربنا في خندق واحد، والآن كيف نتخلـى عنـهم ونتـركهم يصطلون بنار الحمى؟ إلى أين رب دون أن نخلص ذمتنا من حق أولئك المساكين علينا؟... إن الانـسحاب والأسر لن يحقق لنا شيئاً، وإذا ما انفرط عقدنا، وتبدد شملنا، فسوف نصبح جميعاً أذلاء. لنتكاتف ونصمد...

---

(١) Kiciman,s419.

(٢) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 379.

(٣) Kiciman,ss421-424.

(٤) a. g. e, ss424- 425.

(٥) a. g. e, s425.

(٦) a. g. e.

لقد حاربنا وصمدنا لبضع سنوات، لنصبر بضعة أيام إن الله مع الصابرين(١).

إلا أن تلك البيانات التي نشرها فخري باشا لم تسفر عن أي نتيجة؛ إذ لم يعد أحد من الجنود يتحلى بالصبر، ولم يعد لديهم أمل، وبدؤوا يفكرون في وسيلة لكيفية الخروج من خضم ذلك الأمر، كما أن أعداد الجنود الفارين من ناحيته أخذت تزداد يوماً بعد يوم(٢)؛ فقد شوهد قيام مجموعة من الوحدات بالرحيل هي الأخرى لما علمت بلجوء أمين بك إلى مقر قيادة علي ومعه كتيبة متبعاً بذلك بنود الهدنة باستثناء بعض قادة الكتائب والسرايا وبعض الضباط ذوي الرتب العليا وبعض الضباط الآخرين(٣). ولأن عدد القوات التي كانت في المدينة قلت جداً فقد كانت هناك مخاوف بأن يهجم البدو عليها(٤)، ومن ثم كان الأمر يقتضي الوصول إلى حل ما من دون إفساد الوضع برمته أمام العدو، ومن دون إراقة أي دماء(٥).

٣- استسلام فخري باشا:

كان قد تحدد في ١ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٤ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م تشكيل هيئة من أمير الفيلق (المير آلاي) نجيب بك، وأمير الفيلق (المير آلاي) عبد الرحمن بك، والقائمقام صبري بك، والنقيب (اليوزباشي) كمال بك؛ للتباحث مع النقيب (اليوزباشي) جارلاند في بئر درويش من أجل تسليم المدينة(٦)، وقد قام كل من علي وعبد الله باستقبال تلك الهيئة في بئر درويش، وبدأت المباحثات التي استمرت يومين، وانتهت بعقد اتفاقية.

وفي الوقت نفسه أصدر أمين بك بياناً وزع على القوات الموجودة في منطقة العلا وهدية وجليجلة والحفيرة في ٢ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٥ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م أكد فيه عدم الوثوق في فخري باشا، وأوضح كيفية تحرك القادة الموجودين في المنطقة، فضلاً عن أنه طلب من الوحدات العسكرية التي ستخلي المدينة أن تبقى في أماكنها، وقد جاء نص البيان كما يأتي:

كنت قد نشرت في الأوقات الماضية بياناً غير موقع أعرض فيه ما تكون لدي من قناعة بمدى العظمة والحسن في

---

(١) Kiciman,ss428- 429 . Kandemir,ss434-536 .

(٢) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 379.

(٣) a. g. e.

(٤) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, s20- 21.

(٥) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918,** s 379.

(٦) Kıcıman, ss431- 432 .

التنفيذ الفوري والعاجل لأوامر الحكومة. وإنني لعلى قناعة بأن عموم أصدقائي سيطلعون على هذا البيان؛ فلا تنجرفوا وراء قائدكم فيما يقوم به من حركات مجنونة غير مسؤولة؛ لأنكم لو انجرفتم وراءه سيكون مصيركم ومصير كافة من حولكم الهلاك لا غير. وإن رغبة قائدنا وطلبه لفرمان سلطاني لأمر كان من شأنه أن يضع سلطاننا وحكومتنا ووطننا في أوضاع أليمة للغاية، ومن ثم فإنني على قناعة من أن قائدنا هذا قد فقد عقله ورشده، وتعرض لضرب شديد من الجنون(١).

وكما هو واضح من هذا البيان فإن أمين بك كان يتحدث عن أمور ينتقد فيها فخري باشا ويهجوه.

وفي ٤ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٧ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م تم توقيع مذكرة بين كل من النقيب (اليوزباشي) جارلاند وعلي باسم حكومة الحسين وهيئة قوة الحجاز بخصوص إخلاء المدينة بناء على ما ورد في المادة السادسة عشرة من هدنة موندروس، وكانت بنود تلك المذكرة تحتوي على ما يأتي:

١- يطلب علي بن الحسين من هيئة الحلفاء الدولية تأمين إرسال قائد المدينة وجنودها وضباطها الذين أصبحوا في حالة سيئة جداً إلى أوطانهم على أكمل وجه بعد إخلاء المدينة.

٢- يتحرك قائد المدينة فخر الدين باشا من المدينة بعد ٤٨ ساعة من توقيع هذه المذكرة مع الأمراء الذين يختارهم، على أن يتعهد الأمير علي باستضافته في معسكره الواقع في بئر درويش على أكمل وجه بما يتناسب مع مكانته.

٣- سيتم تجمع كل المؤسسات والوحدات الموجودة في المدينة وما حولها وعلى طول خط السكك الحديدية في المدينة في المكان المسمى البويرة(٢)، وسيتم تسليم كل الأسلحة الخفيفة والثقيلة إلى الموظفين الذين سيختارهم الأمير علي، وذلك بعد تسجيلها في سجلات في المكان المذكور، وستنتقل كل الوحدات التي ستتجمع في البويرة إلى بواطة بواسطة القطار، ومن هناك ستذهب إلى ينبع النخل بالإبل، وإن كانت هناك مشكلة في مسألة النقل فسيتم تجمعهم في المدينة، وسيتم تسليم الأسلحة والذخيرة في المدينة، إلى أن يتم تجهيز وسيلة انتقال. أما الأسلحة الثقيلة الموجودة في الوحدات الموجودة في جليجلة

---

(١) a. g. e, ss433- 434.

(٢) بويرة: تصغير بئر، والبويرة موضع منازل بني النضير اليهود الذين غزاهم الرسول صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد بستة أشهر، والبويرة موضع قرب وادي القرى بينه وبين بسيطة. راجع: البلادي، **معجم معالم الحجاز**، ج١، ص ص٢٦٠- ٢٦١.

وعلاوة فإ ا سترسل إلى المدينة بالدواب التي سيتم إرسالها من جانب الأمـير، وهنـاك سيسلمون بنادقهم وذخير م في جليجلة قبل التحرك، وسينتقلون بالإبل الـتي سـيجلبها الأمير.

٤- بموجب المادة الثالثة عشرة من الهدنة لن يتم تخريب أي أسلحة ثقيلة أو خفيفة أو ذخـيرة كانت موجودة لدى الوحدات الموجودة في المدينة، كما لن يتم تخريب أي مـستلزمات خاصة بالاتصال كخطوط البرق والأدوات الخاصة ا، وكـذا الأدوات والمـستلزمات الخاصة بالسكة الحديدية، كما سيتم جمع الألغام والديناميت بواسطة واضعيها حتى لا تقع أي حوادث.

٥- سيتم تسليم كل الأسلحة والأشياء المذكورة في البند رقم ٤ بموجب دفاتر سيتم تسليمها إلى الموظفين الذين سيتم تعيينهم من قبل الأمير، وسيقوم هؤلاء الموظفـون بتـسلمها في مقابل مضبطات تسلم إلى القادة.

٦- كما سيتم تسليم كل الدواب الأميرية وكل البيطريين الموجـودين في المدينـة إلى الهيئـة المذكورة بموجب الدفاتر، وتجعل في مضبطات تسليم.

٧- بخصوص المتعلقات الشخصية والنقود الخاصة بالجنود والضباط فلن يتم أخذها منهم، بل ستظل معهم.

٨- سيتعهد الأمير علي بتجهيز ألفي ناقة تقريباً لكل قافلة ستخرج على أن يكـون للقائـد ناقتان، وللضابط والموظف ناقة واحدة، ولكل جنديين ناقة واحدة.

٩- سيبذل الأمير المذكور جهداً في إخراج أربع قوافل على أن يكون هناك فاصـل مقـداره خمسة أو ستة أيام بين كل قافلة وأخرى، وسيتم نقل الضباط العموميين والأفراد والمرضى وكل ما يصلح نقله، وستقوم القوة السفرية بتأمين مؤن تكفي عشرة أيام لكل قافلة، كما سيتم تأمين الأدوية والمستلزمات الطبية للمرضى والبطاطين وأدوات المطبخ والمياه وغيرها، أما الإبل التي ستقوم بنقل الأشياء المذكورة فسيقوم الأمير بتأمينها، وسيتم تخصيص ٢٠% من الإبل للمرضى، أما بالنسبة إلى الأمراض الخفيفة فسيتم تخصيص ناقة من الإبل لكـل قافلة على أن يؤخذ في الحسبان مرافقة طبيبين على الأقل وممرضـين مجهـزين بالأدويـة والمستلزمات الطبية لمرافقة القوافل.

١٠- سيتم إرسال أول قافلة بعد أسبوع من توقيع المذكرة.

١١- سيكون الـ ول الأول الجفر، والثاني مضيق بواطة، والثالث رأس البئر، والرابع ينبع النخل، والقافلة التي ستصل إلى ينبع النخل ستنتظر قدوم السفينة هناك، أما المرضى فسيتم نقلـهم إلى ينبع البحر مباشرة من دون انتظار.

١٢- سيكون الانتقال بين ينبع النخل وينبع البحر بالإبل بمعرفة الموظفين المخصوصين بالوجه المذكور سابقاً.

١٣- ستتم مسألة الإركاب في ينبع البحر بمعرفة قائمقام القضاء والمقدم (البكباشي) برايت بك.

١٤- ستتجمع الإبل التي ستأتي إلى المدينة من أجل النقل في مكان يسمى عروة، ثم سيتم تقسيمها بعد ذلك على الوحدات التي ستتحرك من المدينة وتنقل من هناك.

١٥- بخروج فخر الدين باشا من المدينة المنورة ستأتي إليها هيئة التسليم.

١٦- بعد تحرك القافلة الأولى من المدينة ستقوم جيوش الحسين باحتلال النقاط اللازمة في محيط المدينة؛ إذ ستقوم بتأمين استتباب الأمن وانتظامه، وسيتعهد الأمير علي بعدم دخول القبائل والأهالي إلى المدينة حتى خروج آخر قافلة منها.

١٧- سيتم تسليم كل النقود الأميرية والأوراق الحسابية الخاصة بالمدينة إلى الهيئة المنتخبة في مقابل مضبطات تسلم.

١٨- سيتم تسليم كل الوثائق والأوراق والدفاتر والجداول والأوامر الرسمية والأمانات والمخلفات من الأموال التي كان يلزم تسليمها إلى الحكومة.

١٩- في أثناء انتقال الوحدات الواقعة على خط السكة الحديدية إلى بواط والمدينة سيتم تكليف بعض الأفراد من المشايخ المحليين ومن الأشراف للإشراف على مسألة النقل من أول محطة إلى آخر محطة، وذلك حتى لا تحدث أي انحرافات في أثناء النقل.

٢٠- سيتم الإبقاء على الموظفين والمستخدمين الموجودين في الحرم النبوي الشريف والخزينة النبوية شهراً ونصف الشهر على الأقل، وسيتقاضون رواتبهم كما كان، وذلك حتى يتم تعيين موظفين آخرين بدلاً منهم.

٢١- إذا رغب الموظفون المدنيون أو ا اورون البقاء في المدينة فلهم ذلك.

٢٢- بالنسبة إلى الأموال الموجودة في الخزينة النبوية وخزينة الأوقاف والمحكمة الشرعية والبلدية والهيئة المدنية سيتم تسوية حقوق أصحا ا على حسب النظام، والمبلغ المتبقي سيتم تسليمه بموجب الدفتر إلى الهيئة المنتخبة في مقابل مضبطة تسلم.

٢٣- بالنسبة إلى الحوالات المالية التي سلّمها الجنود والضباط العثمانيون إلى مكتب بريد المدينة ليتم تسليمها إلى ضياء بك الذي حضر إلى المدينة في المهمة من أجل إرسالها إلى إستانبول لذويهم وأسرهم سيتم إعاد ا إلى أصحا ا من جانب مكتب بريد المدينة؛ لأن ضياء بك لم يرسلها إلى إستانبول.

٢٤- سيتم الإبقاء على عمال الماكينات الفنيين اللازمين لحركة القطارات والموظفين اللازمين لهذه المسألة حتى ذهاب آخر قافلة، وسيتم صرف الرواتب لهم خلال تلك الفترة.

٢٥- بالنسبة إلى المرضى أصحاب الأمراض الثقيلة الذين لا يمكـن تحـركهم، الموجـودين في المستشفيات، سيتم تجميعهم في مستشفى أو اثنين حتى يتم علاجهم، وظهور نتيجة لهـذا العلاج، على أن يوضع في الحسبان توفير طبيب وصيدلي لكل مئة فرد منهم.

٢٦- بعد توزيع المستلزمات الطبية اللازمة للقوافل في الطريق سيتم تسليم المتبقي منها بالكامل إلى إدارة التفتيش الصحية الهاشمية بمضبطة تسلّم.

٢٧- سيكون تجهيز الحطب والمياه اللازمة من أجل إعداد الشاي والحساء الساخن للمرضى في الطريق، وحماية هؤلاء المرضى ليلاً من البرد في اا ل التي سي لون ا بمعرفـة الأشـراف المكلفين بإدارة القوافل وقياد ا.

٢٨- يتعهد الطرفان بإجراء أحكام هذه المذكرة وبنودها وتطبيقها.

٢٩- يتم عمل نسختين من هذه المذكرة، واحدة باللغة العربية والأخرى باللغة التركية، على أن يتم توقيعها في تمام الساعة التاسعة صباحاً يوم الثلاثاء ٤ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٧ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م في معسكر علي بن الحسين(١).

ويظهر من البنود السابقة أن جيش الحسين لن يتقدم إلى أي أماكن يكون ا العثمانيون، وسيتم تسليم كل الأراضي المتروكة إلى مندوبي علي، وتجميع كل الأسلحة والأغراض العسكرية في المدينـة، كما قام العثمانيون بموجب الاتفاق بتعطيل كل الألغام المزروعة في الأرض(٢)، وقد طلب فخري باشا في أثناء تلك المباحثات عودة جنوده إلى إستانبول بأسلحتهم، إلا أن ذلك الطلب رفض، وطُلب منه هو نفسه تسليم نفسه بعد ثمانٍ وأربعين ساعة(٣). لم تعد هناك حيلة أمام فخري باشـا؛ إذ إنـه رأى أن أولئك الأشخاص ذوي الرتب العليا الذين كانوا من أكثر من وثق م لم يجدوا فائدة بعد في المقاومـة؛ لذا قبل اقتراح الاستسلام الذي طرحوه عليه(٤)، خصوصاً أن حالته الصحية أصبحت سيئة جداً، وبناءً على ذلك قام فخري باشا بتعيين علي نجيب بك وكيلاً في ٥ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٨ يناير (كانون

---

(١) Kıcıman,ss437-444. Kandemir,ss207-213. **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918,**ss869-872. Kedourie,ss136-137 .

(٢) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s26.

(٣) Abdullah,Kral. **Biz osmanlıya neden isyan ettik**. Istanbul,2006,s138. Kandemir,ss 215-537.

(٤) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 380.

الآخر) ١٩١٩م[١]، وطلب علي نجيب بك مد مهلة خروج فخري باشا إلى سبعة أيام بسبب حالته الصحية السيئة إلا أن ذلك الطلب رفض أيضاً[٢].

وفي تلك الأثناء قدمت بريطانيا مذكرة جديدة إلى الحكومة العثمانية؛ لأن اليمن وعسير وطرابلس والحجاز كانت لم تسلّم بعد، وجاء في تلك المذكرة المذكورة أنه بسبب أن الحكومة العثمانية لم تتمكن من تنفيذ المطلوب منها بموجب الهدنة فإنه تقرر ضرورة إرسالها التنبيهات المهمة الشديدة اللهجة إلى قادا الذين لم يسلموا بعد، وعلى رأسهم فخري باشا، وبناءً عليه أعدت الدولة العثمانية أمراً احتوى على تحذير شديد نصه: "ليكن معلوماً لكل القادة الذين لم ينفذوا أحكام الهدنة بالرغم من أ ا كانت معلومة لهم، وتجاسروا بشكل مخالف على عدم تنفيذ الأوامر العلية التي فيها منافع الوطن، ليكن معلوماً لهم أنه سيتم ا امهم بعدم طاعة الأوامر"[٣]، وأرسل الأمر مناولة عن طريق موظف كلف المهمة[٤].

كان هدف الحكومة العثمانية من إعداد ذلك الأمر الشديد اللهجة هو إعاقة أي أفكار قد تراود دول الحلفاء بأن الحكومة العثمانية تعارض بنود الهدنة وتعرقلها، ومن ثم تقوم دول الحلفاء بفرض عقوبات أكثر ثقلاً عليها، وهذا يعني أن الحكومة العثمانية كانت تريد إثبات نيتها الحسنة[٥].

وفي ٦ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٩ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م خرج فخري باشا إلى بئر درويش بموجب الاتفاقية الموقعة مع ممثلي دول الحلفاء، لكنه قبل أن يخرج إلى الطريق مر على الحرم النبوي الشريف في زيارة أخيرة له[٦]؛ إذ كان يقول لمن بجواره: "ما جئت إلى هنا إلا من أجل أن نقوم معاً بزيارة الوداع"[٧]. لكن تلك الزيارة التي زار فيها الحرم الشريف لم تمر مرور الكرام، وإنما حدث فيها أمر غير متوقع؛ فبعد أن أدى فخري باشا الصلاة تأثر كثيراً بأنه سيترك المدينة فقرر البقاء فيها مجاوراً؛ إذ جاء في أحد المصادر أن فخري باشا:

---

(١) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**, s26. **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s380.

(٢) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s26.

(٣) a. g. e .

(٤) a. g. e .

(٥) a. g. e, s27.

(٦) الحربي، "فخري باشا. بطولة طمستها دعاية الحلفاء!".

(٧) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 380.

عندما انتهت هذه الزيارة وقف هذا القائد على فكرة بكل حيوية ونشاط بدت حلّت عليه فجأة، وتوجه بنظره صوب باب الخروج الموجود أمامه، وخطى بعض الخطوات، لكنه لم يستطع التقدم إلى الأمام بأي شكل من الأشكال، وقد كان بادياً عليه أنه ينوي الخروج ومن ثم مغادرة المدينة، لكن لم يكن بوسعه فعل ذلك؛ حيث حلت بداخل أعماق روحه ثورة عارمة من التردد. وبعد أن أخذ نفساً عميقاً ووقف متردداً في المكان الذي كان فيه التفت ناحية اليمين وكله عزم لينفذ بشكل فوري قراراً يتضح أنه أخذه منذ فترة، وقال بصوت أبوي مستأنس كما هي عادته دائماً لكل من مساعده ورفيقه العسكري، وكانا يقفان على بعد عدة خطوات خلفه: "سنمكث هنا"، وأضاف قائلاً: فجيراننا جواهر ليسوا كأي جواهر، فنحن لن نغادر هذه البقعة النبوية المطهرة، وسنحتمي ونلوذ بشفاعته صلى الله عليه وسلم. لقد كان قرار الباشا هذا قاطعاً، ومن ثم جلس القرفصاء على السجاجيد الموجودة أسفل الأعمدة المزينة بالقناديل والثريات وكأنه كأي مسلم عادي متجرداً من كافة الصفات والألقاب، فأسرع مساعده ورفيقه العسكري وأحضرا مع الجنود الذين هرولوا هم الآخرون سريره وبعض أمتعته الشخصية التي كانت معدة له؛ لأنه كان في طريقه للأسر، وقاموا بوضع هذا السرير في أحد الزوايا المناسبة(١).

وأقام في إحدى غرف المسجد، وأخطر علي نجيب بك بأن حالة فخري باشا الصحية تتدهور؛ لأنه تعرض لوعكة صحية في أثناء الزيارة، ومن ثم فهو سيمكث هناك فترة(٢). وكان من المفترض أن يخرج فخري باشا من المدينة في تمام الساعة التاسعة، وترقب تلك اللحظة الحاسمة علي نجيب بك وعدد من أركان القيادة والمنحازون للاستسلام، لكن سرعان ما تحول ذلك الترقب إلى قلق استبد م جميعاً وبدؤوا يشكون في أمر فخري باشا، وحار الحسين وأبناؤه في تأخر خروجه، وبدؤوا يتساءلون: ماذا سيحدث؟ هل هو يستعد من جديد للدفاع عن المدينة؟ وإن كان الأمر كذلك ماذا يفعلون؟ لذلك فرضوا سياجاً أمنياً حول الحرم النبوي الشريف دف حماية قبر النبي صلى الله عليه وسلم، واقترح علي نجيب بك مقابلة فخري باشا، والعمل على سجنه؛ لأنه لم ينفذ قرار إخلاء المدينة، وفي الوقت نفسه طلب من علي تنفيذ بقية المواد الأخرى للاتفاقية، وحتى يكسب بعض الوقت أمر بإعداد تقرير طبي يفيد بأن حالة فخري باشا الصحية لا تسمح له بالخروج في الوقت الراهن من المدينة(٣).

وبناء عليه خيمت حالة من الحيرة على مقر قيادة حكومة الحسين الموجود خارج حدود المدينة عندما وصل ذلك الاقتراح إلى علي، وعلى الفور تم تشكيل مجلس شوري، وفي ذلك الاجتماع الذي شارك فيه إخوته عبد الله وزيد والمندوب البريطاني تم التوصل إلى قرار فحواه أنه في حالة عدم استسلام فخري باشا فإن الشروط الأخرى من اتفاقية الاستسلام غير ممكنة، ولا قبل لهم بتنفيذها. وبذلك القرار

---

(١) a. g. e,ss 380- 381.

(٢) a. g. e,s 381.

(٣) Kiciman,ss 450-455. a. g. e,s 381.

تأزم الوضع فجأة؛ لأنه على الرغم من اكتمال كل الاستعدادات من أجل استسلام القوة الحربية كتيبة كتيبة وسرية سرية إلى أقرب مواقع لقوات الحسين فإنه لم يتم تنفيذ أي شيء من تلك الاستعدادات؛ بسبب قيام فخري باشا بالمكوث والانزواء بالحرم الشريف، وأشير إلى تلك الحادثة في أحد المصادر بما نصه: "عدم تنفيذ تلك الاتفاقية سيكون له عاقبته الوخيمة، حيث ستحل النكبة عندما تدخل قوات العدو المدينة وتعمل فيها السلب والنهب، فضلاً عن إراقة الدماء في كافة الأنحاء منها"(١).

وعلى الرغم من أنه قد تم إخبار فخري باشا بحقيقة ذلك الوضع بشكل مناسب إلا أنه كان مصراً ومصمماً على قرار عدم خروجه من الحرم الشريف، ومن ثم فإن حكومة الحسين اتجهت إلى فكرة أخرى، وهي اللجوء إلى محاولة جديدة تتمثل في إعداد تقرير طبي يوضح ويحدد أن مرض فخري باشا بدرجة تمنعه حقيقة من الخروج للرحيل، فتشكلت لجنة طبية مكونة من كل من الطبيب كمال بك، والطبيب صف الدين رئيس أطباء مستشفى الهلال الأحمر بالمدينة، إضافة إلى بعض الأطباء الآخرين، وتوجهت تلك اللجنة إلى الحرم الشريف حيث أرادوا توقيع الكشف الطبي على فخري باشا. فلما شاهد فخري باشا أولئك الأطباء واقفين أمامه تبسم ابتسامة حزينة، وقال: إنه لا يحتاج إلى أي فحص(٢)؛ لأنه لا يعاني أي مرض، ثم أردف ساخراً: "أوه! ما شاء الله!.. لجنة صحية مجتمعة!.. لكن من المريض الذي تبحثون عنه؟"(٣).

لم يدخر أولئك الأطباء جهداً، وحاولوا وهم يتصببون عرقاً جعل فخري باشا يتحدث حتى يتسنى لهم إعداد التقرير المطلوب بشكل مناسب قدر الإمكان، وذلك على أمل تحسين الوضع الذي يعيش أكثر فتراته تأزماً. وفي اية المطاف أعدوا تقريراً يفيد بأن فخري باشا قد شوهدت عليه بعض الأعراض النفسية والعصبية، ووقعوا على ذلك التقرير، وقاموا بتسليمه. وإذا كان ذلك التقرير قد تم إرساله على الفور إلى مقر قيادة حكومة الحسين فإن الرد عليه كان الرد الأول نفسه الذي سبق أن جاء منهم؛ إذ إن علياً الذي يعد بم لة القائد العام لكل قوات حكومة الحسين قال: "إذا لم يشرف فخر الدين باشا مقر قيادتنا كضيف خاص رفيع المستوي فإنه لا يمكن بالنسبة لنا بأي حال من الأحوال البدء في تنفيذ البنود والشروط الأخرى من الاتفاقية"(٤).

أرسل علي اثنين من معاونيه إلى المدينة لمقابلة فخري باشا، ولما عاد المذكوران من المدينة خاليي

---

(١) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 381.

(٢) a. g. e.

(٣) a. g. e,s 382.

(٤) a. g. e.

الوفاض تسلل الشك إلى قلب علي وعبد الله؛ لأن فخري باشا كان يتحصن بقبر النبي صلى الله عليـه وسلم، وكان يهدد بأنه إذا ما أُخرج بالقوة من المدينة فإنه سينسف الذخيرة الموجودة فيها، وفي النهاية اصطحب عبد الله قوة معه وذهب إلى جليجلة، ومن هناك عمل اتصالاً هاتفياً بعلي نجيب بك وسـأله عن سبب عدم تسليم فخري باشا للمدينة، ثم هدده بأنه إن لم يسلم فخري باشا المدينة على الفور فإنه سيقوم بالهجوم على المدينة بقواته على الفور(١)، لكن على نجيب بك طلب من عبدالله أن يمهله حـتى الساعة الخامسة صباحاً في اليوم التالي(٢).

كان علي نجيب بك ومن معه يخشون من هجوم قوات حكومة الحسين على المدينة، ويجعلو ا ساحة دماء وينهبو ا؛ مما يعني خطورة الوضع لدرجة حرجة، ومن ثم سارع علي نجيب بك ومن معه إلى عقد اجتماع في مقرهم، وقرروا مباحثات كثيرة ونقاش طويل حول الكيفية التي تمكّن من إقناع فخري باشا بتسليم نفسه، ووجدوا أنه ليس هناك حل آخر سوى إقناعه بالذهاب إلى علي، وفي صباح اليوم التالي ٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٠ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م ذهب إلى الحرم الشريف كل من نجيب بك وعبد الرحمن بك والقائمقام صبري بك البغدادي وكمال بك وبعض الجنود، وكان معهم حبال لربط فخري باشا، واتخذوا بعض الإجراءات الأمنية في المدينة(٣). كان هدف المنحازين إلى تسليم المدينة القبض على فخري باشا بأي ثمن، وعندما دخل المذكورون إلى الحرم الشريف قاموا أولاً بشل حركة الموجودين بجوار فخري باشا، ثم قال نجيب بك لفخري باشا: لقد أديت وظيفتك على أكمل وجه، لكن يجب الآن أن تحني رقبتك للقدر، وتسلم نفسك(٤)، وكان نص ما قاله: "إن الله سبحانه وتعالى شاهد أنكم أديتم مهمتكم تجاه الوطن والأمة بشكل بطولي قلما نجده إلا عند الأبطال المميزين أمثالكم"(٥)، لكن فخري باشا كان لا يزال واقفاً في مكانه منتصباً صامتاً كأنه لم يسمع أي واحد من أولئك الذين تحدثوا إليه، وكانت شفتاه تزان بابتسامة حزينة، وكان يبدو كأنه لا يتنفس.

---

(١) Abdullah, ss138-139.

(٢) Abdullah,Kral. "Hatıralar". çev. özcan Erektiren,**Hayat Tarih Mecmuasi,**sayı 11 1970,s70.

(٣) Kıcıman,ss456-461. **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 382.

(٤) Kandemir, F."Birinci Dünya savaşında Medine Müdafaası" **Resimli tarihi Mecmuasi**, sayı 10, 1950, s370. el rasul, Mevlana muhammed Fadl-. **vesikalarla Vehabiliğin iç yüzü,** çev . faruk Mayan ,Istanbul, 1976, s401 .

(٥) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**,s 382.

عند تلك اللحظة بدأ أولئك الأشخاص الذين توسلوا إليه ينظر بعضهم إلى بعض كأ م يريدون أن يعرفوا هل جاء وقت تنفيذ ذلك القرار الذي تم اتخاذه مسبقاً أم لا، وقاموا معاً بالالتفاف حول فخري باشا من كل الجهات، وانخرطوا في البكاء الشديد بصوت مخنوق، وا مرت دموعهم، وحاولوا أن يعانقوا الباشا معاً جميعاً وهم يقفون حوله(١).

حينما أيقن فخري باشا أن ليس بمقدوره إبداء أي مقاومة، ومن ثم خضع وانقاد للمحيطين به وسط حزن عميق، لاسيما أمام تلك المحاولات الجماعية التي قام ا أولئك المقربون إليه جداً من أعلى رتب الأركان الحربية الذين كان يعرف أ م كانوا يدينون له بتمام الطاعة والانقياد الخالص حتى ذلك اليوم؛ لذلك فإنه لم يرد أن يردهم خائبين، وفيما بعد قال بنفسه: إنه بعد ساعة من الزمن سيتجرع مرارة الاستسلام لأول مرة في حياته؛ إذ سيضطر بعد ساعة من الزمن أن يمثُل بوصفه أسيراً أمام حكومة الحسين التي يبغضها بشدة وقاومها بشدة ولم يجعلها تلتقط أنفاسها لشهور(٢).

تم إخطار عبد الله هاتفياً بأن فخري باشا استسلم، وفي تمام الساعة السادسة والنـصف يـوم ٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٠ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م تم تسليمه إلى قوات الحسين الموجـودة في جليجلة(٣)، وفي اليوم نفسه نشر تعميم ورد فيه أن الباشا سلم نفسه بنفسه(٤).

وفي ٨ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م وصلت الأخبـار إلى وزارة الخارجية العثمانية بواسطة ممثلي دول الحلفاء بأن فخري باشا سلّم المدينة وتركها في ٧ ربيـع الآخـر ١٣٣٧هـ/ ١٠ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م (٥)، وكان تسليم المدينة قد أحدث ضجة كـبرى في إستانبول، فقد أوردت الصحف التي كانت تم بأخبار فخري باشا منذ لحظة توقيع الهدنة حتى تلـك اللحظة عدة مقالات عن الأخبار الواردة بتسليم المدينة(٦).

في جليجلة قام حلمي باشا(٧) وشرف بن راجح(٨) باستقبال فخري باشا، وأظهرا له احتراماً

---

(١) a. g. e.

(٢) a. g. e,s 383.

(٣) **Türk istikalal harbi**, s47. Jaschke,G. **Kurtuluş savaşı ile ilgili ingiliz belgeleri** , çev . Cemal Köprülü, Ankara, 1971, s34 . Kıcıman, ss 456-461 .

(٤) Abdullah, "Hatıralar" ss69- 70.

(٥) **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine,Nin Tahliyesi**,s28.

(٦) a. g. e,ss28- 29.

(٧) لم تجد الطالبة ترجمة له.

(٨) شرف بن راجح الشريف: من فرع العبادلة، كانت له معرفة تامة بشؤون القبائل، واتصف بالحذر والقوة، كـان =

ورعاية[١]، ولم يعاملوه كأسير، وذلك وفق ما دونوه في مذكرة شروط الاستسلام؛ لأن حكومة الحسين كانت تعلم تمام العلم أن الحالة المزرية التي مرت ا الدولة العثمانية هي وحدها التي أدت بـ فخري باشا إلى تلك النهاية، وكانت تعلم أيضاً أن ذلك القائد ما كان ليهزم ويجبر على ترك سلاحه ويستسلم لولا الظروف الدولية، وما انتهت إليه الحرب العالمية الأولى من اندحار دول المحور ومن ضمنهم الدولة العثمانية[٢].

وفي اية المطاف تم استقبال فخري باشا في مقر قيادة حكومة الحسين الموجود في بئر درويش في ٩ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٢ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م، وقد استقبل كضيف شديد القوة والمهابة جدير بكل أشكال التقدير والاحترام[٣]، يقول علي في هذا الصدد:

لم نكن نعلم كيف سنستقبل حضرة الباشا، وذلك لأنه شخص غير عادي لدرجة أنه أثبت بشجاعته أنه إنسان لا يعرف للهزيمة سبيلاً، ولا يمكن له أن يقبل بشيء هكذا على الإطلاق، وإن الوقوف أمامه بصفة المنتصر - وهذا بفعل القدر- لأمر من شأنه أن يلحق الحيرة والدهشة بالإنسان بشكل جدي. وعلى كل فإنني أعترف بأننا استقبلنا حضرة الباشا بكل إجلال وتقدير وكأنه لم يكن بيننا أي شيء، حيث اعتبرناه قائدنا ومن يعلونا وذلك كما كنا في الأيام السالفة، وقد استضفناه في خيمة بالغة الفخامة أعددناها وفرشناها لحضرته، ووفرنا له كافة أشكال الراحة، كما حققنا لمساعديه الذين كانوا معه إمكانية الراحة والاسترخاء بالشكل الذي أرادوه.كما أن البدو الذين سمعوا بأن حضرة الباشا قد حلّ ضيفا علينا قد تدفقوا إلى بئر درويش وكأ م سيل منهمر على الهجن جاؤوا من كل حدب وصوب من شتى أرجاء الصحراء، ولا جرم أن هؤلاء البدو وشيوخهم الذي كانوا يتقدمو م كانوا جميعا يعتبرون القائد (فخر الدين باشا) نموذجاً للشجاعة، لم لا وهم شهود على بطولاته غير العادية، ومن ثم فإ م ظلوا واقفين حتى الصباح، ولم يغمض لهم جفن؛ أملاً منهم في أن يمتعوا أنظارهم بالنظر إلى وجه هذا القائد الكبير. ففي تلك الليلة لم يكن هناك أي صوت يسمع في شتى أرجاء الصحراء سوى كلمة فخري..! فخري..!... وعند بزوغ الشفق وطلوع الصبح خرج حضرة الباشا من خيمته ووقف أمامها من أجل أن يركب السيارة التي ستذهب به إلى مرفأ ينبع البحر، وعندئذ قامت القيامة ولم تقعد، حيث صاح كل هذا العدد الغفير من البدو الذين انتظروا تلك اللحظة منذ ساعات في موكب أشبه ما يكون بيوم الحشر، وعلى الرغم من إبعادهم بشكل كبير عن الخيمة إلا أ م حينما شاهدوا وجه الباشا أخذوا يرددون صيحات عالية ويقولون (فخري... فخري) ثانية وكأن الصاعقة قد أخذ م، ولما

=

قائممقام وحاكماً للطائف في عهد العثمانيين، وكان رئيساً للأركان ومستشاراً لفيصل. راجع: صـفوت، مـج٣، ص٨٣.

(١) Abdullah, "Hatıralar" ss69- 70.

(٢) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918**, s383.

(٣) a. g. e.

أدار الباشا وجهه ناحيتهم فروا جميعاً بشكل لا قبل بوصفه، فلقد كانت الصحراء مكتظة بعدد هائل من الفارين المبعثرين هنا وهنالك وكأ م صغار طيور الدراج قد فزعت فجأة من صيحا م(١).

رحل فخري باشا من مقره في اليوم التالي من بئر درويش إلى ينبع البحر؛ ليتم إرساله إلى معسكر الأسرى الموجود بالقاهرة(٢)، وبعد فترة زمنية تقدر بستة أشهر تم ترحيله إلى مالطا على أنه مجرم حرب، وقضى عامين معتقلاً(٣).

وتمت في تلك الأثناء محاكمته محاكمة عسكرية في إحدى المحاكم، وحكم عليه فيها غيابياً بالإعدام شنقاً(٤)، غير أن مصطفي كمال أتاتورك أنقذ فخري باشا من ذلك الحكم الذي حكم عليه به، ومن ثم أطلقت بريطانيا سراحه، فغادر معتقله في مالطا عائداً إلى وطنه، وقال أتاتورك بحقه كلمات جاء فيها: "إن صديقي كتب اسمه بأحرف من ذهب على صفحات التاريخ، وسيتم استقباله بالشكل الذي يليق بقدره، كما أنه سيسجل اسمه في الحرب التركية أيضاً"(٥).

٤- دخول قوات الحسين وإخلاء المدينة:

بخروج فخري باشا من المدينة، وتنفيذ بنود الهدنة، يكون دفاع ذلك القائد عن المدينة قد انتهى، كما تم إبعاده من المدينة بالصورة التي ذكرناها آنفاً(٦)، ومن ثم عاد بعض أهالي المدينة إليها(٧)، كمـا

---

(١) a. g. e,s 387.

(٢) a. g. e,s 383.

(٣) a. g. e,s 387.

(٤) a. g. e.

(٥) a. g. e,s 388.

(٦) a.g.e.s383.

(٧) **الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ١٩- ١٤/ ١-٨. DH. I- UM 1-8/14- 19.. رسالة مـن مدير الديوان الهمايوني نوري إلى وكالة نظارة الداخلية في ٢٣ ذي القعدة ١٣٣٨هـ ـ/ ٩ أغـسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده. وثيقة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنيـة بالريـاض. الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ١٩- ١٤/ ١-٨. DH. I- UM 1-8/14- 19.. رسالة من وكيـل الناظر جمال بك أفندي إلى المدير العام لشرطة إستانبول في ٢٥ ذي القعدة ١٣٣٨هـ/ ١١ أغـسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده. وثيقة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنيـة بالريـاض. الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ١٩- ١٤/ ١-٨. DH. I- UM 1-8/14- 19.. رسالة من وكيـل الناظر جمال بك أفندي إلى المدير العام لشرطة إستانبول في ٢ ذي الحجة ١٣٣٨هـ ـ/ ١٧ أغـسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده. وثيقة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنيـة بالريـاض. الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ٢- ٦/ ٨٠. DH. I- UM 2-6/80.. رسالة من مدير الأمن العـام**

=

قام علي بإرسال أخيه عبد الله إليها من أجل العمل على توفير الأمن فيها، ومنع أي عمليـات ـب وسلب. ودخل عبدالله المدينة في ١٠ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٣ يناير (كانون الآخـر) ١٩١٩م(١)، وهو التاريخ الحاسم لفقدان العثمانيين المدينة، وقد دخلت قوات الحسين المدينة بغير تنظيم، وبدأت في بها، وقام الجنود بفتح المنازل التي كان فخري باشا قد أغلقها وختم عليها، و بوا أثاثها كله، وكـان عبد الله هو ومن معه ممن دخلوا المدينة يتجولون في المنازل م لاً م لاً، ويأخذون ما يعجبـهم منـها، وكانوا يقيمون بالمنازل التي تعجبهم منها، واستمرت تلك الحالة اثني عشر يوماً، حتى المنازل التي كان أصحا ا يقيمون ا لم تسلم من عمليات النهب المذكورة، ولم ينج من علميات النهب المذكورة سوى قليل من المنازل(٢).

ثم جاء الدور على استسلام الوحدات الموجودة عند السكة الحديدية بالمنطقة الشمالية من المدينة والوحدات الموجودة في المدينة وإخلائهم لها وفق شروط الهدنة التي تم تحديدها(٣).

وبناء على ذلك بدأت الاستعدادات لعملية الإخلاء في ١ ربيع الآخـر ١٣٣٧هـ/ ٤ ينـاير (كانون الآخر) ١٩١٩م، ففيما يتعلق باستسلام الوحدات الموجودة عند السكة الحديدية فقد تم تنفيـذ عملية الإخلاء في ٥ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٨ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م؛ أي: قبـل استـسلام فخري باشا وخروجه(٤).

وقد تم تسلم المناطق العسكرية العثمانية عن طريق نقل وحدات من الشمال إلى محطة زمرد، ثم بعد ذلك تحركت صوب الجنوب بالقطار في ٥ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٨ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م، وقد حملوا معهم أغراضهم في منطقة طويرة بواسطة ذلك القطار ذي الستين حافلة الذي جاء من هدية إلى بئر جديد، ووصلوا أولا إلى مدرّج متأخرين ست ساعات بسبب صعوبات الطريق، ثم وصلوا بعد ذلك إلى هديه في ٦ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٩ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م، ثم إلى حفيرة في اليوم التالي، ثم في ٨ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١١ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م وصلوا إلى المحيط

=

إلى نظارة الداخلية في ٩ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ٢٤ أغسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده. وثيقة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض.

(١) Kıcıman, s464 . Bayur, **Yüzyüda Türklüğün Tarih ve Acun Siyasası Üzerindeki Etkileri**, s164. Kotay, Cemal. **Milli mücadelede öncekiler ve snrakiler**. Istanbul, 1963, s101.

(٢) Kedourie,ss137-143 .

(٣) **Birinci Dunya Harbinde Türk Harbi VI,nci Cilt Hicaz,Asîr,Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı 1914- 1918,**s383.

(٤) a.g.e,s384.

ومنها إلى المدينة. أما القطارات الأخرى التي جاءت إلى المدينة عقب ذلك فقد كان بين كل قطار وآخر مدة زمنية تقدر بالساعتين. ويتضح أيضاً أنه تم إخلاء منطقة الفرقة باثنتين وثمانين حافلة قطار بالتمام والكمال[١].

ثم جاء الدور على إخلاء الوحدات ا تمعة في المدينة، ولتنفيذ تلك المهمة تقرر أن يتحرك ويغادر في القافلة الأولى كل من: فوج الهجانة الذي كان لا يزال يحتل مناطق حول المدينة، والفوج الخامس والخمسين، والكتيبة الثانية من الفوج مئة وثمانية وسبعين، والسرية الثامنة من الفوج الخامس والخمسين، والسرية الثانية الخاصة بالجاندرمة (الشرطة) المتنقلة، وسرية السكة الحديدية الثانية. وفي ٩ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٢ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م صدر أمر يطلب من تلك الوحدات تبديل مواقعها مع أول ما حضر من الشمال إلى المدينة، وهما كتيبتان تابعتان للفرقة الثامنة والخمسين. ولقد كُلفت كل من الكتيبة الثالثة من الفوج الواحد والعشرين، وسريتين من الفوج مئة واثنين وستين، تنفيذ ذلك الأمر، وبالفعل تم تنفيذ تلك المهمة الموكلة إليهم[٢].

صدرت الأوامر في ١٣- ١٦ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٦- ١٩ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م موضحة الوحدات التي ستتكون منها القافلتان الثانية والثالثة، كما تضمنت الأوامر أيضاً إعداد كشوف بأسماء القوافل باستثناء من يريدون البقاء في المدينة من الضباط والموظفين. وجاء الرد على تلك الأوامر مفيداً بأن القافلة الثانية تتكون من هيئة التحصين، ومن سرايا حفر الحصون، وسرية السكة الحديدية الثانية، وهيئة المراقبة على الخط، وسرية البنادق الآلية رقم تسع وسبعين وشرطة القيادة، والكتيبة الأولى من الفوج رقم مئة وثمان وسبعون، وجميع وحدات المدفعية الموجودة في المدينة[٣].

أما القافلة الثالثة، فتتكون من سرية السكة الحديدية رقم سبعة عشر، ومقر رسم المواقع، ومقر قيادة الفرقة، والكتائب الثالثة والحادية والعشرين من الفوج رقم مئة واثنين وستين[٤].

وبعد كل هذا طُلب منهم البدء بتسليم كل الأسلحة والمعدات التي معهم إلى هيئة التسلم التي تم تكوينها[٥].

وقد نفذت وحدات القوة الحربيةكل ما صدر إليها من أوامر من القيادة من دون وقوع أي حوادث وعلى وجه السرعة.

---

(١) a.g.e.

(٢) a.g.e.

(٣) a.g.e.s385.

(٤) a.g.e.

(٥) a.g.e.

ووفق ذلك، فإن القافلة الأولى التي أتمت استعدادا ا للمغادرة بدءاً من ١٠ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٣ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م سلمت كل ما معها من معدات وآلات إلى هيئات التسلم، وتركت المدينة في ١٤ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٧ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م متجهةً صوب ينبع البحر متأخرةً مدة تقدر بأربعة أيام(١).

وفي ١٩ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٢٢ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م تم استرداد جزء من مخافر الشرطة المحيطة بالمدينة، وهي مخافر باب عوالي، وبساتين الباقي، وصادقية(٢).

وفي ٢٣ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ٢٦ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م سلمت إلى حكومة الحسين كل المخافر الأخرى التي ظلت تحت احتلال الفرقة، وفي تلك الأثناء سلمت القافلة الثانية كل ما معها من أسلحة ومعدات إلى هيئة التسلم، وأتمت كل استعدادات المغادرة، ثم بعد ذلك غادرت المدينة متجهة صوب ينبع البحر(٣).

أما القافلة الثالثة، فقد أخذت أمراً بالاستعداد شيئاً فشيئاً في ٢- ٤ جمادى الأول ١٣٣٧هـ/ ٣- ٥ فبراير (شباط) ١٩١٩م، وبداية من ٣ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/ ٤ فبراير (شباط) ١٩١٩م قامت بأداء خدمات المناوبة في الثكنة بالمشاركة مع جنود حكومة الحسين، وفي ٦ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/ ٧ فبراير (شباط) ١٩١٩م قاموا بإعطاء قوات الحسين كل ما معهم من أسلحة ومعدات وعتاد، وكذلك ما في المخازن من مؤن، ثم بعد ذلك فعلوا مثلما فعلت القافلتان السابقتان؛ أي أ ا ذهبت في البداية متجهة صوب ينبع البحر، ثم أُرسلت منها بالسفن البريطانية إلى معسكر الأسرى الموجود في مصر(٤).

أما المسائل والأمور التي كان على تلك القوافل التزامها في وقت رحيلها عند وصولها إلى مرفأ ينبع البحر، فقد أبلغت ا قيادة القوة الحربية قيادات الوحدات على هيئة تعليمات وطُلب تنفيذها، وذلك من خلال المرسوم الذي أرسلته من المدينة في ٣ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/ ٤ فبراير (شباط) ١٩١٩م(٥).

وقد توفي بعض الجنود لسوء حالتهم الصحية، وتفرق بعضهم أيضاً هنا وهناك خارج الحجـاز، أما بالنسبة إلى الأسلحة والذخيرة التي بقيت في المدينة فقد تركت إلى الحـسين، ولأنـه تم التخطـيط

---

(١) a.g.e.

(٢) a.g.e.

(٣) a.g.e.

(٤) a.g.e, s386.

(٥) a.g.e.

لإخلاء المدينة بشكل منظم وجيد فقد تم إخلاؤها بشكل يتوافق مع الاتفاقية إلا بعض أوجه الـنقص البسيطة التي كانت تظهر بين الحين والآخر(١).

وهكذا يتضح أن فخري باشا عارض كل مقترحات تسليم المدينة وعروضها، واستمر في المقاومة والدفاع باتخاذ الإجراءات التي ساعدت على استمرار ذلك على الرغم من العقبات، إلى أن ا يار الوضع الداخلي في المدينة في النهاية، وقيام معارضة داخلية ضده، أديا إلى استسلامه هـو ورجـال حاميتـه وخروجهم من المدينة وإخلائها ونقلهم كأسرى إلى مصر، وعودة كثير من الأهالي الذين هاجروا سابقاً ودخول حكومة الحسين.

(١) Kiciman,ss 445-487. Kandemir,ss230- 257.

الخاتمة والنتائج

تتبعت هذه الدراسة مراحل حصار المدينة من قِبل قوات الحسين بن علي، وآثار ذلك الحصار، ودور الحامية العثمانية، ممثلة في قائدها فخري باشا، في مواجهته ومحاولة يئة القوات العسكرية للدفاع عن المدينة، وإيجاد الحلول للآثار التي ترتبت على ذلك الحصار.

فقد نتج من شدة الحصار على العثمانيين في المدينة آثار تمثلت في نفاد التموين والإعاشة، وتوقف النشاط التجاري، وارتفاع الأسعار، وانخفاض قيمة العملة الشرائية، وإهمال الزراعة، وانتشار الأمراض، وفرار الجنود، ومن ثم اتخذ فخري باشا عدة إجراءات للتخفيف من حدة ذلك الحصار، فقام بعدد من الإجراءات؛ مثل طلب المؤن من شيوخ القبائل، وشراء المواد الغذائية من القبائل القاطنة حول المدينة، ومحاولة توفير الذهب، وطلب قرض داخلي، والسعي إلى إعادة تحقيق الارتباط مع الخارج، ورفع الروح المعنوية، وتدابير تحقيق انضباط الجنود داخل المدينة، وإلغاء تصاريح الغياب، وفتح سجل أحباء الحجاز، والتشجيع على الزراعة، وأكل الجراد، والتهجير، ووضع تدابير وقائية للمرضى، وذلك للحد من تلك الآثار.

وقد أدرك فخري باشا من خلال ما قام به من محاولات لرفع الحصار أن عدم استمرار قواته في الدفاع عن المدينة إلى اللحظة الأخيرة سوف يحول دون تحقيق مساعيه للحفاظ على المدينة؛ مما أدى إلى استسلامه في النهاية وخروج العثمانيين في ٧ ربيع الآخر ١٣٣٧هـ/ ١٠ يناير (كانون الآخر) ١٩١٩م؛ إذ دخلتها حكومة الحسين وعاد بعض الأهالي الذين هاجروا سابقاً.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة في خاتمة هذه الدراسة ما يأتي:

أولاً: ما يتعلق بحصار المدينة

١- أوضحت الدراسة أن أوضاع الحجاز العامة أثرت في إعادة تشكيل القيادة العسكرية في المدينة، وتم تعيين فخري باشا قائداً لقوة حملة الحجاز في المدينة.

وهذه النتيجة هي الإجابة عن السؤال الأول الذي نصه: "ما تأثير أحداث الحجاز في إعادة تشكيل رئاسة القيادة العسكرية في المدينة؟ وما الظروف والأسباب التي أدت إلى تعيين فخري باشا

قائداً لقوة حملة الحجاز في المدينة؟".

٢- أوضحت الدراسة أن فخري باشا اتخذ بمجرد أن وصل إلى المدينة عدداً من التدابير التي كان لها أبلغ الأثر في إفساد حركة التمرد والعصيان التي قامت ا حكومة الحسين في البداية، ومع ذلك استطاع الحسين بفضل المساعدات التي تلقاها من بريطانيا أن يسيطر على كل من مكة وجدة والطائف، وأن يشدد الحصار على المدينة، واستطاع توسيع دائرة التمرد والعصيان بشكل أكبر فيما بعد؛ بسبب ضعف الاستخبارات العثمانية، والتباطؤ في اتخاذ التدابير اللازمة.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه:"ما موقف فخري باشا من الوضع في المدينة بعد دخوله مباشرة؟".

٣- كشفت الدراسة إجراءات حكومة الحسين العسكرية التي مكنتهم من تشديد الحصار على المدينة من خلال العمليات العسكرية التي قام ا كل من أبناء الحسين، وأدت في النهاية إلى تشديد الحصار وإحكامه على المدينة من خلال قطع صلات المدينة بالجنوب والشمال والشرق.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه:"ما إجراءات حكومة الحسين من أجل تشديد الحصار على المدينة؟".

٤- أثبتت الدراسة أن فخري باشا تمكن من الحفاظ على المدينة أطول فترة ممكنة على الرغم من حصارها، وقد ساعده على ذلك وجود خط السكة الحديدية، إلا أنه فشل في إ اء الحصار؛ بسبب عجز قواته عن المحافظة على السكة الحديدية، وإفشال مخططات البريطانيين في تدميرها؛ مما كان له آثار عكسية على القوات في المدينة.

وتجيب هذه النتيجة عن السؤال الذي نصه:"هل كان للسكة الحديدية دور في الاحتفاظ بالمدينة ومقاومة الحصار فترة أطول؟".

ثانياً: ما يتعلق بالتجهيزات العسكرية في المدينة.

١- أوضحت الدراسة أعمال فخري باشا من أجل الدفاع عن المدينة المتمثلة في: تحصين المدينة، و يئة القوات العسكرية، وتوفير احتياجات قوة الحملة، كما عمل على محاولة استمالة القبائل، ومصادرة المواد الغذائية، وإقامة مستودعات للذخائر.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال: "ما الأعمال التي قام ا فخري باشا، سواء أكانت تنظيمية أم عسكرية؟".

٢- أثبتت الدراسة أن القوة العسكرية التي هيأها فخري باشا لأجل الدفاع عن المدينة قد أسهمت في حمايتها لفترة زمنية، لكن لم يلبث الأمر في النهاية مع اشتداد ضغط الحصار وانسحاب القوات أن تلاشى دور تلك القوة العسكرية؛ مما أدى إلى ا يار الوضع في المدينة في النهاية.

وهذه النتيجة هي توضيح للسؤال الذي نصه: "هل أسهمت القوة العسكرية في تكوين جهاز

أمني قوي أسهم في حفظ كيان المدينة من التفكك الداخلي ومن التهديد الخارجي؟".

٣- أثبتت الدراسة تأرجح القبائل في ولائها للطرفين، لكن أغلبية القبائل كانت مع الحسين؛ بسبب الإغراءات المالية والهدايا السخية من السلاح وغيره التي بذلها الحسين ومن خلفه بريطانيا لشيوخ القبائل وأعيا ا، ومن ثم كان لهم دور بارز في تشديد قبضة الحسين حول المدينة؛ فكثير من القبائل كانت موالية له من مثل عشائر الردادي والرحيلي والحوازم من قبيلة حرب، واشتركت مع قواته في تشديد الهجمات على قوات فخري باشا. أما الدعاية التي بثها الشريف علي حيدر للعثمانيين من أجل استمالة القبائل فقد انتهت بلا جدوى؛ فلم يؤيد فخري باشا من القبائل إلا عدد قليل ممن كانوا معادين للحسين.

وتعد هذه النتيجة إجابة عن السؤال: "ما موقف القبائل من حصار المدينة؟ وهل كان للدعاية التي بثها علي حيدر للعثمانيين بين القبائل دور في كسب فخري باشا ود القبائل أو أن تلك الدعاية انتهت بلا جدوى؟".

ثالثاً: ما يتعلق بالآثار المترتبة على الحصار

١- كشفت الدراسة الآثار المترتبة على حصار المدينة والمتمثلة في النقص الحاد في الطعام، وما عاناه الجنود والضباط من هزالة الجسد، وتأثر الحيوانات من نفاد الغذاء والمؤن.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "ما الآثار التي وضحت على المدينة جراء استمرار الحصار عليها من قبل حكومة الحسين؟".

٢- أثبتت الدراسة أن قوات الحسين عملت على قطع سبل الإمداد بالمؤن عن المدينــة عنــدما عزلتها عن محيطها، فقطّعت الوسائل الممكنة للوصول إليها، وذلك بتدمير خطوط الــسكة الحديديــة، ونتيجة لذلك تعطّلت القطارات، وفُقدت وسيلة مواصلات هي الأكثر حيوية وسعة في نقل البــضائع التجارية؛ مما قلّص من النشاط التجاري إلى حد كبير، وأدى ذلك إلى فقدان عدد من المواد الغذائية مثل الأرز، كما سبب تجميداً للحركة من المدينة وإليها.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "هل كانت المؤن تصل إلى المدينة في أثناء الحصار؟ وكيف كان وضع التجارة في تلك الفترة؟".

٣- أوضحت الدراسة أن قوة الحملة استطاعت الحصول على مقدار من المؤن ساعد على تخفيف حدة الحصار، لكن مع الوقت لم تعد تلك المؤن كافية، وقد وجدت إحصائيات تثبت ذلك.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "إلى أي مدى استطاعت قوة الحملة أن تدبر احتياجا ا من المؤن؟ وهل كان مقدار المؤن الموجودة في مستودعات المخزن كافية لهم؟ وهل توجد إحصائية لذلك؟"

٤- أوضحت الدراسة دور فخري باشا في وضع خطط توزيع الطعام لضمان تمــتين الجبهــة

الداخلية، كما بحث عن حلول أخرى لتخفيف وطأة الحصار، مثل: أكل الجراد، وتوفير الذهب، وتحقيق الارتباط مع الخارج، والتهجير، إلا أن كمية الغذاء بقيت محدودة في ظل تدني دخول المؤن إلى المدينة، وتدمير قوات الحسين للمنافذ التي تمكن من إدخال الغذاء إليها.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "ما موقف فخري باشا من نفاد المؤن في المدينة؟ وهل تمكن من مواجهة ذلك؟".

٥- أثبتت الدراسة أن فخري باشا نظر إلى الزراعة على أنها حل من الحلول التي تستطيع قهر الحصار، لكن ذلك لم يكن مجدياً في حالة حصار المدينة؛ لأن الزراعة كانت تحتاج إلى استصلاح للأراضي في البداية، وهو ما لم يتمكن من القيام به المحاصرون؛ مما أدى إلى صغر مساحة الأرض المخصصة للزراعة، إضافة إلى أن شح المياه وارتفاع درجة الحرارة كانا من أسباب انخفاض معدل إنتاج محصول كافٍ يشبع أفواه المحاصرين. ومن هنا، فقد أُهملت الزراعة، ولم يعدها الحماة في خططهم الدفاعية بشكل إستراتيجي يستطيعون التغلب به على أزمة نقص البضائع التجارية.

وتوضح هذه النتيجة ما ورد في السؤال: "هل كان للزراعة دور في التقليل من وطأة الحصار؟".

٦- أوضحت الدراسة أن المستقصي للشؤون الصحية في المدينة يلاحظ أن نقص الماء قد ساهم في تدني مستوى النظافة الشخصية، ومن ثم انتشار أمراض مختلفة، كما أن انعدام أنواع من الأدوية زاد من إمكانية تفشي الأمراض وارتفاع درجة تأثيرها في الحماة، خصوصاً أولئك الذين أُنهكت أجسادهم بفعل نقص الغذاء.

كما أن شدة الحصار ساعدت على تردي الخدمات الصحية في مستشفاها الذي لم يعد يقدم خدمات صحية ملائمة للأفراد الذين كانوا يعانون أمراضاً متنوعة وهزالاً في الأجسام؛ مما عرضهم لموت محتم، وهذا ما حدث بالفعل مع الحماة من ضباط وجنود.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه:" كيف كان الوضع الصحي في المدينة؟".

٧- أثبتت الدراسة أنه على الرغم من سوء الأوضاع المادية وترديها إلا أن ثبات المحاصرين جعل تأثيرها محدوداً، ومن هنا فقد كانت الحرب النفسية هي السلاح الأقوى لدى حكومة الحسين، متمثلاً في إضعاف نفوس جنود الحامية؛ مما دفع بعضهم من ضعاف النفس إلى الفرار، أو الاستشفاء من أمراض أصابتهم. لقد عملت قوات الحسين في حصارها على تحطيم معنويات المحاصرين النفسية والمادية، هادفين إلى إحداث هزيمة من داخل المدينة لا من خارجها.

وتوضح هذه النتيجة ما ورد في السؤال الذي نصه: "هل اتبعت حكومة الحسين حصاراً نفسياً إلى جانب المادي على حماة المدينة؟".

خامساً: ما يتعلق بتسليم المدينة

١- أثبتت الدراسة أنه بعد استسلام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وتوقيعها معاهدة

موندروس التي أ ت حالة الحرب بقي فخري باشا في دفاعه المستميت، واتخذ الإجراءات الـتي تعمـل على استمرار المقاومة على الرغم مما لاقاه من صعوبات، ورفض الاستسلام لقوات الحسين، وبقي بعدها يماطل مدة ثلاثة أشهر.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "هل استمرت مقاومة فخري باشا بعـد هدنـة موندروس في ٢٤ المحرم ١٣٣٧هـ/ ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م، التي نصت في إحدى موادها على ضـرورة تسليم المدينة؟".

٢- كشفت الدراسة أن العلاقة بين فخري باشا وبعض جنوده كانت في ابة المطاف تـشهد خلافاً كبيراً، واتضح ذلك من خلال سوء العلاقة بينه وبين أمين بك رئيس الأركان الذي أقصي عـن منصبه، وبناءً عليه انتهج أمين بك أسلوباً وسلوكاً مضادين لفخري باشا، ووزع على الجنود منشورات وبيانات توضح الوضع برمته.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "كيف كانت علاقة فخري باشا بجنوده في الأيـام الأخيرة من وجوده في المدينة قبل استسلامه؟".

٣ - أوضحت الدراسة أن الوضع الداخلي في المدينة ا ار في النهاية؛ إذ انتهت مقاومة فخـري باشا بقيام معارضة داخلية ضده، وباستسلامه ورجال حاميته، حيث نقلوا كأسرى إلى مصر، ودخلت حكومة الحسين وتم إخلاء المدينة، وعاد بعض الأهالي الذين هاجروا سابقاً.

وهذه النتيجة هي رد عن السؤال الذي نصه: "كيف ا ار الوضع الداخلي في النهاية؟ وكيـف دخلت الحكومة الجديدة؟ وما أثر ذلك في ا تمع؟ وهل عاد الأهالي الذين هجروا سابقاً أم لا؟".

٤- أوضحت الدراسة أن فخري باشا احتل مكانة مهمة جداً في تلك الفترة من الناحية الدينيـة وليس من الناحية العسكرية، وذلك لما أبداه في ذلك الدفاع من حرص وثبات شديدين دف الحفـاظ على أراضي الدولة العثمانية، فكان يرى أن بقاءه صامداً في المدينة على الرغم من كل الظروف يحفـظ هيبة دولته.

وهذه النتيجة هي إجابة عن السؤال الذي نصه: "هل احتل فخري باشا مكانة مهمة لدى الدولة العثمانية نتيجة ذلك الدفاع؟"

٥- كشفت الدراسة حقيقة فخري باشا؛ إذ أوضحت أنه عارض كل عروض إخلاء المدينـة، واستمر حتى اية الحرب في عز وشموخ يعلو بالمدينة المقدسة فوق كل النظريات الإستراتيجية الـتي لا تتغير، ومن ثم مثّل دور القائد العسكري الشريف الذي أدي مهمته العسكرية بكل ولاء وعقيدة ثابتة، وفي واقع الأمر أن جميع خصومه الذين خاضوا ضده الحروب في ساحات المعارك يقرون بمثـل تلـك الحقائق؛ فقد حظي بالاحترام والتقدير حتى بعد استسلامه؛ إذ عد قائداً مهيباً مدافعاً عن المدينة إلى آخر يوم له فيها.

وهذه النتيجة هي إجابة عن السؤال الذي نصه: "كيف استقبل علي بن الحسين فخري باشا بعد خروجه من المدينة؟ وكيف كانت نظرة خصوم فخري باشا له؟".

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

١– العثمانية

أ- غير المنشورة .

المحفوظة في الأرشيف العثماني:

- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بصري باشا إلى نظارة الداخلية في ٢٤كانون الآخر ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من ناظر الأوقاف إلى نظارة الداخلية في ٢٠ ربيع الآخر١٣٣٤هـ، ١١شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4.رسالة إلى نظارة المالية في ١٤ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4.رسالة إلى نظارة الأوقاف الهمايونية في ٣٠ كانون الآخر ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4.رسالة إلى نظارة الأوقاف الهمايونية في ٧ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من وكيل ناظر المالية إلى نظارة الداخلية في ١٧ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من ناظر الحربية إلى نظارة الداخلية في ٢٠ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب المقيمين في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من

نظارة الداخلية إلى السلطة العثمانية في ٢١ شباط ١٣٣١ رومي بشأن تخصيص رواتب المقيمين في المدينة.

- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بصري باشا إلى نظارة الداخلية في ١ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بصري باشا إلى نظارة الداخلية في ١١ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من بصري باشا إلى نظارة الداخلية في ١٧ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ عمومي ٨٠- ٢/ ٦- ٤. DH. I.UM. 80- 2/6- 4 . رسالة من نظارة الداخلية إلى نظارة المالية في ٢٥ شباط ١٣٣١ رومي بشأن رواتب القبائل والأيتام والأرامل في المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ شيفرة ٥٩/ ٧٤. DH. SFR. 59/74 . رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة في ٩ كانون الأول ١٣٣١ رومي بشأن قطع الطريق على البريد.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ شيفرة ٦٢/ ٦٠. DH. SFR. 62/60 . رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة في ٦ مارت ١٣٣٢ رومي بشأن قطع الطريق على البريد.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ شيفرة ٦٣/ ١٨٣. DH. SFR. 63/183 . رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة في ٢٠ نيسان ١٣٣٢ رومي بشأن قطع الطريق على البريد
- الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٢٠٣/ ٣٨. M.V. 203/38 . محضر مجلس الوكلاء في ١٩ ذي القعدة ١٣٣٤هـ/ ٤ أيلول ١٣٣٢ رومي بخصوص تخفيض سعر نقل القمح والمؤن .
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 2 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٩ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥مايس ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 2 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ١٠ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٦مايس ١٣٣٢ بشأن دفع أموال للقبائل لحماية السكة الحديدية.

المحفوظة في الأرشيف العسكري:

- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 164, Dosya nr 144/719 الرسالة المشفرة المرسلة من القيادة العامة إلى قيادة فرقة الحجاز في ٣٠ نوفمبر ١٩١٤م.
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 164, Dosya 144/719,28 Teşrin-i sâni 1330 tarihli şifre.
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Kasör nr. 533, Dosya nr. 52/2085, Vehib Bey'den Başkumandalık'a 9 Eylül1914tarihli şifre
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Arşivi, Klasör nr 164, Dosya nr 144/179, VIII.الرسالة المشفرة المرسلة من قيادة الفيلق إلى وكالة القيادة العامة في ٥ نوفمبر ١٣٣٠.
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 533, Dosya nr 52/2085 البيان المرسل من وكيل قائد الحجاز إلى القيادة العامة في ٢٤ مارس ١٣٣١.
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 533, Dosya nr 52/2085 الرسالة المشفرة من الجيش الرابع إلى القيادة العامة في ٢١ يونيو ١٣٣١.
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr 3221, Dosya nr H. 33. f. nr 1-2
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) Klasör nr3221, Dosya nr H. 33, f. nr 3-5
- أرشيف التاريخ العسكري والاستراتيجي (A.T.A.S.E) nr 6-8446, Klasör nr 1/4953, Dosya nr H-l, f. nr 2-4.
- A.T.A.S.E. Arsivi, Klasor ne43, Dosya nr202, Baskumandanliktan Yildinma 19- 5-1918 tarihli sifre.

المحفوظة في مركز بحوث ودراسات المدينة:

- رسالة من محافظ المدينة إلى وزارة الداخلية في ١٧مارس١٣٣٣ رومي. رقم (B.D 2 – 1 /4 D.H.I.Um)

المحفوظة في مركز الفرفان باستانبول:

- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ١- ٨/ ١- ٤٤. DH. KMS. 1- 44/8- 1 . برقية من ناظر الداخلية طلعت بك إلى جمال باشا في ٢٠/٣/ ١٣٣٣ رومي بشأن إسناد الإدارة العسكرية لفخري باشا وتعيينه محافظاً في المدينة بالوكالة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٨/ ١- ٤٤. DH. KMS. 1- 44/8- 2 . برقية من جمال باشا إلى الباب العالي في ٢٠/٣/ ١٣٣٣ رومي بشأن إسناد الإدارتين العسكرية والمدنية لفخري باشا.

- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٣- ٨/ ١- ٤٤. DH. KMS. 1- 44/8- 3 . برقية من ناظر الداخلية طلعت بك إلى بصري باشا محافظ المدينة في ٣/٢٥/ ١٣٣٣ رومي بشأن إسناد الإدارة العسكرية لفخري باشا وتعيينه محافظاً في المدينة بالوكالة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ١- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 1 . رسالة من ناظر الداخلية طلعت بك إلى إبراهيم بك وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية في ٥/٢٦/ ١٣٣٢ رومي بشأن اتخاذ التدابير اللازمة في المدينة المنورة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 2 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٥/٢١/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٣- ٣١/ ٣٩. DH. KMS. 39/31- 3 . رسالة من وكيل ناظر الأوقاف الهمايونية إلى نظارة الداخلية في ٥/٢٥/ ١٣٣٢ بشأن بدء الأشراف في التعدي على السكة ومحاولة العثمانيين استمالة القبائل.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٢- ٣٠/ ٤١. DH. KMS. 41/30- 2 . رسالة من قائد الجيش الرابع إلى نظارة الداخلية في ٥/١٢/ ١٣٣٢ رومي بشأن منح أوسمة لبعض أهل المدينة.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص ٥- ٣٠/ ٤١. DH. KMS. 41/30- 5 . رسالة من مدير التشريعات ممدوح إلى نظارة الداخلية في ٣٠ شوال ١٣٣٤هـ / ١٦ أغسطس ١٣٣٢ رومي بشأن منح أوسمة لبعض أهل المدينة.
- الأرشيف العثماني، أوراق الباب العالي. B.E.O . قرار سلطاني من إدارة التشريعات إلى ناظر الداخلية طلعت في ٦ ذي القعدة ١٣٣٤هـ / ٢٢ أغسطس ١٣٣٢ رومي بشأن منح أوسمة لبعض الشيوخ وأقار م.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص. رسالة من نظارة الداخلية إلى محافظة المدينة المنورة في ٣٠ نيسان ١٣٣٢ رومي بشأن تخصيص رواتب لبعض المشايخ.
- الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ١٧٧/ ٢٠٣. M.V. 203/177 . محضر مجلس الوكلاء في ٤ محرم ١٣٣٥هـ/ ١٩ تشرين الأول ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.
- الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٥٦/ ٢٠٢. M.V. 202/56 . محضر مجلس الوكلاء في ٦ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥ مايو ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.
- الأرشيف العثماني، مجلس الوكلاء ٥٧/ ٢٠٢. M.V. 202/57 . محضر مجلس الوكلاء في ٦ شعبان ١٣٣٤هـ/ ٢٥ مايو ١٣٣٢ رومي بخصوص تخصيص رواتب.

المحفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية:

- الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ١٩- ١٤/ ١-٨. DH. I- UM. 1-8/14- 19. رسالة من مدير الديوان الهمايوني نوري إلى وكالة نظارة الداخلية في ٢٣ ذي القعدة ١٣٣٨هـ/ ٩ أغسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ١٩- ١٤/ ١-٨. DH. I- UM. 1-8/14- 19. رسالة من وكيل الناظر جمال بك أفندي إلى المدير العام لشرطة إستانبول في ٢٥ ذي القعدة ١٣٣٨هـ/ ١١ أغسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ١٩- ١٤/ ١-٨. DH. I- UM. 1-8/14- 19. رسالة من وكيل الناظر جمال بك أفندي إلى المدير العام لشرطة إستانبول في ٢ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ١٧ أغسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ إرادة عمومية ٢- ٦/ ٨٠. DH. I- UM. 2-6/80 . رسالة من مدير الأمن العام إلى نظارة الداخلية في ٩ ذي الحجة ١٣٣٨هـ/ ٢٤ أغسطس ١٣٣٦ رومي بشأن رغبة أحد علماء المدينة في العودة إلى بلاده.

هـ - المحفوظة عند فايز بن موسى الحربي بالرياض:

- الأرشيف العثماني، أوراق الباب العالي. B.E.O . قرار من إدارة التشريعات إلى وزير الداخلية طلعت باشا في ١٢ صفر ١٣٣٦هـ / ٢٨ تشرين الآخر ١٣٣٣ رومي بشأن منح النيشان ا يدي لبعض الشيوخ.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص. رسالة من وزير الداخلية طلعت باشا إلى جمال باشا قائد عام سوريا وغرب الجزيرة العربية في ٥ كانون الأول ١٣٣٣ رومي بشأن منح النيشان ا يدي لبعض الشيوخ.
- الأرشيف العثماني، داخلية/ قلم مخصوص. رسالة من وزير الداخلية طلعت باشا إلى الصدر الأعظم طلعت باشا في ٢٤ تشرين الآخر ١٣٣٣ رومي بشأن منح النيشان ا يدي لبعض الشيوخ.
- شهادة للشيخ عساف بن سعد بن جزا الأحمدي من الحسين في عام ١٣٣٨هـ تقديراً لموقفه ودوره في مساندة الثورة.

– البريطانية

أ- غير المنشورة .

- **المحفوظة في The National Archives:**

- FO.371/3044.Arabian Report. 24 January 1917.(NOXXII).
- FO.371/3080.Eastern Report. 31 January 1917.(NO1).

ب - المنشورة:

- الملك عبد العـزيز آل سعود . سيرته وفـترة حكـ ـمه في الوثائق الأجنـبية .الوثائق البريطـ ـانية (١٩٢٤ – ١٩٢٩م) . الرياض: دار الدائرة للنشر والتوثيق ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، مج٣.
- **ولاية الحجاز** للسنوات (١٣٠١- ١٣٠٥- ١٣٠٦- ١٣٩٠م) مطبعة الحجاز.

ثانياً : الروايات الشفوية (سماعاً وكتابةً):

أ – معلومات مستقاة سماعاً:

- عاصم الحمدان :
  - الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢٩ يناير ٢٠١٠م .
  - الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢ فبراير ٢٠١٠م.
- عبد الله الغانمي :
  - الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢٩ يناير ٢٠١٠م .
- عصام الهجاري :
  - الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢٩ يناير ٢٠١٠م .
- فائز بن موسى البدراني الحربي :
  - الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢٩ يناير ٢٠١٠م .

ب – معلومات مستقاة كتابة :

- عبد الله الغانمي :
  - الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢٩ يناير ٢٠١٠م .
- فائز بن موسى البدراني الحربي :
  - الثلاثاء ١٥ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢٩ يناير ٢٠١٠م.
  - الجمعة ١٨ ذي القعدة ١٤٣٠هـ / ٢ فبراير ٢٠١٠م.

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

- الجابري، حاسن محسن. **الحجاز ١٣٣٣- ١٣٤٤هـ/ ١٩١٤- ١٩٢٦م دراسة** في **الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.** رسالة ماجستير. القاهرة: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- آل فائع، أحمد بن يحيى. **ضم الحجاز** في **عهد الملك عبد العزيز ١٣٣٢- ١٣٤٤هـ/ ١٩١٤- ١٩٢٥م (دراسة تاريخية).** رسالة دكتوراه. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ

والحضارة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

- مفرح، سعيد بن محمد. **سياسة الدولة العثمانية تجاه الملك عبد العزيز** في **ضوء المصادر العثمانية ١٣١٩- ١٣٣٦هـ/ ١٩٠٢- ١٩١٨م**. رسالة دكتوراه. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- المهوس، مريم فريح. **موقف الحامية العثمانية** في **المدينة المنورة من ثورة الشريف حسين ١٣٣٤- ١٣٣٧هـ/ ١٩١٦– ١٩١٩م**. رسالة ماجستير. الرياض: جامعة الملك سعود، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٢٢- ١٤٢٣هـ .

رابعاً : الكتب(١):

١- العربية:

- أنطونيوس، جورج. **يقظة العرب**. ترجمة: إحسان عباس، ناصر الدين الأسد. بيروت: دار العلم للملايين، د.ت.
- بدر، عبد الباسط. **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**. المدينة المنورة: المؤلف، ١٩٩٤م، ج٣.
- البركاتي، شرف بن عبد المحسن. **الرحلة اليمانية**. دمشق: د. ن، د.ت، ص١٤٦.
- برو، توفيق علي. **القضية العربية** في **الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م**. دمشق: دار طلاس، ١٩٨٩م.
- البلادي، عاتق بن غيث. **معجم معالم الحجاز**. مكة: دار مكة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج١- ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ٧- ٨- ٩.
- البلادي، عاتق بن غيث. **الإشراف على تاريخ الأشراف**. بيروت: دار النفائس، ١٤٢٣هـ .
- الجاسر، حمد. **معجم قبائل المملكة العربية السعودية**. الرياض: دار اليمامة. ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م،ج١-٢.
- جودت، علي. **ذكريات**. بيروت: مطابع الوفاء،١٩٦٧م.
- حافظ، علي. **فصول من تاريخ المدينة المنورة**. ط٢. جدة: شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- حراز، رجب. **الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٤٠- ١٩٠٩م**. القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠م.

(١) رتبت الكتب أبجدياً دون اعتبار لـ : ال التعريف ، ابن ، أبو .

- الحربي، دلال بنت مخلد. **علاقة سلطنة لحج ببريطانيا (١٣٣٧ - ١٣٧٨هـ / ١٩١٨ - ١٩٥٩م**. الرياض: مكتبة العبيكان. ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- الحسني، محمد بن علي. **العقود اللؤلؤية في بعض أنساب الأسر الحسنية بالمملكة العربية السعودية**. د.ط. د.م: د.ن، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م
- الحصري، ساطع. **البلاد العربية والدولة العثمانية**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٥م، ص٢٤١.
- ابن الحسين، عبدالله. **الآثار الكاملة للملك عبدالله بن الحسين**. ط٢. بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٩م.
- ابن الحسين، عبدالله. **مذكرات الملك عبدالله**. د.م، د. أ، د.ت.
- حمزة، فؤاد. **قلب جزيرة العرب**. ط٢. الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- الحميد، عبد اللطيف بن محمد. **البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- الدقن، السيد محمد. **سكة حديد الحجاز الحميدية**. د.م، د.ن، ١٩٨٥م.
- الدنجتون، رتشارد. **لورنس في البلاد العربية**. ترجمة: محمود عزت. د. ن، د. أ، د.ت.
- الروسان، ممدوح عارف.**حروب الثورة العربية الكبرى في الحجاز وبلاد الشام ١٩١٦ـ١٩١٨م**. جامعة اليرموك: المؤلف، د.ت.
- الزبن، عدنان ساري. **من تأريخ الجهاد الهاشمي**. عمان: دار الينابيع، ١٩٩٨م.
- الزبيدي، محمد حسين. **مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وفي تاريخ العرب المعاصر**. بغداد: دار الحرية، ١٩٨٩م.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. ط٨. بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م مج٢.
- زيدان، محمد حسين. **ذكريات العهود الثلاثة**. الرياض: مطابع الفرزدق، ١٩٨٨م.
- السباعي،أحمد. **تاريخ مكة**. ط٨ . مكة: نادى مكة الثقافي، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج٢.
- سعيد، أمين. **الثورة العربية الكبرى**. القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت، مج١.
- السعيد، نوري. **مذكرات نوري السعيدعن الحركات العسكرية للجيش العربي. الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨م**. ط٢. د.م: الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٧م.
- شبيكة، مكي. **العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى**. لبنان: بيروت:دار الثقافة، د.ت، ج٢.

- صابان، سهيل. **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**. الرياض: مكتبـة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- صفوة، نجدت فتحي. **الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) ١٩١٦م**. بيروت: دار الساقي،١٩٩٦م، مج٢-٣.
- ضياء، عزيز. **حياتي مع الجوع والحب والحرب**. ط١. جدة: دار البلاد، ج١.
- طلاس، مصطفى. **الثورة العربية الكبرى**. دمشق: دار طلاس، ١٩٨٧م.
- الطويان، عبد الله زايد. **رجال في الذاكرة**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج٣.
- العمري، صبحي. **أوراق الثورة العربية. المعارك الأولى. الطريق إلى دمشق**. لنـدن: ريـاض الريس، ١٩٩١م.
- الغصين، فايز. **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**. دمشق: المؤلف، ١٩٣٩م.
- غوانمة، هنادي يوسف. **المملكة الهاشمية الحجازية**. عمان: دار الفكر، ١٩٨٩م.
- كحالة، عمر رضا. **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**. بيروت: مؤسـسة الرسـالة. ط٦. ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م،ج١- ٢-٥ -٦.
- لورنس، إدوارد توماس. **الثورة العربية**. ترجمة: شعبان بركات . عمـان: الأهليـة للنـشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- ليف، كوتلوف. **الحركة العربية في المشرق ١٩٠٨- ١٩١٤م**. ترجمة: زياد الملا. بـيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠١م.
- المحامي، محمد فريد بك. **تاريخ الدولة العثمانية**. تحقيق إحسان حقي. بيروت: دار النفـائس، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- **مذكرات جمال باشا السفاح**. تعريب: علي أحمد سليمان شكري. تحقيق: عبد ا يد محمـود خالد. لبنان: بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- مرشد، أحمد أمين. **طيبة وذكريات الأحبة**. المدينة المنورة: المؤلف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ج١- ٢- ٥.
- موريس، جيمس. **الملوك الهاشميون**. بيروت: المكتب العالمي، د.ت.
- موسى، سليمان. **الثورة العربية الكبرى.الحرب في الحجاز١٩١٦ـ ١٩١٨م**. الأردن: عمان: المؤلف،١٩٨٩م.
- موسى، سليمان. **الحركة العربية ١٩٠٨- ١٩٢٤م**. بيروت: دار النهار، ١٩٧٧م.

- موسى، سليمان. **مذكرات الأمير زيد . الحـرب في الأردن ١٩١٧ ـ ١٩١٨م**. الأردن: مركز الكتب الأردني، ١٩٩٠م.
- موسى، سليمان. **المراسلات التاريخية**. عمان: المؤلف، ١٩٧٣م، ج١.
- الموصلي، محمد طاهر. **تاريخ مقدرات العـراق الـسياسية**. بغـداد: المكتبـة العـصرية، ١٩٢٥م،ج٢.
- ولسون، جيرمي. **لورنس العرب السيرة الذاتية**. ترجمة: محمد نجار. عمان: الأهلية، ٢٠٠٠م.
- وهيم، طالب محمد. **مملكة الحجاز (١٩١٦- ١٩٢٥م) دراسة في الأوضـاع الـسياسية**. البصرة: مركز دراسات الخليج، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- يوسف، عماد عبدالعزيز. **الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦- ١٩١٨**. بغداد: دار الـوراق. (د.ت)، ص ص٢١٧-٢١٨.

٢ – العثمانية :

- Abdullah, Kral. **Biz osmanlıya neden isyan ettik**. istanbul, 2006.
- Akşin,Sina. **Istanbul hükümetleri ve milli mücadele**. Istanbul, 1983.
- Aybars,Ergiin.**Türkiye Cumhuriyeti Tarihi**. E.Ü.E.F. yay, İzmir1984
- Bayur,Y. Hikmet.**Türk İnkılabı Tarihi. II/3,T.T.K.Yay**. Ankara 1991.
- Bayur, Y. Hikmet . **XX. Yüzyüda Türklüğün Tarih ve Acun Siyasası Üzerindeki Etkileri**, T.T.K. yay., Ankara, 1974.
- Beyoğlu, Süleyman. **Fareddin paşa, diyanet islam Ansik**. XII, Istanbul, 1995.
- **Birinci Cihan Harbinde Türk Harbi Hicaz, Asîr, Yemen Cepheleri ve Libya Harekatı**. A.T.A.S.E. yay. Ankara 1978.
- **Birinci Dünya Harbinde Türk Harbi, Sina - Filistin Cephesi**, IV, Ankara 1979.
- Büyüktuğrul, Afif. **Osmanlı debiz harb tarihi ve cumhuriyet donanması**. IV, Istanbul, 1948 .
- **Cihad önderleri,** 1, Istanbul, 1987.
- el rasul, Mevlana muhammed Fadl-. **vesikalarla Vehabiliğin iç yüzü,** çev . faruk Mayan ,Istanbul, 1976 .
- Fahir Armaoğlu. **Yüzyıl Siyasi Tarihi 1914-1980**. Türkiye İş Bankası Kültür yay, Ankara, 1992.
- Göyünç, Nejat. **Atatürk ve Millî Mücadele. Turhan Kitabevi**. İstanbul,1984.
- Gülsoy,Ufuk. **Hicaz Demiryolu. Eren yay**. İstanbul, 1994.
- Güngör, Selahattin. **Kumandanlarımızın Harp Hatıraları.** İstanbul, 1937.
- İbnül Emin Mahmud Kemal İnal, Son Sadrazamlar, IV, Dergah yay., İstanbul, 1969.

- İ. Hami Danişmend, **İzahh Osmanlı Tarihi Kronolojisi, IV**, Türkiye yay, İstanbul, 1971.
- Jaschke, G. **Kurtuluş savaşı ile ilgili ingiliz belgeleri** , çev . Cemal Köprülü, Ankara, 1971.
- Kandmir, Ferudon. **Pey Gamberimi ZIN Son Turkelur (Medine Mudfaasi)**. Istanbul ,1994.
- Kiciman, Naci Kasif. **Medine Mudfaasi Yahud Hicoz Bizden Nasil**. Istanbul, 1971.
- Kotay, Cemal. **Milli mücadelede öncekiler ve snrakiler**. Istanbul, 1963 .
- kürkçüoğlu, Ömer. **osmalnlıdevletine karşı arap bağımsızlık hareketi (1908-1918)** . Ankara 1982.
- Mehmed Ali. **Milliyetçilik**, Istanbul, 1943.
- Sander,Oral. **Anka'nın Yükselişi ve Düşüşü Osmanlı Diplomasi Tarihi Üzerine Bir Deneme**. A.Ü.S.B.F. yay., Ankara 1987.
- Özkök, Hidayet . **çanakkaleden Hicaza**. Kayseri, 1992 .
- şimşir, Bilal. **Malta sürgünleri**. Istanbul, 1976.
- söylemezoğlu, Galip Kemali. **başımıza gelenler(1918- 1922)**. Istanbul, 1939.
- tansel, Selahettin. **Mondrosdan modanyaya kadar**. 1, Ankara, 1977.
- **Türk istiklal Harbi(Mondros Mütarekesi ve tatbikatı)**. 1, Ankara, 1962.
- winstone, H.V.F. **ortadoğu serüveni, 1898- 1926 yılları arasında ortadoğu siyasi ve askeri istihbaratin öyküsü**. Istanbul, 1999.
- Yatak, Suleyman. **Fahrddin Pasa Ve Medine Mudfaasi**. Marmara Universitesi, Fen-Edebiyat Fakultesi Tarih Bol, Istanbul, 1990.

٣ – الانجليزية:

- Al Amr, Saleh Mohammed**. The Hijaz Under The Ottoman Rule 1869- 1914**. Riyadh, University, 1974.
- Baker, Randall. **King Husain and the Kingdom Of Hejaz**, London,1979.
- El – Edroos, Syed Ali. **The Hashemite Arab Army 1908- 1979**. The Publishing Committee, Jordan, 1980.
- Goldberg, Jacob. **The Foreign Policy Of Saudi Arabia Harvard University Press**. Cambridge: Massachusetts, 1986.
- H. V. F. Winstone (Editor). **The Diaries Of Parker Pasha**.London, Quartet Books, 1983.

- stitt, George. **Aprince Of Arabia. The Amir shereef Ali Haider Aprince of Arabia**.printed In Great Britain, By Bradford. Dckens, London, 1948.
- Tibawi, A.L. **The last Knight of the last Caliphs, Arabic and Islamic mes.** London, 1976 .
- Troeller, Gary**. The Birth of Saudi Arabia.** London: Frank cass, 1976.

خامساً : الدوريات :

أ- العربية :

- **الجزيرة.**

الحربي، فايز بن موسى. "فخري باشا. بطولة طمستها دعاية الحلفاء!" الجزيرة. س، ع١٣٣١٥ (١٦ ربيع الأول ١٤٣٠هـ)

- **القبلة.**

- " احتلال بئر درويش " س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.
- "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان، حالة الأهالي" س١، ع٣٨ (٢٩ صفر ١٣٣٥هـ) ص٣
- "أخبار المدينة المنورة. رواية شاهد عيان، حالة الجيش التركي" س١، ع٣٩ (٢٩ ربيع الأول ١٣٣٥هـ ـ) ص٢
- "أخبار المعسكرات العربية. أثمان الحاجيات" س١، ع٥٧ (٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "أخبار المعسكرات العربية.حركة اليأس" س١، ع٧٤ (٥ رجب ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "أخبار المعسكرات العربية. قطع السكة الحديدية " س١، ع٦٠ (١٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "أخبار المعسكرات العربية.اللاجئون للجيش العربي" س١، ع٦٤ (٣ جمادى الآخره ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "الاستيلاء على ضبا" س١،ع٥٢ (١٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "الاستيلاء على ا ـز" س١،ع٤٨ (٥ ربيع الآخر ١٣٣٥) ص٢.
- " الاستيلاء على المويلح " س١،ع٥٢ (١٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.
- " أسرى الأعداء " س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.
- "اضطراب حالة الأعداء" س١، ع٥١(١٥ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.
- " ا ـزام الأعداء " س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.
- "تخريب السكة الحديدية" س١، ع ٦٧(١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "التضييق على العدو" س١،ع٤٨ (٥ ربيع الآخر ١٣٣٥) ص٢.
- "تفصيل جديد عن المعركة التي أسر فيها أشرف بك" س١، ع٥٣ (٢٢ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٣.
- " ـنئة الحكومة الهاشمية " س١،ع٤٨ (٥ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٣.
- " الثناء لله والحول والقوة له" س١،ع٩٦ (٢٧ رمضان ١٣٣٥هـ) ص١.
- "جلسة تاريخية في الديوان الهاشمي العالي" س١، ع٥٦ (الاثنين ٤ جماد الأول ١٣٣٥هـ) ص ص١- ٢

- "جلسة تاريخية في الديوان الهاشمي العالي. خطبة مندوب المدينة المنورة" س١، ع٥٦ (الاثنين ٤ جمـاد الأول ١٣٣٥هـ) ص٢
- "حالة عساكر الترك حول المدينة المنورة" ع٨، س١ (١٠ ذي القعدة ١٣٣٤هـ) ص٣ "أخبار المدينـة المنورة. رواية شاهد عيان " س١، ع٣٨ (٢٩ صفر ١٣٣٥هـ) ص٣
- "حول المدينة المنورة " س١، ع٣٢ (٨ صفر ١٣٣٥هـ) ص٢
- "حول المدينة المنورة" س١، ع ٨٢(٧ شعبان ١٣٣٥هـ) ص٣.
- "حول المنشور الهاشمي الشريف" س١، ع٥٨ (١١ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.
- " خسائر الأعداء " س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.
- " زحف الجيش الهاشمي إلى المويلح " س١،ع٥٠ (١٢ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٣.
- "شكوى الحرم المتظلم للحرم المتألم" س١، ع٥٦ (الاثنين ٤ جماد الأول ١٣٣٥هـ) ص١
- " غنائم جيوشنا " س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.
- " قطع خط الرجعة " س١،ع٥٢ (١٩ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "قطع السكة الحديدية بين الدار الحمرا وخشم صنعاء" س١، ع٦٠ (١٧ جمادى الأولى ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "قطع السكة الحديدية قرب العلا" س ١،ع ٦٤ (٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٢.
- "قطع السكة الحديدية وعدم تعرض الأعداء لإصلاحها" س١،ع ٤٩ (٨ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "مجوهرات الحجرة النبوية وأموال خزينتها" س١، ع٤٩ (٨ ربيع الآخر ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "محاصرة الأعداء من الشمال" س١، ع ٧٤(٩ رجب ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "معركة في محطة البوير" س١، ع ٧٤(٩ رجب ١٣٣٥هـ) ص٢.
- " مكافأة أبطال بئر درويش " س ١،ع ٦٧ (١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص ٣.
- "نسف سكة الحديد في الطويرة" س١، ع ٥٧(٧ جمادى الأولى١٣٣٥هـ) ص٢.
- "نسف سكة الحديد في الطويرة" س١، ع ٥٨(١١ جمادى الأولى١٣٣٥هـ) ص٢.
- "الهجوم على محطة أبي النعم وتحطيم قطار" س١، ع ٦٧(١٣ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ) ص٢.
- "هزيمة الأعداء" س١،ع٤٨ (٥ ربيع الآخر ١٣٣٥) ص٢.
- "وقعة المنجور " س ١،ع ٥٢ (١٩ ربيع الأخر ١٣٣٥هـ) ص ٢.

- **المنهل:**

الدعيس، هاشم محمد "وذكريات....أيام مضت" ع٤٩٩، مج٥٤، ص٢٧٨.

٢- العثمانية:

- Abdullah, Kral. "Hatıralar". çev. özcan Erektiren, **Hayat Tarih Mecmuasi**, sayı 1
- 1 1970 , nr8,ss 41-42
- Altuğ,Yılmaz "Arap Ülkelerinin Osmanlı İmparatorluğundan Ayrılışı" **Belgelerle Türk Tarihi Dergisi (**Ekim 1969) nr25, ss 25-26.
- Arar,İsmail "Macera Dolu Bir Hayat: Vehib Paşa" **Tarih ve Toplum**, nr 48, ss361-

368.

- Beyoğlu, Süleyman 'şerif Ali Haydar Mekke Emirliğne Tayini' **Türk Dünyası tarih dergisi** , sayı 61(ocak 1992, ss 47-51.
- Erden,Ali Fuat "Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1298 (7 Ekim 1955) **s**
- Erden, Ali Fuat " Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1301-1302.(10-11 Ekim) 1955.
- Erden,Ali Fuad "Çölde Son Türk Destanları" **Dünya,** nr1304 13 Ekim 1955) **.**
- Erden, Ali Fuat "ÇöWe Son Türk Destanları" **Dünya,**nr. 1310 ,19 Ekim 1955
- Emin, Mehmed. "Harb – I Umumide Osmanlı Cepheleri Vekayii" **Askeri Mecmua,** sayı 33 e ek, istanbul, 1138, ss58-59 .
- "Fahr eddin paşa ve cihadı" **islam Mecmuası**, sayı 15, 8 kasım 1984.
- Ihsan Ilgar "Dunya Savasi,nin Unlu Komutanlarindan: Vehib Pasa" **Hayat Tarih**, Yil: 8, Cilt: 1, 1 Subat 1972.
- Kandemir, F. "Birinci Dünya savaşında Medine Müdafaası" **Resimli tarihi Mecmuasi**, sayı 10, 1950.
- Kedourie,Elie "The Surrender of Medine" **Middle Eastern Study**, January 1919, Vol 13, ss 124-143 .
- Orbay,Rauf "Çöl Kaplanı Fahreddin Paşa'nm Medine Müdafaası" **Yakın Tarhimiz,** I, ss152-153.
- Sonyle, Salehi "Ingliz Belgelnie Ciore Medine Mudfee Fahnddin Pasa" **Belleten**, 1972, 141 – 144, s343.
- Temiz, Ahmet." Medine Mudafaasi Ve Fahreddin Pasa" **Medine Yi Asla Teslim Etmem**, Sayi;8, Nisan 2009, Fiyati: 5TL, ss14- 15.

Tesvir efkar, 28 tişrin sani 1334 .

- Mckale, Donald**.** "Germany And The Arab Question In The First World War" **Middle Eastern Studies**, Vol29, April 1993, p263.
- Yılmaz Altuğ, "Arap Ülkelerinin Osmanlı İmparatorluğundan Ayrılışı"**, Belgelerle Türk Tarihi Dergisi (**Ekim 1969) nr25, ss 28-33.

خامساً: المحاضرات والمؤتمرات:

- الحربي، فايز موسى. **فخري باشا وحصار المدينة.. قراءة جديدة**. ورقة في ثلوثية رشيد البيضاني،

جدة، مساء الثلاثاء ٢٣ المحرم ١٤٣٠هـ/ ٢٠ يناير ٢٠٠٩م.

- **Turk Arap Iliskilerinin Son Kirilma Noktasi: Medine, Nin Tahliyesi**. بحث قيد النشر ضمن منشورات الجمعية التاريخية التركية. أُلقي في المؤتمر الدولي للجغرافيا العربية في العهد العثماني والعلاقات العربية التركية عام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.